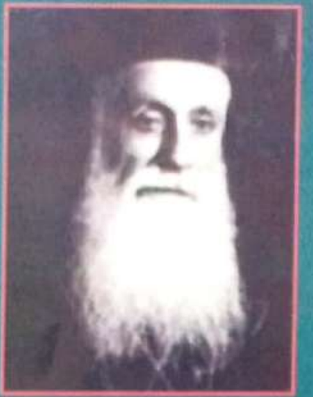
صالح هواش المسلط

صفحات منسية من نضال الجزيرة السورية


الشيخ : أحمد الخزنوي


المجاهد: سعيد آغا الدقوري


الشيخ: جميل المسلط


المطران : قرياقس


الشيخ: محمد عبد الرحمن الطائي


المجاهد : حسين الأسعد


المجاهد : زهدي حماد بك السلطان


الشيخ: محمد بشير الحامدي


الشيخ: شواخ البورسان


المناضل : سعيد أسحق


المجاهد : عيسى أغا العبد الكريم


الشيخ : دهام الهادي


الشيخ القادري والمطران قرياقس



صالح هواش المسلط

صفحات منسية من نضال الجزيرة السورية

حقائق هامة تنشر لأول مرة منذ خمسين عاماً

لمحافظات الحسكة والرقة ودير الزور ١٩١٦ــ١٩٤٦م.

منشورات دار علاء الدين

دمشق ـــ الطبعة الأولى ٢٠٠١ ـــ عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

التنضيد الضوئي والإخراج الفني : دار علاء الدين

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دمشق ص.ب: ٣٠٥٩٨
هاتف: ٥٦١٧٠٧١
فاكس: ٥٦١٣٢٤١

- جميع الأفكار والآراء الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف.
- في حال أخذ أية مادة من الكتاب يرجى التنويه إلى المصدر.

الإهداء

إلى أرواح الشهداء الأبرار

إلى المواطنين الشرفاء الأخيار والأغيار

إلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه(فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)

وإلى الذين مازالوا ينتظرون حتى تتحطم أحلام الصهيونية والماسونية والإمبريالية العالمية

تنويه هام:

إلى أبناء وطني العزيز

إلى أبناء محافظتي الغالية

إلى القارىء الكريم

إني أعتذر عن كل تقصير وهذا كل ما توفر لي من معلومات ووثائق فكلهم حماة الجزيرة الأغيار ومناضلوها الشرفاء وشهداؤها الأبرار. كما و أرجو موافاتي بالمعلومات والوثائق لكل ممن تتوفر لديهم عن نضالات الجزيرة والكمال لله وحده ولا شريك له.

المؤلف

إن الشعب السوري. لا يمكن أن يُستعمر. وعلينا نحن الفرنسيين أن نرحل عن هذه البلاد

"الجنرال"هوتزنجر"القائد الأعلى لجيوش الشرق"

المقدمة

وإني إذ أكتب عن النضال إنما أكتب لاستنهاض همة الأجيال للتمسك بالأصالة القومية والتجذر حتى الموت في التربة الوطنية، وإنه حين نسي المؤرخون أو تناسفوا التاريخ والكتابة عن نضال وكفاح وصراع هذه البقعة الصغيرة من وطننا العربي الكبير وعدم ذكر اسم أو وضع صورة أو رسم لصورة شهيد أو ثائر ومناضل عنيد على امتداد المنطقة الشمالية الشرقية وفي المحافظات الثلاث: الحسكة ــ الرقة ــ دير الزور ــ وما يسمى / الجزيرة السورية/ فأبطال الجزيرة السورية لم يحاربوا فرنسا فقط بل حاربوا على عدة جبهات بل جابهوا وصارعوا، وصدوا ثلاثة أنواع من الاستعمار بدءاً من الاستعمار التركي / العثماني/في أواخر عهده حين كان يدعى بالرجل المريض، حتى الاستعمار الانكليزي حيث كان التداخل في الحدود الشرقية بين العراق وسوريا قائماً وذلك أثناء ثورة تل عفر عام /١٩٢٠/وحاربوا الاستعمار الفرنسي أيضاً.

إزاء ذلك كله لم أجد اسماً واحداً إن في كتب التاريخ أو كتب المدارس لواحد من أولئك الأبطال العظماء والشهدء الأبرار؛ ليبقى في ذاكرة الأجيال، وذلك أضعف غاية الجود؟ وعسى أن يكون كتابي هذا محاولة لرد اعتبار، أو شيئاً من الجميل العظيم الذي قدمه لنا نحن الأجيال التي من بعدهم، لننعم بالأمان والحرية والاستقلال، وإني تحاشيت وابتعدت كل البعد عن الحساسيات والحزازات أو إثارة الخلافات القبلية والنعرات الطائفية أو الإقليمية، وإني يشهد الله لاأبتغي من وراء ذلك كله إلا الحفاظ على وحدة العنصر العربي وتآخيه بكل فئاته وطوائفه ضمن بوتقه الإنسانية وسماحة الإسلام.

الفصل الأول

جزيرة سورية في قلب كل الوطنيين الشرفاء

إنّها جزيرتنا

جزيرةُ الروح والقلب واليد واللسان

جزيرة الضمير والوجدان

جزيرة الإخاء والمودة والوفاء

جزيرة الأجداد والآباء والأحفاد

إنها قلب سورية المفعم بخزائن الأرض

جزيرة البساط الأخضر

جزيرة الذهب الأبيض والأسود والأصفر

وكما تحطمت أحلام من أرادوها مزروعة لكيانات مصطنعة، على يد أبنائها البررة من الوطنيين الشرفاء

الذين سيّجوها بالرجولة.. وحصنوها بالعنفوان والإباء

الذين كللوها بالشيم والشهامة والناموس

وزينوها بالشموخ والعزة وكبر البأس

لذلك كله فقد أبوا على أنفسهم إلا أن يكونوا أعزاء على ظهرها..أو شهداء في بطنها

إنها جزيرة الجدود والحدود والزنود

جزيرة النفط والحقول والسدود

إنها جزيرتنا الخضراء

جزيرة الخير والعطاء

جزيرة الإنتاج والنماء

إنها جزيرة الإخاء

جزيرة الأصفياء الأوفياء

جزيرة الوطنيين والمناضلين الشرفاء

نعم. إن سورية قلب العروبة النابض

وقلب سورية وما الجزيرة إلا في قلب كل مواطن شريف

كيف لا..؟ وهي: خزان النفط ومستودع الحبوب

إنها المخزون والمكنون. لهذا القطر الصامد

إنها التخوم الشرقية لسورية الحبيبة. وللوطن الكبير

لهذا وأكثر من هذا

هاهي ذي إسرائيل، تصنع قواعد عسكرية في تركية وفي قبرص وغيرها.

ظناً منها بتحقيق أحلامها التوراتية المزعومة والموهومة:

"حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل"

لكن سورية تبقى الشوكة الفولاذية المنيعة والصلبة والقوية ولطالما وقف على أرضها الفارس العربي أبو فراس الحمداني مخاطباً قائدَ الروم:

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا   ونحن أسودُ الحرب لانعرفُ الحربا

والآن ها هو الفارس العربي حافظ الأسد ينهض عملاقاً في الحرب كما في السلم ليعمق التلاحم الوطني لرأب الصدع العربي، ذلك بصنع أول جبهة وطنية داخلية متماسكة كالبنيان المرصوص.

مبنية على الحق الساطع. والشعب الواسع

هذا القائد الذي انتظرناه طويلاً. هذا القائد الهادىء الهارد

قائد عزّ نظيره. وعزّ المثال.

يمناه سيف من شآم. ووشاحه خيط من ألف وسام

إنه قائد الاستراتيجية العربية للحرب والسلام

هذا القائد الذي جعل من الشام قطب وصمام الأمان

ومفتاح السلام

إنه قوة الإرادة. وضمانة الحقوق

لهذا القائد الذي تعلمنا منه الشهامة والشيم والناموس. والدهاء والحكمة وكبر البأس.

ألا يحق لنا أن نبادله الوفاء والولاء والانتماء بكل الصدق والأمانة والإخلاص.

وبمنتهى الإحساس. لنرفع به الرأس

ونتباهى به بين كل الأمم والشرائح والأجناس

نسأل الله أن يتوجه بالحكمة ويمتعه بالعافية. لتنعم الأجيال بالطمأنينة والأمان أمد الله بعمره. قوة الحق. وحقاً للقوة إن الله سميع قريب. مجيب الدعاء.

الوطنية

في أقوال السيد الرئيس **حافظ الأسد**

الوطنية: أن نكون غيارى على كل ما في هذا الوطن

الوطنية: أيها الأحبة. أيها الأعزاء..

تعني الوطنية: الجهد والعرق والتضحية والاستشهاد عندما يتطلب الأمر، لأن الوطن يعني الإنسان وعندما لايدافع الإنسان عن الوطن فهو لايدافع عن ذاته، وهذا من اللامعقول ومن هنا التعابير الكثيرة في سلم قيمنا الشعبية عن الوطن وحب الوطن والحض على التضحية من أجله فالوطن غال. والوطن عزيز. والوطن شامخ. والوطن صامد. لأن الوطن هو ذاتنا والوطن بعونه تعالى.

من أقوال السيد الرئيس: حافظ الأسد

الجزيرة قديماً

"ميزوبوتاميا"

لايكاد يخلو كتاب لجغرافي أو مؤرخ أو رحالة عن منطقة الشرق الأدنى، من ذكر لمنطقة الجزيرة السورية المسماة ضمن التقسيمات الإدارية الحالية بمحافظة الحسكة. وهذا يعني أن منطقة الجزيرة تتميز بكونها ذات تاريخ عريق موغل في القدم، يرتبط بتاريخ بلاد ما بين النهرين ارتباطاً وثيقاً، من خلال أسماء مختلفة.

فقد عرفها القدماء باسم "ميزوبوتاميا " وسميت جزيرة آقور، وفي العهد العربي سميت بالجزيرة، التي تؤكد المصادر التاريخية أن أول استقرار بشري فيها يعود إلى عشرة آلاف سنة مضت. كما أن أول استقرار لمجتمع زراعي في المنطقة كان في الألف الخامس ق. م. وقد اشتهر السوبارتيون عبر نهر الخابور انطلاقاً من قرية تل حلف التي كانت مرفأ تجارياً هاماً ومن أشهر مدن الجزيرة في ذلك الوقت مدينة أور الكبرى التي بناها السومريون الذين هاجمهم الأكاديون بقيادة سرجون الفاتح وقضوا على كافة مدنهم، ثم هاجمتها غزوات الأموريين بقيادة حمورابي، واستولت على جميع المدن السومرية الأكادية وفي الألف الثاني ق.م، تأسست في سوبارتو دولة خاتي أوالدولة الحثية القوية، التي استطاع ملوكها الوصول إلى منطقة الرافدين الجنوبية ، واحتلوا بابل / ١٨٧٠ / ق.م، وقلبوا سلالة حمورابي وفي ظل الميتانيين تشكلت أول دولة كبيرة موحدة في سوبارتو، إلا أن هذه الدولة لم تستطع الثبات أمام النزاع الآشوري ـ الحثي ـ المصري فانهارت.. وجاءت معركة قادش التي أوقفت تقدم المصريين من جهة، وأضعفت الحثيين من جهة ثانية، بشكل مهد لانهيارها عندما ظهرت قوة الآراميين، الذين أسسوا دولتهم في سهول الفرات، واتجهوا إلى الشمال، حيث استطاع أحد ملوكهم (كابارا) تأسيس دولة قوية على أنقاص دولة الميتانيين، واتخذ مدينة غوزانا عاصمة له.. وغوزانا ما هي إلا قرية تل حلف الحالية.

وقد قامت أولى الإمارات الآرامية عند مجرى نهر الفرات، وامتدت رقعتها حتى نهر الخابور في الجزيرة السورية، ولذلك سميت آرام انهاريم أو آرام النهرين..واشتبك كابارا الآرامي هو وسلالته من بعده في صراع طويل مع الآشوريين، حتى انتهى بخضوع منطقة الجزيرة نهائياً للآشوريين، وبعدهم دخلت الجزيرة في حظيرة الامبراطورية الميدية، ثم في نطاق الامبراطورية الفارسية.. وجاء بعد ذلك الاسكندر فضمها إلى فتوحاته، وظلت هكذا حتى احتلها الرومان، وأصبحت مدينة رأس العين تحتل مكانة بارزة في ظلهم، وجعلها الامبراطور تيودوز في مصاف المدن الكبيرة وحصنها تحصيناً منيعاً..

أما العرب فهم الذين أسموها الجزيرة، كما أطلقوا عليها اسم إقليم آقور، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن جزيرة آقور لإقليم آقور ويقال له الجزيرة فقط، هو الاسم الذي أطلقه جغرافيو العرب على القسم الشمالي من البلاد التي بين دجلة والفرات..ويصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان بقوله: هي التي بين دجلة والفرات، مجاورة الشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهي صحيحة الهواء، جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، وقد صنف لأهلها تواريخ، وخرج منها أئمة في كل فن. وفيها قيل:

نحن إلى أهل الجزيرة قبلة ... وفيها غزال ساجي الطرف ساحره
يؤازرني قلبي علي، وليس لي ... يدان بمن قلبي علي يؤازره

وقال الشاعر جحظة البرمكي:

سلام على تلك الطلول الدوائر ... وإن أقفرت بعد الأنيس المجاور
ألا هل إلى فيء الجزيرة بالضحى ... وطيب نسيم الروض بعد الظهائر
وأفنائها، والطير تندب شجوها ... بأشجارها بين المياه الزواخر
ورقة ثوب الجو، والريح لدنة ... تساق بمبسوط الجناحين ماطر
سبيل وقد ضاقت بي السبيل حيرة ... وشوقا إلى أفيائها بالهواجر

وقسم المقدسي الجزيرة إلى ثلاثة أقسام بطون العرب: فديار ربيعة قصبتها الموصل، ومن المدن التابعة لها نصيبين ورأس العين، وديار مضر قصبتها الرقة ومن مدنها الرقة وحران والرها وسروج، أما ديار بكر فقصبتها آمد..وعن قصة فتح الجزيرة يقول الحموي في معجم البلدان:

إن سعد بن أبي وقاص كتب إلى عياض بن غنم بغزو الجزيرة، فغزاها سنة ١٧ هـ وافتتحها، فكانت الجزيرة أسهل البلاد فتحا، وزعم البلاذري فيما رواه عن ميمون بن مهران قال: الجزيرة كلها فتوح عياض ابن غنم، وبعد وفاة عبيدة بن الجراح، ولاه إياها عمر رضي الله عنه..

وقد بلغت الجزيرة الأوج من التطور في العهد العباسي، إذ نشطت فيها التجارة وكافة صنوف العمل والإبداع علمياً وأدبياً واقتصادياً، بدليل أن ابن الفقيه يؤكد أن خراج مدن الجزيرة بلغ في ذلك الوقت ما مقداره" ٩،٧١٥،٨٠٠" درهماً.

وتضم الجزيرة السورية ـ فيما تضم ـ ثاني أكبر وأغزر نهر في سوريا بعد نهر الفرات، بل إنه يعتبر النهر الوطني الوحيد في البلاد، كونه ينبع ويصب في الأراضي السورية بدءاً من مدينة رأس العين في محافظة الحسكة، حيث العيون والينابيع التي يتشكل منها، وانتهاء بمدينة البصيرة في محافظة دير الزور حيث نهر الفرات، وذلك بعد أن يقطع مسافة /٤٤٠/ كم من المنبع حتى المصب. والخابور فاعول من أرض خبرة وخبراء، وهو القاع الذي ينبت السدر أو من الخبار، وهو الأرض الرخوة ذات الحجارة، وقيل فاعول من خابرت الأرض إذ حرثتها. وتقول دائرة المعارف الإسلامية إن الخابور اسم نهرين، الخابور الأصغر، والخابور الأكبر وهو الموجود في منطقة الجزيرة وهو من أعظم روافد الفرات يتصل به عند قرقيسيا أي البصيرة..

وقد أطلق عليه اسم "شابوراس" في المؤلفات القديمة. وتضيف دائرة المعارف: وينبع هذا النهر من جبال الجزيرة الشمالية وهي المعروفة عند المؤلفين القدماء باسم جبل إيزلا وجبل ماسيوس، ثم يجري سهل الجزيرة، ويمر بين جبل عبد

العزيز وجبل سنجار، حيث ينحرف نحو الجنوب، ثم يغير اتجاهه في الجزء الأخير من مجراه صوب الجنوب الغربي.

أما ياقوت الحموي فيقول في معجم البلدان: الخابور اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، ولاية واسعة من البلدان جمة غلب عليها اسمه. فنسب إليه من البلاد قرقيسياء أي البصيرة، وماكسين أي مركدة، وعرابان أي عجاجة، والمجل. وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين، ثم تنتهي إلى قرقيسياء أي البصيرة، فيصب عندها في الفرات. وفيه قال الأخطل:

أراعتك بالخابور نوق وأجمال ورسم عفته الريح بأذيال

وقالت الفارعة الشيبانية في قصيدتها المشهورة:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لايجب الزاد إلا من التقى ولاالمال إلا من قنى وسيوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى فإن مات لم يرضَ الندى بحليف

ورسم ابن حوقل نهر الخابور، ووضع المدن التالية من الشمال إلى الجنوب: رأس العين، عرابان أي عجاجة، سكير العباس أي الشدادي، طابان، الجحيشية، تنينير، العبيدية. وإلى الشرق من الخابور قليلاً نجد بلده ماكسين أي مركدة، كما رسم بحيرة شرقي الخابور وسماها المنخرق، وهي بحيرة الخاتونية الحالية.

وقال ابن الأعرابي في قصيدة له:

رأت ناقتي ماء الفرات وطيبة أمر من الدفلى الذعاف وأمقرا
وحنت إلى الخابور لما رأت به صياح النبيط والسفين المقيرا
فقلت لها: بعض الحنين فإن بي كوجدك إلا أنني كنت أصبرا

وعملاً بالحكمة التي تقول: " إن الحضارات العظيمة تعيش على الأنهار العظيمة" فإن أهم مدن الجزيرة وأعظمها شأنا على مختلف الصعد هي التي نشأت

على ضفتي نهر الخابور، هذا النهر لعب دوراً هاماً في حياة منطقة الجزيرة بشكل خاص ومنطقة ما بين النهرين بشكل عام، والتطورات التي طرأت عليها والمراحل الحضارية والتاريخية التي مرت بها عبر مختلف العصور حتى يومنا هذا. فقد أبانت أعمال التحضير العلمي المتعلقة بموقع المدن ومراكز الاستيطان البشري، خلال العهود البابلية القديمة، والتوسع الآشوري في الفرات الأوسط، إن منطقة الخابور الأدنى موثقة توثيقاً حسناً في النصوص المسمارية، لكن معظم المعلومات الواردة فيها لايعرفها علماء التاريخ والآثار.. وثمة عدد كبير من النصوص المسمارية المكتشفة حديثاً في تل الحريري أي ماري على الفرات الأوسط، تضم رسائل بعث بها(يفريم حدد) والي ساجرا في منطقة الخابور إلى زمرليم ملك ماري.. وترد في سياق الأحداث المدونة في تلك النصوص، أسماء مدن وقرى منتشرة بين الفرات وأعلى الخابور..ويصف الملك الأشوري بعل ـ كالا في نصبه التذكاري، الحملة التي قام بها ضد بلاد عريم، ويذكر مدنا معروفة مثل دوركاتليمو أي تل الشيخ حمد، وسخريب.

وتعتبر تقارير الحملات العسكرية التي سجلها نيراري الثاني ونينورتا الثاني مهمة جداً، لأنها تتضمن ذكراً لمسيرة الطريق الكاملة التي سلكتها القوات إبان تلك الحملات. فالملك الأول قدم من الشمال وتوسع نحو الجنوب حتى الفرات، وقدم الملك الثاني من الفرات بدءاً من ترقا أي تل العشارة على الفرات الأوسط وتوسع نحو الشمال في محاذاة الخابور، حتى بلدة نصيبين المقابلة لبلدة القامشلي على الحدود السورية ـ التركية الحالية.

وقد بدأ المسح الأثري لمنطقة الخابور عام /١٨٥٠/م، على يد العالم الانكليزي لايارد الذي نفذ بعض أعمال التنقيب هنا وهناك، فعثر على بقايا قصر آشوري في تل عرابان المسمى حالياً بقرية عجاجة..واستطاع العالم سميث بالاعتماد على نصوص مسمارية تعريف هذا التل بمدينة شاديكاني، وهو التل الوحيد الذي أمكن معرفة اسمه الأصلي في منطقة الخابور..

وهناك ثلاثة علماء آخرين هم هاوس كينشت وبلونت وزاخاو، زاروا منطقة الخابور فيما بعد، كما قام كلٌ من العالمين مويتس وكولدوي عام /١٨٨٧/م بجولة أثرية من تل عجاجة وحتى البصيرة حيث يصب الخابور في الفرات.

أما العالم ماكس فون أو بنهايم فقد مر مروراً سريعاً بهذه المنطقة عام /١٨٩٩/، واستكمالاً لعمل أو بنهايم قام كل من هرتزفيلد وسارة عام /١٩١٠/ بمسح واستكشاف ودراسة العديد من التلال الأثرية المنتشرة على الجانب الغربي من نهر الخابور، إذ استطاعا جمع معلولمات هامة ومفصلة عن المواقع التي زاراها.. وهناك أعمال استكشاف أخرى قام بها العالم موسيل عام/١٩١٤/، والعالم مالاوين عام/١٩٣٤/وهو زوج الكاتبة الشهيرة أجاثا كريستي..وقد اكتشفت مالاوان في تل براك بقايا معبد يقع على مرتفع بيضوي الشكل أسماه معبد العيون، لأنه اكتشفت فيه كثيراً من العيون النذرية، التي يعود تاريخها إلى جمدة نصر أي من/٣١٠٠ ـ ٢٩٠٠/ ق. م.

وأعمال التنقيب لم تتوقف ومازالت مستمرة، ففي تل عجاجة الذي اكتشف فيه العالم لايارد في أواخر القرن التاسع عشر معالم قصر ملكي، ثم أثبت العالم سميث أنه موقع مدينة شاديكاني. قامت دائرة آثار دير الزور، بإجراء سبر استكشافي، أسفر عن اكتشاف منحوتتين نافرتين من الحجر الكلسي لثور وأسد مجنحين، معروف أنهما من التزيينات المعتادة لمداخل القصور الملكية في الحضارات القديمة لتلك المنطقة. وفي تل بري الواقع على نهر الجغجغ أحد روافد الخابور، عثر السكان منذ/٣٥/عاماً على نقش حجري يحمل كتابة مسمارية تدل على اسم مدينة كحت. وفي عام/١٩٨٠/ بدأت بعثة أثرية إيطالية بالتنقيب في هذا التل الهام فظهرت معالم مدينة كانت خلال الألف الثالث ق.م.

وأكدت أعمال المسح الأثري التي قامت بها بعثات أثرية أجنبية وعربية وسورية، أن حوض الخابور عرف الحضارة منذ العصر الحجري الحديث، وكان له شأن كبير منذ الألف السادس وحتى الألف الأول ق.م.كما أن النهوض

الحضاري فيه لم يتوقف في لاحق الحقب بدءاً من العهد الإغريقي وصولاً إلى العهد الإسلامي مروراً بالروماني والبيزنطي. وما انتشار التلال الأثرية في رحابه بكثرة مذهلة، إلا دليل واضح على الأهمية الاستراتيجية والقيمة الاقتصادية لهذه البقعة من العالم القديم.

وعندما بدأت وزارة الري بالإعداد لتنفيذ مشروع ري حوض الخابور الكبير في محافظة الحسكة، والذي يضم ثلاثة سدود كبيرة لري مساحة /١٥٠/ ألف هكتار من الأراضي الزراعية، تنبهت المديرية العامة للآثار والمتاحف إلى أن مياه بحيرات تلك السدود، ستغمر أكثر من/٤٠/ تلاً أثري على شأن كبير من الأهمية.. ومن أجل إنقاذ الكنوز الأثرية التي تحتويها هذه التلال من الغمر قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بإصدار نداء عالمي دعت فيه علماء الآثار من كافة أنحاء العالم، للإسهام في إنقاذ آثار حوض الخابور.فبعد أن تحدثت المديرية في ندائها عن مشروع الخابور أشارت إلى أن المسح الأثري الأولي في المنطقة، أوضح أن التلال المهددة بالغمر تتراوح عهودها بين طورعبيد وتل حلف في الألفين السادس والخامس ق.م حتى العهد العربي الإسلامي.. ومن المؤكد أن التحريات الأدق ستوضح آثار العصر الحجري الحديث وغيره.وقالت المديرية: إن الآثاريين وعلماء اللغات القديمة والأنثولوجيين، وغيرهم من مختلف الاختصاصات، يرون في إنشاء مشروع الخابور، مناسبة هامة وفرصة ثمينة لإلقاء الأضواء، على هذه المنطقة الرئيسة من الجزيرة السورية. التي كانت في العصور الأكادية والآشورية والبابلية القديمة مركزاً ناشطاً في اقتصاد بلاد الهلال الخصيب، وأصبحت خلال الألف الأول ق.م، من المقاطعات الآشورية بعد إخصاب الدويلات الآرامية في هذه المنطقة، التي كانت قائمة منذ نهاية الألف الثاني ق.م.. وأظهرت الدراسات في أسماء المدن المكتشفة إمكانية تحقيق هوية مدائن أخرى في العهود القديمة في هذا الجزء من الخابور، نظراً لوقوعه على شبكة مواصلات وقنوات مياه هامة.. وفي العهود اليونانية ــ الرومانية لعبت هذه البقاع دوراً استراتيجياً حاسماً في صراع الشرق

والغرب.. حتى إذا جاء الإسلام ووحدت دولة العرب أجزاء العالم القديم كلها، كانت الجزيرة السورية وخاصة حوض الخابور، من مواطن الخير العميم والصراع المصيري بين العرب والبيزنطيين ثم الصليبيين.

وأكدت المديرية في ندائها، أن المواقع المهددة بالغمر ليست أطلالاً أثرية تحتاج للنقل أو التقوية أو الحماية، وإنما هي تلال على ضفاف النهر تدل مقاطعها الستراتيغرافية على غنى بالشواهد الأثرية الكثيرة، التي قد تنبئنا بما قصرت عنه النصوص والروايات.. وعدت المديرية أنها ستقدم للبعثات التي ستلبي الدعوة كل التسهيلات والمؤازرة، وستسعى لإصدار الصكوك القانونية اللازمة لمنح البعثات بعض الآثار المكتشفة، كما تم سابقاً في حملة إنقاذ آثار الفرات في السبعينات. واستجابة لهذا النداء حضرت إلى سوريا العديد من البعثات الأثرية العربية والأجنبية من مختلف دول العالم.. وباشرت عملها فوراً في البحث والتنقيب عن الاثار الموجودة في التلال المهددة بالغمر.واستطاعت هذه البعثات من خلال عملها التوصل إلى مكتشفات هامة سلطت الضوء على جوانب هامة من تاريخ الجزيرة ومنطقة بلاد ما بين النهرين. عن كتاب: رحلة في تاريخ حوض الخابور ــ للصحافي خليل أقطني.

***

الجزيرة عبر التاريخ

بقيت الجزيرة خاضعة للفرس حتى الاسكندر حين تغلب على دارا ملك الفرس.

وبعد حكم خلفاء الاسكندر عادت الجزيرة تحت حكم الفرس حتى قيام مملكة الروم في القسطنطينية واستيلائها على سوريا ووقوع حرب بين الروم والفرس كما أن الحروب مع الروم والصليبيين أبقت الجزيرة محتلة إلى أن فتحت على يد القائد العربي عياض بن غنم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك في السنة الثامنة عشرة للهجرة، فأصبحت هذه البلاد في العهد الأموي مسرحاً " للحروب التي جرت

بين الخوارج والأمويين حيث كان مروان الثاني بن محمد والياً "على منطقة الجزيرة ومن الجدير بالذكر أنه طاف بجيشه تلك البلاد للقضاء على الفتن، وإن مؤسس الدولة الحمدانية في حلب كانت عائلته قد نشأت في الجزيرة وشيخها أحمد بن حمدون من قبائل تغلب. استطاع أن يقيم دولة في الجزيرة. إلا أنه أكثر المظالم فقام الخليفة العباسي المعتضد فقضى عليه، ثم قامت عروش العباسيين نتيجة تغلغل العناصر الأجنبية الفارسية، إلى أن تحول الصراع بين الفرس وتلاهم المغول والتتار وبني عثمان، حيث كانت الغلبة للعثمانيين، فسيطروا على بلاد الشام والعراق ومصر.

فران الجمود والتخلف وأصبحت البلاد في حالة من الفوضى فأثقلوا كاهل الشعب بالضرائب والتعسف والجوع ولعله من المفيد أن نذكر أن أغلب المصادر ــ المراجع ــ المؤرخين:

مصادر المؤرخين لهذه البلاد هو(البلاذري) وهو صاحب باع طويل في هذا المجال حيث جاء في كتاب(فتوح البلدان) ضمن ما كتبه عن الجزيرة يقول:

الجزيرة كلها فتوح عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة الجراح ولاه إياها عمر بن الخطاب في السنة الثامنة عشرة للهجرة الموافق/٣٦٩/.

ويقول أيضاً: ولم يبق من الجزيرة موضع إلا وفتح في عهد عمر بن الخطاب وكان أكثر سكان الجزيرة من قبائل ربيعة الأوائل: ابن خرداذبة ــ وابن الفقيه ــ والمقدسي ــ وابن حوقل ــ والاصطخري ــ وقد عني العهد الأموي بتنظيم الجزيرة من الناحية الإدارية.

عن مقالات للباحث الصحفي: خليل أقطيني

نشرت على صفحات جريدة تشرين

•••

لمحة عن تاريخ الجزيرة

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان(جزيرة آقور) وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة للشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات وهما يقبلان من بلاد الروم متسابقين حتى يلتقيا قرب البصرة، ثم يصبان في البحر وهيصحيحةالهواء، جيدة الريح والنماء، واسعة الخيرات بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة من أهم مدنها: حران ــ الرها ــ رأس العين ــ نصيبين ــ والخابور..

وكانت الحسكة(المدينة بالذات) قرية صغيرة قبل عام/١٩٢٧/. وفي هذا العام وما قبله كانت الجزيرة مرتبطة إدارياً بلواء دير الزور، وتضم قضائين هما: القامشلي وتأسست قائمقاميتها في شهر شباط، ثم قضاء عين ديوار القريب من الجزيرة "جزيرةابن عمر" على نهر دجلة ويدور الزمان فيتحول المركز من مدينة إلى أخرى إلى أن أصبحت الحسكة تلك القرية التي لم تكن شيئاً يذكر مركزاً هاماً لمحافظة تستقطب السكان من شتى الأطراف، وتنمو على حساب الريف ويظل اقتصادها قائماً " على الزراعة، وتظل زراعتها مرهونة بكرم السماء وتجود الأرض يوم تجود السماء وتمحل يوم تقلع السماء عن الأمطار إلى أن دخلت إلى المحافظة زراعة القطن على جانبي الأنهار ــ خصوصاً"الخابور ــ وأخيراً"تدفق البترول من الجزيرة وسال ذهباً أسود من منابعه في قرا شوك وحقول الرميلان والجبسة إلى سواحلنا في الأبيض المتوسط.

رحلة في تاريخ حوض الخابور

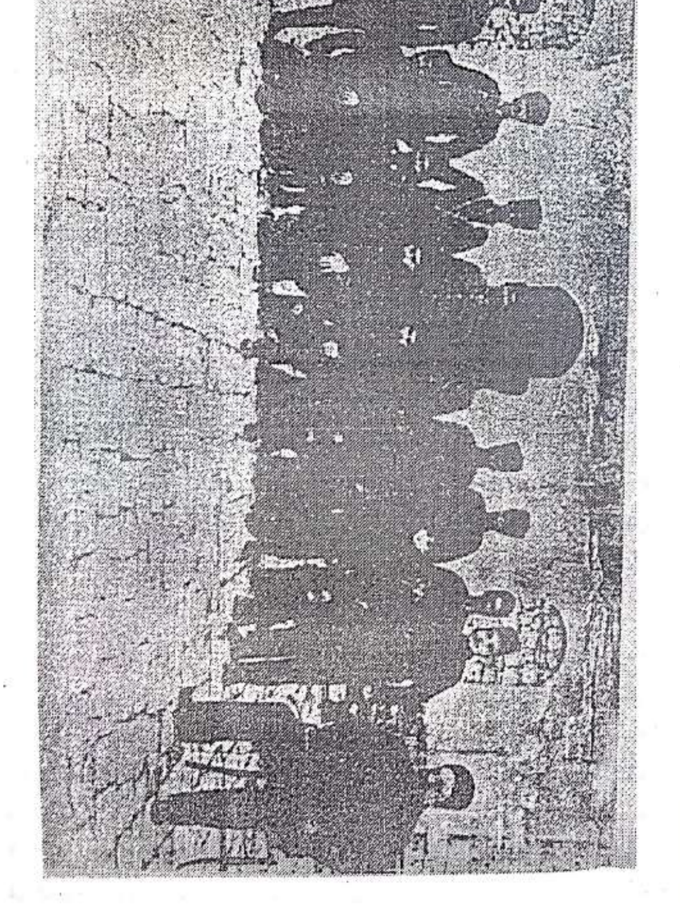
للباحث الصحافي: خليل قطيني

•••

أسماء السادة محافظي الحسكة منذ عهد الاستقلال

الاسم	السنة	الاسم	السنة
١ ــ عبد القادر الميداني	١٩٤٦	٢ ــ خالد الداغستاني	١٩٤٨
٣ ــ عاصم الرفاعي	١٩٤٩	٤ ــ مصطفى الحوراني	١٩٥١
٥ ــ صالح عقيل	١٩٥٢	٦ . سعيد السيد	١٩٥٤
٧ ــ رفعت زريق	١٩٥٥	٨ ــ حسين عبد الدين	١٩٥٧
٩ ــ عادل ميري	١٩٥٨	١٠ ــ حسين فواز	١٩٦٥
١١ ــ فائز الجاسم	١٩٦٤	١٢ ــ محمد طلب هلال	١٩٦٥
١٣ ــ محمد حيدر	١٩٦٦	١٤ ــ عز الدين نعيسه	١٩٦٧
١٥ ــ مدحت نوح	١٩٦٩	١٦ ــ إبراهيم حاج علي	١٩٧٠
١٧ ــ إسماعيل عقلة	١٩٧٤	١٨ ــ أحمد حسن الأحمد	١٩٧٥
١٩ ــ حسين حسون	١٩٧٦	٢٠ ــ محمد مصطفى ميرو	١٩٨٦
٢١ ــ صبحي حرب	١٩٩٣		

•••



ضباط القشلة (الثكنة) الأتراك

الفصل الثاني

مدخل أواخر الحكم العثماني

الاحتلال العثماني للبلاد العربية:

إن فتح سليم لسوريا عام/١٥١٦/ولمصر عام/١٥١٧/هو مرحلة فاصلة من مراحل امتداد النفوذ العثماني على العالم العربي، فقد أصبح السلطان سليم سيد العراق وبلاد الشام بعد انتصاراته الحاسمة على شاه فارس عام/١٥١/ثم على مصر.

هذا وقد اتبعت السياسة العثمانية مبدأ إبقاء ما كان وتطبيق العزلة الكاملة على البلاد العربية لاسيما في عصر ظهرت فيه أفكار الحرية والمساواة والأفكار القومية مما نتج عن سياسة العزلة هذه الجهل التام والتأخر والانحطاط للبلاد العربية التي كانت تحت النفوذ العثماني.

البلاد العربية إبان الحرب العالمية الأولى:

في اليوم الثاني من شهر آب عام/١٩١٤/ صدر قرارالمحكمة التركية بالتعبئة العامة. ومع أن تركيا أعلنت حيادها غيرأنها شرعت تحت ستار هذا القرار في اتخاذ إجراءات معادية للحلفاء،وكانت بلاد الشام أهم الأقطار العربية المحيطة بمصر وتضم حاميتها ثلاث إلى أربع فرق وحينما اشتركت تركيا في الحرب تألف من هذه الفرق جيش عرف باسم الجيش الرابع وكان مقره في دمشق، أما في شبه الجزيرة العربية فقد كان للأتراك حامية مؤلفة من أربع فرق وكان الشريف حسين في الحجاز قد سيطر على القبائل الموجودة فيها.

أعمال جمال باشا السفاح في سوريا وتعجيل الثورة العربية:

كان جمال باشا هو الرجل التركي المسيطر على دمشق، وكان عضواً بارزاً في جمعية الاتحاد والترقي ووزيراً للبحرية في الوزارة العثمانية وقد اختير ليقود الحملة على مصر لتحريرها، ومنح من السلطان بحكم القانون العسكري ما أصبح بمقتضاها رئيساً للحكومة في بلاد الشام وقائداً عاماً للجيش، وكان قد وصل الشام في مطلع شهر كانون الأول واتخذ من دمشق مقرا لقيادته.

وحينما أخفق في حملته على مصر أصبح حاد المزاج وأخذ يوقع أحكام الإعدام دون أي تردد، ثم توالت التقارير بالتدريج تتضمن سرداً للأدلة على النشاط السري للجمعيات القومية، فالجيش مليء بالخلايا الثورية، وانكلترا وفرنسا لهما عملاء في البلاد، وبذلك أخذ يوجه همه إلى المنظمات المدنية، وقرر أن يحاكم المتهمين الذين ورد ذكرهم في الوثائق التي عثر عليها في القنصلية الفرنسية، فألقي القبض على كثير من الناس وقدموا إلى محكمة عسكرية وصدر الحكم بإعدام ثلاثة عشر منهم، ثم كان شنقه لواحد وعشرين رجلاً سبعة في دمشق وأربعة عشر في بيروت وذلك في السادس من أيار.

كان الأمير فيصل في اليوم الذي تم فيه الشنق مقيماً مع آل البكري في القابون وعندما سمع بالحادث صاح كلمته المشهورة:

(طاب الموت ياعرب) وكانت أنباء تنفيذ حكم الإعدام حافزاً للشريف حسين لإعلان الثورة.

بدأت الثورة العربية في/١٠/ حزيران عام/١٩١٦/ في مكة، وتمكنت قواتها من السيطرة على مدن الحجاز، وتابعت جيوش الثورة انتصاراتها وأخذ جيش الشمال بقيادة فيصل باحتلال جميع ثغور البحر الأحمر واتصل فيصل بالجيش البريطاني الزاحف من مصر بقيادة (اللنبي) فاحتل درعا ودخل فلسطين وسوريا، وواصل جيش الثورة زحفه ودخل دمشق التي كانت قد أعلنت انفصالها عن العثمانيين، ورفعت العلم العربي قبل وصول قوات الثورة والانكليز إليها، وتابعت قوات الثورة

احتلال المدن السورية حتى وقعت تركيا معاهدة مودرس وخرجت من الحرب عام/١٩١٨/ وبذلك انتهت أربعمائة عام من الاحتلال العثماني للبلاد العربية.

وعندما عقد مؤتمر الصلح ذهب فيصل ليمثل والده في هذا المؤتمر وليشرح وجهة النظر العربية فيه، إلا أن فرنسا احتجت على وجوده، ثم لعبت فيما بعد السياسة البريطانية دورها في تنفيذ الاتفاقات السرية بينها وبين فرنسا وذلك في تقسيم تركة الدولة العثمانية.

وبعد عودة فيصل من باريس دعا الشعب العربي في سوريا إلى انتخاب ممثلين رسميين يجتمعون في دمشق ويقدمون المطالب إلى لجنة(كينغ ــ كراين) الأمريكية وطالبت فرنسا وانكلترا بتنفيذ العهود المعقودة بين الدولتين من أجل سوريا، وعلى أثرها اجتمع وزير الخارجية الفرنسي والانكليزي، وقررا أن يحل الجيش الفرنسي محل الجيش الانكليزي، وأن يكون لفرنسا النفوذ الكامل على سوريا.

الصراع ضد الانكليز

على الصعيد القومي والوطني:

١ ــ إن من أهم العوامل في إذكاء الروح القومية ضد المستعمر:

أ ــ العامل القومي ويتمثل في نشوء الحكومة العربية التي تأسست بدمشق عقب الحرب العالمية الأولى.

ب ــ نشاطات جمعية العهد في كل من العراق والشام وحلب ودير الزور والموصل.

ج ــ كما كان الحافز الديني العامل الرئيسي وتعاظم الشعور العربي بوجود جمعية(العهد) التي أسسها عزيز علي المصري عام/١٩١٣/ في استانبول، وانتظم في صفوفها الكثير من الضباط آنذاك.

٢ ــ الثورة الحجازية: بعد أن استاء العرب من جماعة الاتحاد والترقي التركية وأعمال جمال باشا السفاح في إعدام أحرار العرب آنذاك في سوريا وأبنائها حين

سمع الشريف فيصل بن الحسين شريف مكة بهذا الخبر ما كان منه إلا أن طرح كوفيته وعقاله أرضاً وقال كلمته المشهورة: "طاب الموت ياعرب".

كما أنه قبيل هذا كان الشريف حسين يراسل مكماهون المندوب السامي البريطاني بخصوص استقلال العرب من الاستعمار العثماني البغيض، حيث وعده أنه إذا ساعدهم، فإنه سوف يدخل الحرب إلى جانب القوات الانكليزية، فطاردوا الأتراك حيث تمكنوا من الاستيلاء على دمشق قبل إعلان الهدنة، فتشكلت حكومة عربية برئاسة الملك فيصل، بيد أن الحلفاء كانوا متفقين سراً على اقتسام البلاد العربية فكانت اتفاقية سايكس بيكو عام/١٩١٦/ بين انكلترا وفرنسا ووعد بلفور الذي كان فى /٢/ تشرين الثانى /١٩١٧/ القاضى بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

وقد نشرت هذه الاتفاقيات فى موسكو عقب إعلان الثورة الشيوعية فى عام /١٩١٧/ إذ إن الحلفاء كذبوا هذه الاتفاقيات معلنين حسن نواياهم تجاه العرب، فحين تشكلت الحكومة العربية في دمشق من المجاهدين العرب عسكريين ومدنيين استقطبت من حولها من أحرار العرب، فأصبحت دمشق مركزاً للحريات التحررية العربية، حيث نشطت فيها جمعية العهد مرة ثانية، فكان لجمعية العهد دور فعال في زعزعة أمن الفرنسيين، وإرباك أمن البريطانيين في دجلة والفرات لمدة عامين.

في هذه الفترة كانت تتصارع الضغوط الإنكليزية والفرنسية، كما أن الكولونيل الإنكليزي(لجمن) قال: إن كان ما تريدونه التحرر من التركي قد حصلتم عليه، وقد صرتم الآن أحراراً في بلادكم فما الداعي للجمعيات وما تجنونه من الفوائد ؟.

بعد هذا تكتشف نوايا الإنكليز باستعمار بعض الأقطار العربية، كما أن نشاط جمعية العهد بقي فعالاً ومهما، وإدراكه نوايا الإنكليز والفرنسيين السيئة، وكانت تندد بالاستعمار وتنادي الشباب العرب أن انهضوا للعمل في سبيل نيل الاستقلال، وتمكنت جمعية العهد من إعداد الثوار وقد علم الإنكليز بذلك، أثناء ذلك كان الأمير فيصل عاهلاً لسوريا، وقد التجأ إلى سوريا من العراق مع خيرة ضباط الجيش وكانوا على اتصال بالعراق وحركاته التحريرية، إذ إن سوريا باتت موئلاً

للأحرار، وكان الإنكليز يصفون الملك فيصل أنه تابع لهم وفق ما كتبته المس بيل، كما أنها وصفت الملك فيصل بأنه حارب كقائد بمعية اللورد(اللنبي) بعد ذلك رأينا ما قامت به الجمعية في سوريا. ثم تم استبدال جمعية العلم التي قامت على أنقاض جمعية الاتحاد والترقي باسم جمعية العهد التي كانت اتصالاتها ناشطة وواسعة، حتى وصلت إلى الجزيرة العربية السورية متصلة بزعماء العشائر وتأليبهم ضد الإنكليز، حيث كانت عشائر شمال شرقي سوريا على جبهتهم رغم بدائية الأسلحة وضعف الإمكانات في العتاد والسلاح، وأهم من كانت لهم اتصالات في الجزيرة السورية عشيرة شمر الشيخ عجيل اليارو والعاصي فرحان. ومن عشيرة الجبور الشيخ مسلط الملحم وعلي السلطان وعلي الزوبع ومن عشيرة طي محمد العبد الرحمن وعمدت جمعية العهد لاستقبال الوفد الدولي(لجنة كنغ كراين) الأميركية للاستفتاء الذي كان يزور سوريا ومن ثم العراق فعمدت جمعية العهد إلى إرسال مضابط توكيلية استقلالية ضد الإنكليز تنسحب من دير الزور والميادين والبوكمال والجزيرة لتضع كل ثقلها في العراق، حيث ورد في التقرير البريطاني أنه في نهاية عام ١٩١٩ بدت في الأفق غمامة وهي اخلاؤنا دير الزور الذي سرى تأثيره سرياناً أسرع وأشد مما كان متوقعاً، وكانت الطليعة الوطنية المحاربة هي التي أصبحت عاملاً من العوامل الرئيسية لسياستنا المتبعة والتي أدت إلى فقدان هيبتنا في الشمال الشرقي(لسوريا).

كما تقول المس بيل، وإن استعداد الإدارة البريطانية للنزول عند رغبة الحكومة العربية والانصياع إلى أي مقترح، ينبعث منه أمل معقول في تطمين ادعاءاتها في الفرات، وقد أسقطته من الحساب جمعية العهد العراقي ووكلاؤها، لأنها رأت صعوبة واضحة في المحافظة على خط مواصلاتها الطويل من الهجمات للقوات غير النظامية، حيث رأت الحكومة العربية موقفنا المسالم دليلاً عن ضعفنا العسكري، وعلى هذه الشاكلة كان موقفنا شيئاً محفزاً وليس مهدئا لها) وقد كانت كتابات الصحافة السورية عن الغارات التي توحي بأن الجيش الإنكليزي خرج من

دير الزور مطروداً، وأجبرته القوات العربية على إخلاء الإنكليز من البوكمال).

أما إيرلاند فقد قال: كان العامل الرئيسي الذي شجع الحركات الوطنية في أواخر عام ١٩٠٣ ــ ١٩١٩ هي تلك الحوادث التي وقعت في الجزيرة والفرات حتى الموصل، بيد أنه كانت تلوح في الأفق نماذج إشاعات مصطنعة، صاغها الإنكليز وبعد أن خفت قبضتهم عليها بعيد خروجهم من دير الزور، أطلقوا إشاعات مفادها أنهم سوف يعيدون تلك المناطق إلى الحكم التركي لتفتيت عضد بعض أعضاء جمعية العهد الأتراك والأكراد، وبعض السكان من غير العرب أيضاً.

مما اضطر الجمعية إلى طلب المركز العام لها بدمشق لإرسال قوة عربية تكون قرب نصيبين جزيرة ابن عمر من قوات العشائر التي كانت ضد كل حاكم أجنبي انكليزياً كان أم فرنسياً أم تركياً، أم غيره. كذلك أوحت الجمعية لمركزها العام بدمشق بإرسال قوة عربية على مقربة من الموصل لاحتلالها فيما إذا تم إخلاؤها من قبل الإنكليز وفق ما يزعمون من تسليمها للأتراك من جديد، حيث انتقل بعد ذلك مركز الجمعية العام من دمشق إلى دير الزور ليكون أقرب من الأحداث، واتضح أخيراً أن الجمعية التركية في الموصل وراء هذه الإشاعات.وصول لجنة الاستفتاء الاميركية حيث استحال على لجنة الاستفتاء الأمريكية زيارة المناطق المحتلة من قبل الإنكليز لعرقلة مهمتها، إلا أنه وبعد إطلاعها على المضابط التوكيلية ومقابلة بعض أعضاء جمعية العهد في دمشق وحلب، وطالبوا اللجنة بالاستقلال واكتفت اللجنة بإرسال البرقية إلى ولسن رئيس الولايات المتحدة آنذاك، ولا يفوتنا أن نذكر أن ثورات عشائر دير الزور والميادين والبوكمال كان لها الأثر الكبير على الإنكليز، مما زاد حماس بقية الثائرين على المستعمر في كل المناطق.

التمهيد للثورة

١ ــ الشعور الديني.

٢ ــ محاولة الإنكليز تشكيل(عسكر ليقي).

٣ ــ كشف مواقع الجزيرة وتنظيم خريطتها.

إن مجمل هذه الأعمال أثارت سخط الشعب على الإنكليز، لذا فلم تـر جمعية العهد بداً من سلوك طريق القوة والثورة، وهذا ما جاء برسالة وردت من المركز العام للجمعية بدمشق بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ حيث تقول: تعلمون أننا قررنا الوصول لغايتنا المشتركة مهما كلفنا ذلك وبناء عليه يجب علينا أن نحتاط لكل شيء ونستحضر العدة لكل طارئ بل لكل ما يلوح للفكر من الاحتمالات للقيام بثورة حربية شاملة بالمستقبل القريب، ولذلك نرجو أن تستعدوا بكل قواكم لبعث هذه الفكرة بصورة خفية جداً وإعداد العدة لذلك، حيث كانت أولى الحركات التي قامت ضد الإنكليز هي تلك التي وقعت في دير الزور والميادين والبوكمال، إذ عينت الحكومة العربية رمضان الشلاش من عشيرة البواسرايا حاكماً على الرقة فتم اختيار الرقة مركز انطلاق على الجيش البريطاني فهجم رمضان الشلاش على دير الزور فجر يوم ١١ كانون الأول من عام ١٩١٩ وكانت قوته تقدر بحوالي/٥٠٠/ من الخيالة ومن عشائر العكيدات والبقارة وغيرهم، وساعده في الهجوم أهالي دير الزور، فالتجأ الكابتن جامبر حاكم دير الزور السياسي إلى الثكنة العسكرية وجرى تبادل إطلاق النار بين الطرفين، تمكن رمضان الشلاش من إسكات إحدى رشاشات جامبر، بعده طلب من الكابتن جامبر الإستسلام على أساس التأمين على حياته. فقبل هذا الاستسلام لقلة جنوده وعتاده لكن رمضان الشلاش اعتقلهم بعد ذلك لعدة أيام في الدير وغنم الثوار خزينة الحكومة وسيارة بريطانية، وأضرموا النار في مستودع بنزين وأرسل رمضان الشلاش جماعته ليستولوا على الميادين والبوكمال حيث كان الإنكليز قد أخلوها فوراً، وانسحبوا إلى عانة بالعراق لكن الخلاف بين الثوار حول الغنائم أضعف موقف الثوار فعاد الكابتن بابلس حاكماً للبوكمال مجدداً، لكن رمضان الشلاش عاود الكرة فدارت معركة حامية استشهد خلالها الشيخ محمد الدندل أحد رؤساء العكيدات فهاجت العشائر لذلك، وكان العراقيون يشجعون ذلك ويساعدون الموقف لإثارة التوتر والاضطراب ضد الإنكليز إلا أن الإنكليز شددوا قبضتهم على البوكمال فاستعملوا الطيران واحتلوا الصالحية.

وفي ذات يوم ثلجي تقدمت قوة انكليزية من بغداد تحمل/١٢/مدفعاً متجهةً نحو البوكمال فاشتبكت مع العشائر، وانضم للثوار فرقة بقيادة محمد الهامة الذي أثبت بطولة وشجاعة، فغنموا رشاشين من الإنكليز وبعض الأسلحة مما أدى إلى مضايقة الإنكليز مضايقة شديدة. وفي هذه الأثناء كان رمضان قد عاد من دمشق لينازع مولود مخلص على منصبه في دير الزور.

وبعدها قررت الحكومة الفيصلية استدعاءهما إلى دمشق آذار ١٩٢٠ فلبى مولود مخلص طلبه وسافر للشام بينما رفض رمضان الشلاش، ذلك وبقي في دير الزور وبعدها وقبيل سفره إلى دمشق أرسلت جمعية العهد كتاباً إلى مولود مخلص باعتباره حاكم دير الزور العسكري تبين فيه استعداد العشائر وسكان المدن للقيام بثورة ضد الإنكليز جاء هذا الكتاب في نهاية آذار ١٩٢٠ مايلي:

إن الأكراد في طرفنا قد تهيأوا للثورة مجدداً وهم ينتظرون إشارتنا إليهم، ونحن لازلنا على اتصال معهم ومخابراتنا واتصالاتنا مع كثيرين من رؤسائهم لم تنقطع وقد عزمنا على إرسال ضباط عسكريين من أرباب الوطنية والمقدرة إلى طرفهم لإدارة حركتهم عند القيام بالثورة، وأما الجبور وغيرهم من العشائر العربية فهم الآن مشتاقون إلى القيام بعمل كاشتياق الظمآن إلى الماء. ولازلنا نواجه رؤساءهم ونبث فيهم روح التضحية، وكما وعدوا بأعمال تسر الخاطر غير أنهم ينتظرون طلائعكم ليستندوا إليها.

وأما عشائر البومتيوت والجيش من الجبور وكذلك الدليم والجغايفة والكركرية فإننا مطمئنون إلى معاونتهم لنا في حركتنا كثيراً، وأن مخابراتنا معهم لازالت مستمرة وأما سنجار وأطرافها فهناك من يعملون بكل قواهم في سبيل تهيئتهم للثورة، ولم نسمع مخالفاً لأفكارنا ومبادئنا وإن الحالة حسنة والأهالي في غليان شديد، وكنا قد أخبرناكم أننا نحتاج إلى السلاح نرجو أن تمدونا بما يمكن من بنادق وقنابل يدوية. في ٦ نيسان أرسلت الجمعية مجدداً إلى مولود مخلص حاكم دير الزور تطالبه بالسلاح لتبدأ الثورة لأن الحالة ملائمة وخاصة في الجزيرة.

الشيخ المرحوم ضاري ابن محمود من شيوخ زوبع قتل لجمن وخلص أهل الفرات من شره

نجيمان من ضباط المخابرات العسكرية في عموم الفرات عام/١٩١٩م/.

مناشير الجمعية خلال نيسان ١٩٣٠

أصدرت جمعية العهد مناشير مختلفة، منها ما هو موجه إلى أعضاء الجمعية وللمواطنين تحثهم فيها على الاستعداد لإنقاذ البلاد وتطلب من كل فرد إعداد سلاحه، ومنها الموجهة للسلطات الإنكليزية تنذرهم بسوء العاقبة ونذكر بعض فقرات هذه المناشير ما لنا نراهم يقومون بحفر الخنادق حول مواقعهم العسكرية بقصد الدفاع والتحصين لمنع قوات التحرير وسمع رعيد الرشاشات وهجمت العشائر لتثأر لكرامتها وعما قريب تتكشف الأحوال "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

وعلقت(المس بيل)على هذه المناشير تقول في ٢١ نيسان وصلت إلى الموصل عن طريق دير الزور والقافلة من حلب فأثار وصولها فترة جديدة عقدت الاجتماعات الوطنية. وكذلك عمت المناشير ما بين عشائر المنطقة والتي تعتمد على الحس الديني والنخوة العربية لطرد المستعمر.

انتقال المركز العام لجمعية العهد من دمشق إلى دير الزور

وتمهيداً للقيام بالحركات الوطنية قررت جمعية العهد نقل مركزها العام من دمشق إلى دير الزور ليسهل الاتصال بالعناصر الوطنية، و لتكون قريبة من مسوح الأحداث للمناطق التي أصبحت تحت قبضة الانكليز خاصة في شمال و شرق الجزيرة. أثر ذلك وجهت الجمعية بيانات للمسيحيين و الأرمن و الآشوريين ليتيقظوا فيها إلى المكائد الانكليزية و التفرقة بينهم و بين الطوائف الأخرى و أن يكونوا على مستوى من الوعي و اليقظة لكل أحابيل و أباطيل و تفرقة المستعمر الانكليزي.

التقرير البريطاني في الشؤون العشائرية والسياسية لسنة /١٩٢٠/

العلاقة العربية:

في نهاية/١٩١٩/ بدت في الأفق غمامة، وهي إخلاؤنا دير الزور الذي سرى تأثيره وأشد مما كان متوقعاً، وكانت طليعة الوطنية العربية المحاربة هي التي أصبحت عاملاً من العوامل الرئيسية لسياستنا المتبعة والتي أدت إلى حادث من أشد حوادث السنة خطورة وهو الاستياء الذي وقفه إزاءنا الترك الكماليون علناً ــ الجيش الريفي على تل عفر.

أما العامل الرئيسي الثاني فهو الموقف العدائي، إن هاتين القوتين الوطنيتين العربية والكمالية قد امتزجتا في بعض الأحيان امتزاجاً شديداً وكأنهما سياستان برمتها، وعقب احتلال القوات السورية دير الزور عين مدير شريفي في الخابور وعلمنا في كانون الثاني/١٩٢٠/ بأن المشار إليه أخذ يغمر الجزيرة بدعايات على بريطانية، وقد وردتنا من الشيخ محمد من عشيرة( ) نموذجاً عن تلك الدعايات فأخذت الاضطرابات تتوسع في الصحراء منذ ذلك الحين، غير أن أمرها ازداد تفاقماً بإعلان الشريف عبد الله ملكاً على العراق، وذلك في مؤتمر الشام والمنعقد في آذار فقد حدثت اعتداءات طفيفة على مضارب عمالنا الواقعة بجوار عين الدبس وكان ذلك في شهر شباط وفي شهر آذار تلقينا خبراً ينبئنا بذهاب الشيخ عجيل اليارو الشمري إلى دير الزور، وبالقرار النهائي الذي اتخذته فرقة العكيدات للقيام في وجهنا. وفي هذه الآونة وردنا تقرير حازم بقرار الحكومة العربية الهجوم من الموصل. وفي شهر نيسان نهبت أغنام متعهد العسكر، وكان الناهبون من العكيدات ومن البونمر بقيادة النجرس الكعود. وفي شهر آذار وقعت اعتداءات مستمرة وشديدة، وكان المعتدون من العكيدات غير أن هذه الإعتداءات حسب القاعدة المطردة كانت منحصرة في القوافل التي كانت تحمل الذخائر العسكرية فسلبت المطردة في هذه الإعتداءات حملة/٣٠٠/ بعيراً و/٢٥٠/ حماراً مع حمولتها.

تشكيل الحملة

وهكذا تشكلت الحملة من أحرار الجزيرة الوطنيين ومن العراقيين المقيمين في سوريا، حيث ذهب وفد مكون من علي جودت وجميل المدفعي لمقابلة الملك فيصل في دمشق وطلبوا منه ثلاثة مطاليب:

إرسال أخيه الأمير زيد معهم ومساعدتهم حالياً وتزويدهم بالأسلحة فرفض فيصل إرسال أخيه، واعتبر ذلك عملاً عدائياً رسمياً من حكومته ضد الإنكليز، ووافق على مساعدتهم بالمال والسلاح حيث انطلقت هذه اللجنة بعد أن سلمهم الملك فيصل مبلغ/٣٠٠٠/ جنية مصري، وانطلقت اللجنة صوب حلب في طريقها إلى دير الزور باسم الهيئة الوطنية والتحق بهم عدد من الضباط الذين كانوا معهم في الحجاز واستبدلوا الجنيهات المصرية في حلب بليرات ذهبية، وحين وصولهم إلى دير الزور تكشف لهم أن خلافاً بين حاكم دير الزور العسكري السيد مولود مخلص ورمضان الشلال رئيس عشيرة البوسرايا حيث حاول الملك فيصل تهدئة الأجواء.

ومن دير الزور بدأ التطويع والاتصالات والمشاورات ضد الإنكليز وكانت دير الزور تعج بالجواسيس الإنكليز واستخباراتهم، وتم تجهيز الحملة بتضليل الجواسيس واستخبارات الإنكليز وذلك بإستئجار زوارق مائية تتحرك بواسطة القوة نحو الجنوب على أساس أننا نتحرك صوب عانة، لكن الحملة أخذت مسارها في الصحراء وتجهيز المدفعين الموجودين في دير الزور وإعداد عشائر شمر والجبور بالتوجه نحو تلعفر مركز السلطة الإنكليزية المتاخمة للجزيرة من الشرق، ثم كانت الحملة بقيادة جميل المدفعي حيث بلغت القوة النظامية/٩٣/ مجاهداً بين مشاة وخيالة وتوجهت الحملة إلى الفدغمي ومنها إلى الجزيرة، ولما كان يعوز الحملة بعض الأسلحة من دمشق بمائة وخمسين بندقية وخمسين صندوق عتاد، وفي هذه الأثناء كانت تصل للحملة بعض الأسلحة التركية من ديار بكر.

سارت القوة من دير الزور في /٢٢/ آذار/١٩٢٠/ والتحقت بها عشائر العكيدات والبقارة وجبور وطي وكانت واقعة حرق قطار الإنكليز في(عين الدبس)

أولى الحركات الثورية للمجاهدين كان لها أطيب الأثر على النفوس الوطنية والأبية وحين وصول الحملة إلى الفدغمي حيث أطلقوا على هذه الحملة عسكر الشريف لما لهذا الاسم من معنى وقيمة دينية ومعنى حماسي في العشائر، فقسمت الحملة إلى أربع سرايا حيث علمت السلطات الإنكليزية بذلك، وأنهم علموا أيضاً أن الأسلحة تصلهم من تركيا بواسطة الخابور عن طريق قائمقام جزيرة ابن عمر، بل كما يقول ولسن:

في/٢٦/ آذار تلقينا تقارير مؤكدة عن وجود قوة شريفية على نهر الخابور وتقارير أخرى عن حركة عشائرية على نهر دجلة وزاخو.

ويقول إيرلاند: في الثلاثين من آذار بعثت السلطات البريطانية إنذاراً بأن جيشاً عربياً بقيادة جميل المدفعي أحد الضباط الموصليين في الجيش العربي السوري كان قد تجمع في تل الفدغمي على الخابور وهدفه الموصل، وأن الميجر بارلو قد فشل استطلاعه والسيارات المصفحة، وذلك بسبب حركة القوة في الشمال قرب الحدود السورية التركية وتوغلها في مضارب شمر والجبور بعد حركتها من الفدغمي وبدأت العشائر تقلق الإنكليز بحركاتها المتواصلة على مواقعهم ودورياتهم.

بيد أن الحملة تواصل مسيرتها إلى سنجار.

وصول الحملة إلى مضارب شمر

حيث التفت الحملة حول جبل سنجار، وسارت شماله قرب نصيبين إلى مضارب الشيخ العاصي الفرحان، فانضم إليها عدد من فرسان العشيرة ورؤسائها فاستقبلوا الحملة وقائدها المدفعي وأكرموهم وبقيت الحملة ثلاثة أيام، كذلك التقوا هناك بالشيخ عجيل الياور والذي زرع الحماس في نفوس شمر للانضمام للحملة ضد الإنكليز فانضم إليها أغلب فرسان عشيرة شمر وفرقها المعروفة آنذاك.



قائد الحملة جميل المدفعي

وصول الحملة إلى مضارب الجبور

توجهت إلى منازل الجبور في مضيف الشيخ مسلط باشا الملحم رئيس عشائر في منطقة الخابور، واستجاب لندائنا وأكرم وفادتنا وجميع كبار ورؤساء العشيرة علي السلطان وميزر وأقاربه وأنسباؤه وطلب إليهم تأييد الحركية وإجابة دعوة العروبة تحت راية الشريف وقيادة السيد جميل المدفعي، والكلام الآنف الذكر لجميل المدفعي وخرج فرسان العشيرة تحت بيرق رئيسها لاستقبال السيد جميل المدفعي وحملته المكونة من عشائر البكارة والعكيدات وشمر، حيث توجهت الحملة إلى تل عفر صباح/٣١/ آذار/١٩٢٠/ .

بعد أن باتوا ليلتهم في مضيف الشيخ مسلط باشا الملحم، والذي انضم بنفسه إلى الحملة مع رؤساء عشيرته ومن الجدير بالذكر أنه تقدم الحملة نحو تل سنجار باتجاه تل عفر، إن رؤساء اليزيديين أيضاً أعلنوا ولاءهم للثورة بتوقيعهم على الإنذار الموجه للإنكليز. وهم: حموشرو + بيغو حيث بينهم وبين الشيخ مسلط باشا مودة وصداقة.

مؤتمر خنيزيرة

حين وصول الحملة وقوات العشائر تم عقد مؤتمر لتدارس الواقع والهجوم على الإنكليز تدارسوا فيه وضع جبل سنجار، ثم تقرر إرسال وفد لجمع التأكيدات من تل عفر لنجاح الهجوم فتم اختيار عبد الحميد الدبوني ممثلاً لهيئة قيادة الحملة واختيار ممثلين لرؤساء العشائر أحدهم من شمر وآخر من الجبور للمرافقة.

العامل المباشر للثورة

كان الناس في موسم الحصاد، وفي شهر رمضان المبارك إذ تجمعت أسباب عديدة: قومية ووطنية ودينية للثورة على تعسف الإنكليز فكان مجيء حملة الشريف بقيادة جميل المدفعي عاملاً مباشراً لإعلانها فكانت القوى العشائرية شرارة ملتهبة سرت إلى أنحاء العراق كافة منطلقة من الفدغمي في الجزيرة، بدأت الثورة بقطع

أسلاك الهاتف ثم انكشاف اجتماع رؤساء تل عفر، ثم محاولة الهجوم على قلعة تل عفر، وما كان من القوات الإنكليزية إلا أن أرسلت إلى قوات المدفعي وقوات العشائر وهي تهدد وتتوعد.

كما أن القائد جميل المدفعي أرسل إنذاراً إلى الحاكم السياسي الإنكليزي في الموصل هذا نصه:

انذار إلى الحاكم السياسي في الموصل

نحن باسم جميع أهالي تل عفر والجزيرة نخطركم بلزوم خروجكم من ديارنا والابتعاد وتسليم السلطة لملكنا صاحب الجلالة عبد الله الأول بن جلالة الشريف حسين حسب عهودكم التي كانت أساس التحالف بيننا وإن لم تخرجوا فمع كل الأسف ستخرجكم بحد سيوفنا لأننا لا نقبل أن نعيش مستعمرين، وستكونون أنتم المسببين والمسؤولين عن سفك الدماء بيننا وبينكم والسلام على من اتبع الهدى.

إن هذا الإنذار موجه إلى الكولونيل نولدر الحاكم السياسي في الموصل من قبل جميل المدفعي ورؤساء العشائر، أسماؤهم عليه أدناه وعددهم/٢٢/ اثنان وعشرون حسب التسلسل الوارد في النص.ومنهم:

١ ــ الشيخ مسلط باشا الملحم شيخ عشائر الجبور في الجزيرة، وذلك لمناصرة ثورة تل عفر وأقربائه من الجبور العراقية، وكذلك مشايخ شمر وأغوات الأكراد من مضاربهم المتواجدة على الحدود بين الجزيرة والموصل.

جواب الحاكم السياسي في الموصل على الإنذار

بعد أن سلم رسول جميل المدفعي إلى الحاكم السياسي في الموصل موجزاً معناه: تعلمون أنني حاكم عسكري وليس للعسكريين حق في البت في مثل هذه الأمور دون مراجعة حكومتي، ولذلك سأنقل مضمون كتابكم لحكومتي فإن أمرتني بالتخلي عن هذه الديار فعلت، وإن لم تأمرني بذلك فسأبقى بانتظاركم ريثما تخرجون بقوتكم).

جمعية العهد تحدد موعد الثورة

وهذا نص جمعية العهد في الموصل على كتاب جميل المدفعي:

ـ الموصل/١٧/ رمضان /١٣٣٨/ الموافق/٥/ حزيران/١٩٢٠/.

حضرة قائد الجيش العراقي الشمالي جميل بك المدفعي المحترم، سلام واحترام.

أما بعد، فقد أخذنا كتابكم بعد أن كنا بانتظاره، ولقد توقفنا إلى تهيئة الأفكار واستكمال الوثائق والوسائل وأن نكون بعون الله في يوم الأربعاء في الساعة السادسة غروبية، ولا تتمهلوا إلى تلك الليلة لئلا يستحضر الإنكليز قوتهم الحاضرة وإن كنتم لايمكنكم دخول الموصل إلا بمعاونتنا والإستفادة من ثورتنا فيلزم أن تكون حركتكم موحدة مع حركتنا بأن نهاجم الأعداء في تلك الليلة من الجبهتين وبذلك نتمكن من الوصول إلى رغائبنا وضرورة وساطة اتصال لتأمين كل الأخبار بيننا والعلامة(كلمة حر) والسلام على الأحرار.

الخاتم والتوقيع ـ جمعية العهد

الاتصال مع الموصل

جرت اتصالات واسعة بين جميل المدفعي قائد حملة تل عفر ومحمد رؤوف الغلامي معتمد جمعية العهد في الموصل لتحديد موعد الثورة، كما جرت اتصالات بين رؤساء تل عفر ورؤساء العشائر المشاركة في الثورة وبعض وجهاء الموصل، وكان يقوم بنقل الرسائل من تل عفر إلى الموصل جاسم عجراوي، ومن الموصل إلى تل عفر أيوب حسين الموصلي، ونستعرض فيما يلي جانباً من هذه الاتصالات:

كتب جميل المدفعي إلى جمعية العهد في الموصل كتاباً أخبرهم فيه بوصولهم تل عفر ودخولهم إليها، وطلب من أعضائها الاستعداد للثورة وأنهم سوف يدخلون الموصل بعد يوم أو يومين وأرسله مع جاسم عجراوي وفيما يلي نصه:

سلام واحترام.. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نخبركم ونبشركم بأنه قد دخلنا تل عفر بدون مضايقات، واستولينا على اثنتي عشرة سيارة (أتوموبيل) منهن

أربع مدرعات وثمانية رشاشات وقتلنا الكثير من الجنود الإنكليز، وقد اجتمعت عشائر الجبور وشمر والكركرية وجحيش وأهالي تل عفر، وستجتمع غداً مع الأغوات وأهالي سنجار إن شاء الله، حيث أننا غداً أو بعد غد سندخل الموصل لذا عليكم أن تستعدوا لترتيب الأمور الداخلية، وعليكم أن تقوموا للدفاع عن الوطن وطرد الإنكليز وتوحيد الحركة معنا وتجرون اللازم مثل ما عمل أهالي تل عفر ودير الزور والبوكمال. ثم يلزم إحضار محلات لأجل إسكان العسكر والعربات والمجاهدين. ثم تكتبون مكاتيب إلى العشائر في طرفي الدجلة من شعبة العهد ومن قبل حاجي محمد النجيفي والشيخ سليم وهو من أصحاب النفوذ والنصرة من عند الله والسلام على الأحرار العاملين.

/١٧/ رمضان/١٣٣٨/ قائد الجيوش الشمالية

وبدأت المدافع ترمي القوات والقرى المجاورة وسقطت شظاياها على البيوت، وبنفس الوقت كانت الطائرات البريطانية تلقي قنابلها على الثوار مما سبب إرباكاً في صفوفهم وهم الذين لا يملك بعضهم سوى السيوف والخناجر، فتراجع قسم منهم وابتسم القائد الإنكليزي وربت على كتف خليل السيفاوي[1]، وهو يشاهد أثر خطته على العشائر وبالتالي أدى إلى هزيمة منكرة في وقت قصير بينما ثبت بعض العشائر وهم قلائل يحاربون الإنكليز وحاولوا الإلتفاف عليهم.

ويقول عبد الحميد الدبوني لم يبق في الميدان غير قواتنا الأصلية وبضعة فرسان من درك تل عفر بأمرة السيد جميل الخليل، وبعض رؤساء العشائر نذكر الشيخ عجيل اليارو والشيخ مسلط باشا، وبعض شيوخ عشيرة العكيدات ورؤساء وأغوات التل عفر حيث استبسلوا هم وفرسانهم كل الاستبسال فاستشهد منهم أربعة من الفرسان وهم خضر خلف الدرج ـ وثلاثة من عشيرة البومتيوت وهم عبيد بن علي

---

[1] ـ خليل السيفاوي: من العملاء المتعاونين مع الإنكليز آنذاك.

بن ذياب وجمعة بن عمر ومحمد بن صالح السلامة وجرت عدة محاولات للانتقام منهم ومن مدافعهم، وقام الشيخ مسلط والشيخ عجيل بالإلتفاف على الإنكليز فقتلوا منهم ستة عساكر كما خسروا العديد من رجالهم، وهكذا تكون هذه القبائل قد شاركت بضريبة الدم للدفاع عن حمى الأوطان.



صورة لبعض رؤساء تل عفر والعشائر المجاورة من الذين ساهموا في ثورة تل عفر/١٩٢٠/ ضد الإنكليز ويبدو في الصورة الثاني إلى اليمين الشيخ مسلط باشا

معركة أبو كدور

في صبيحة حزيران/١٩٢٠/ تحركت جموع عشائر الثوار من أهالي تل عفر من قرى دويم وديونة وأبو ماريا وعين البيضة والمزرع باتجاه الموصل، وانتشروا في جبهة طويلة عريضة في تلال ثلاثة حتى تل أبو كدور وقرى حسن كيف

والبوير والكونسية، ووصلت القوى الرئيسية بقيادة المدفعي إلى قرية أبو كدور بعد مسيرة ساعة ونصف من قرية دويم وأرسل المقدم(ساريل) رعيلاً من خيالته ومدفعاً، وبعض الرشاشات بقيادة الكابتن كاوان كمقدمة تشاغل قوات العشائر وتستطلع قوتهم، فالتقت قوة الاستطلاع بقوة الثوار وراء تل أبو كدور، وأطلق الثوار النار على الخيالة الإنكليزية من جبهتهم فمن جهة حسن كيف كانت جماعة الخيالة التلعفريين والعشائر الأخرى، ومن جهة البوير كانت خيالة الكركرية وما إن رأى الحاكم كاوان جموع العشائر التي ملأت مساحة واسعة من أرض المعركة وهي تتقدم باتجاه القوات الإنكليزية حتى هاله الأمر، وعلم أنه لا قبل له بهذه الحشود الهائلة، فقرر حمل راية التسليم وطلب التسليم ولكن خليل السفاوي ـ أبو رغال العصر ـ قال له ارمهم بالمدافع لأن هؤلاء عشائر ولا يثبتون وسوف يهربون من سماعهم هدير المدافع وبتقدير القائد الإنكليزي نفذ أقوال عميله.

ومن ناحية أخرى فلقد أظهر فرسان الجبور والقبائل الأخرى بطولات فردية حطموا خلالها بعض المدرعات بالبلطات وأحرقوا قسماً منها، إلا أن الطائرات فتكت بهم، وهكذا سرت الثورة من جديد للإنتقام والثأر من الإنكليز، واستمر الجبور يقاتلون حتى أخذوا بثأر رجالهم وفرسانهم من الجنود الإنكليز وحتى جلاء المستعمر الإنكليزي عن تل عفر وعن الموصل، والتفتوا إلى مقارعة الإستعمار الفرنسي في سوريا حيث كان تداخل الحدود بين الجزيرة العليا والموصل وسنجار والجزيرة السفلى حتى الفرات شمال دير الزور.

مرحلة التعاون التركي العربي

شعر بعض العرب بضرورة التعاون مع الأتراك بحجة رابطة الإسلام ضد فرنسا والإنكليز خاصة، ولم يبق مبرر لمعاداة الأتراك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، إثر ذلك أرسل أعضاء جمعية العهد في الموصل إلى المركز العام للجمعية بدمشق ضرورة هذا التعاون منددين بالإنكليز والفرنسيين وأعمالهم التعسفية بالبلاد

وداعين أيضاً بعد الإتحاد الإسلامي إلى اتحاد بلشفي جرماني أن التعاون مع بلاشفة روسيا الذين ثاروا ضد الحكم القيصري في/٧/ تشرين الثاني /١٩١٧/ وأبدوا تعاطفاً مع الحركات الوطنية ضد المستعمرين، أما الجرمان الألمان فكانوا أعداء فرنسا وانكلترا وقد خسروا الحرب العالمية الأولى، وكان قصد جمعية العهد تجميع كافة القوى المعادية للاستعمارين المذكورين حيث جرى شيء من التعاون بين العرب والأتراك وذلك بإيفاد رؤوف الشهواني إلى استانبول لإجراء مفاوضات مع الأتراك لتحرير كيليكيا وسوريا والعراق، حيث فاوضهم الشهواني بعد مشقة الطريق الطويلة، وكان برفقته رشدي الخوجة وحين عودته إلى دمشق عرض ذلك على الملك فيصل، إلا أنه أرجأ البت فيها. ذلك من الأمثلة الأخرى على التعاون العربي التركي إيفاد محمد أمين العمري إلى ماردين لإجراء مفاوضات مع الأتراك والحصول على بعض الأسلحة من الأتراك لم يعطوه سوى بعض الأسلحة الخفيفة كان منها المدفعان المذكوران عند ذلك طلب محمد أمين العمري أن يذهب بنفسه لجلب الأسلحة فوافق جودت الأيوبي على ذلك، لكنه أبطأ عندهم وكتب الرسالة التالية على نتائج مباحثاته مع الأتراك.

ماردين/١٥/ نيسان ١٩٢٠

حضرة معتمد جمعية العهد..حضرات الإخوة الكرام.

سلام واحترام..وبعد

١ ــ فإن وضعنا السياسي والعسكري اقتضى أن نأتلف مع إخواننا الأتراك، وتوسطت أنا بشخصي بهذه المسألة بموافقة المركز العام وموافقة مولود باشا، وكنا قد تشبثنا بذلك زمن الهاشمي وقد تم الإئتلاف فيما بيننا. وبين الأتراك على هذه الأساسات:

أ ــ قبول أصول(الكونفدارسيون مع الأتراك) بموجب مبادىء ولسون، وإعطاء البلاد المسكونة من العرب للعرب ومن الأتراك للأتراك.

ب ــ إبقاء الخلافة للأتراك.

جـ ــ عند احتلالنا للبلاد ولا سيما الموصل سيتم تشكيل حكومة وطنية مؤقتة

إلى أن يقرر مصير البلاد وينتخب الملك.

د ــ إثارة العالم الإسلامي بكل الطرق، وتوحيد المساعي والتعاون والتعاضد المتقابل هذه الأساسات التي تقررت بيننا.

٢ ــ أملي وطيد بأن آتيكم بقوة كافية مع مدافع ورشاشات ولازلنا مشغولين في الاستحضارات، وأملي وطيد أن نخلص استحضاراتنا ونباشر في الحركات في/١٥/ مايس سنة ١٩٢٠ ومع ذلك نريد المبادرة وبذلك سنرسل لكم الأخبار ــ لاشك أنهم مهتمون بتزويد قوة ماليتكم وبجميع الإعانات بصورة مختلفة.

٣ ــ نحتاج إلى متطوعي المدربين لتسجيلهم في الدرك معاش الجندي المشاة أربع ليرات والخيالة سبع ليرات، وقصدنا من ذلك أن نجمع قوة تمشي تحت لوائنا.

٤ ــ جهزوا العشائر بطرفكم للعمل.

٥ ــ ما مقدار جنود العدو تقريباً ما بين الموصل والجزيرة وما هي أجناسهم.

٦ ــ الأخ حامل الورقة عبد الله جلبي يخبركم بالأحوال مشافهة ومفصلاً.

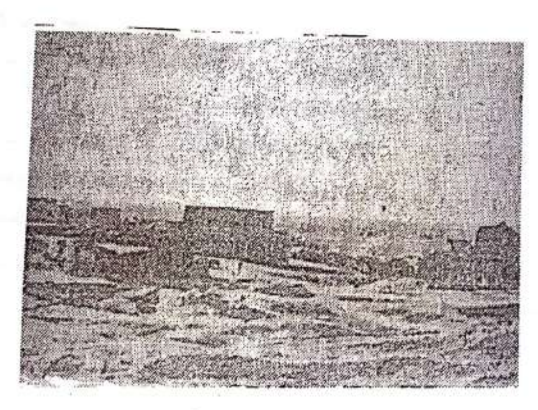
٧ ــ أرى من المناسب أن توحدوا الأعمال مع جمعية الأتراك وتنظروا مدى ائتلافهم معنا.

٨ــ بعد بضعة أيام أتوجه إلى دير الزور والحسكة وأخابر مولود باشا بهذه المواضيع.

٩ ــ الأتراك قطعوا علاقاتهم مع الأستانة قريباً سيجمعون مجلساً ملياً فوق العادة يتخذون مقررات قطعية بخصوص ائتلافنا معهم.

١٠ ــ مفاوضاتنا هذه مع الأتراك ما هي إلا مفاوضات شفهية لم تدخل تحت الإمضاء، وكل ما يهمنا أن يعاونونا بالسلاح الذي نحتاج له.

كانت مفاوضات أمين العمري مع الزعيم التركي كنعان بك آمر الفرقة الخامسة فتمكن من أخذ /١٠٠/ من العتاد والأسلحة الخفيفة زهاء/٥٠٠/ طلقة مدفعية، وكذلك طلب من الأتراك مدفعين جبليين لاستخدامهما في الثورة، فوعدته القيادة التركية العليا بذلك فرجع إلى دير الزور ومعه هذا العتاد ثم عاد إلى ماردين ثانية في شهر نيسان ١٩٢٠ لأخذ المدفعين إلا أن الأتراك ماطلوا في ذلك الأمر.



صورة تلعفر وذلك سنة ١٩٢٠

وبعد إعلان الثورة على الإنكليز شاركت أغلب العشائر هناك، واجتمع رؤساء هؤلاء العشائر بالمسؤولين الأتراك في جيزة ابن عمر وديار بكر وقد قام الثوار بتشكيل عصابات للهجوم على القوافل والمنشآت البريطانية فقاموا بهجمات جزئية موفقة طوال فصلي الصيف والخريف، وعندما شكل الكابتن كرتين معاون الحاكم السياسي في الشمال قوة من العشائر والأهالي لضرب الثوار الذين سمتهم السلطات المحتلة باسم البلشفك تشبيهاً ببلاشفة روسيا قام الأتراك بمساعدة الثوار بالسلاح وأرسلو سرية عسكرية لهذا الغرض، فكانت معركة قرة شوك التي عاد منها كرتين مع قواته المبعثرة فاشلاً يجر أذيال الخيبة والخسران، وبعد سقوط دمشق في يد الفرنسيين لجأ بعض الوطنيين إلى تركيا واستقروا في ماردين وديار بكر ونصيبين وجزيرة ابن عمر، أراد هؤلاء الوطنيون أن يعيدوا الكرة مع الأتراك لطرد الأجانب واتفقت جمعية العهد والجمعية التركية على أن يعيدا الكرة مع الأتراك لطرد الأجانب، واستمرت الفكرة قائمة حتى إعلان ملكية فيصل الأول ملكاً على

العراق، يقول إيرلاند: كان العامل الرئيسي الذي شجع الحركة الوطنية في أواخر ١٩١٩ وأوائل سنة ١٩٢٠ الحوادث التي وقعت في دير الزور والجزيرة حتى الموصل حيث أن المنطقة كانت قريبة من تركيا.

وكانت الروح العربية الوطنية تتغذى من منابع سورية وكمالية. ويقول أيضاً إلا أن التأثير الآخر على هذه المنطقة جاء من ماردين وديار بكر بأمل الحصول على المساعدة من الأتراك غير أن الوعود لم تتحقق.

وأيقن كثير من العرب في النهاية بأن أية مساعدة يقدمها الأتراك كانت غايتها ترويج مصالحهم في مناوئة البريطانيين والفرنسيين وليس لتعضيد حركة العرب.

وتقول المس بيل: كانت جميع المعلومات تدل على قرب وقوع هجوم على الموصل حيث وصلت الأخبار منبئة بوقوع تحشدات في الفدغمي قرب الشدادي على الخابور بقيادة جميل بك المدفعي أحد الضباط الوطنين في الجيش العربي السوري، وقد قيل إنه كان ينقل العتاد بواسطة الخابور من المناطق التركية، كما أنه على اتصال وثيق بقائمقام جزيرة ابن عمر السابق حيث إن هذا القائمقام كان من الدعاة المعروفين الذين كانوا يبثون الدعاية المعادية لنا وكان نشاطه بين القبائل الكردية موضع اجتماع رسمي قدم إلى الجهات التركية وعلى هذا الأساس كانت الحكومة التركية في استانبول قد أخرجته من الوظيفة، لكنه استمر على قيامه بالواجب.

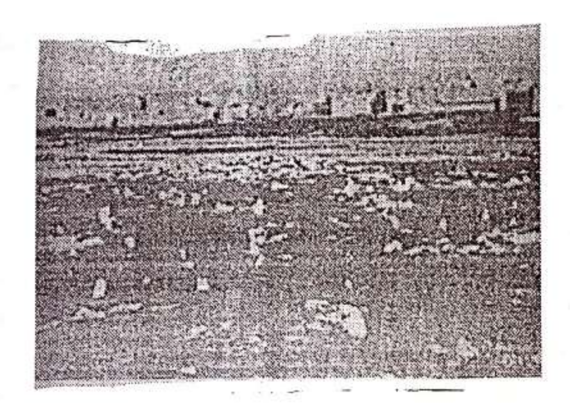
وجاء في التقرير البريطاني: عن الشؤون العشائرية والسياسية لسنة ١٩٢٠ مايلي(أما العامل الرئيسي الثاني فهو الموقف العدائي الذي وقفه إزاءنا الترك الكماليون علنا.

إن هاتين القوتين وهما الوطنيتين العربية والكمالية قد امتزجتا في بعض الأحيان امتزاجاً شديداً وكافحتا سياستنا برمتها).

وحين بسط الإنكليز نفوذهم عينوا حكاماً عسكريين وحين ذلك سموهم بالحكام السياسين. وكانوا يجهلون التقاليد والعادات فخرجوا على الأهالي بالتعسف

والاحتقار فداخل النفوس العربية التذمر والاشمئزاز كما اتبع الإنكليز سياسة التفرقة بين العشائر إرضاء لهم واستمالة جانبهم مما أثار حفيظة العشائر الأخرى ورؤسائها عليهم وقد فطن لهذه السياسة بعض الرؤساء الوطنيين فلم تنطل عليهم، بينما وقع في حبالها البعض الآخر حيث إن إيجاد الشقاق والتنافس بين رؤساء بعض العشائر بمحاباة بعضهم على حساب البعض الآخر مما سيؤدي إلى كره أحد الفريقين للفريق الآخر، ومما هو جدير بالذكر أن الإنكليز كانوا يوغرون صدور عشيرتي شمر والجبور على بعضهما البعض فيزيدان الطين بلة لأتفه الأسباب، وكثيراً ماراحت ضحايا كثيرة بسبب اتساع دائرة هذه الفتن من خلال سياستهم البشعة(فرق تسد) فتارة كانوا يناصرون شمر ضد الجبور وتارة أخرى كانوا يناصرون بعض الأقليات وإثارة الفتن فيما بينها وبين بقية المواطنين، ومما هو جدير بالذكر أن الإنكليز كانوا قد استعملوا طائراتهم الحربية آنذاك بحجة تهدئة أوضاع العشائر، إلا أنهم كانوا يضربون بطائراتهم حتى الرعاة وبعض فرسان الجزيرة ويقول إيرلاند: إن الحكومة البريطانية أجبرت المناطق العشائرية على دفع الضرائب بصورة لم يكن لها مثيل من قبل وإن الملتزمين الذين كانوا يتخذون مختلف الرسائل الشاذة للتهرب من دفع بدل الالتزام، ولم يكن لديهم ما يدعوهم إلى الرغبة في استمرار وجود الحكومة التي كانت تصر على دفع البدلات والضرائب الحكومية أيضاً، وعساني لا أشط في الكلام، إذ قلت إن ما يعتقده بعض المؤرخين من أن الكفاح الطبقي بين الفلاحين من جهة وبين المالكين من جهة ثانية كانت سبباً من أسباب الثورة على اعتبار أن مصالح الطبقة الأخيرة كانت مرتبطة بعجلة الإستعمار، إلا أن الطبقة الفلاحية في الريف وعشائر البادية آنذاك لم تكن بدرجة من النضج والإدراك والوعي الكافيين.

مما جعل الإنكليز يطبقون نظام ساندمان لتعزيز سلطة العشائر والمتنفذين من الملاكين والمزارعين وذكرت المس بيل: أن العلاقات بين الفلاحين وملاكيهم تتقسم إلى فرق يرأسها الأغوات الذين يعتبرون الأرض ملكاً لهم عملياً.



صورة قرية قبك التي تجمعت فيها الثورة العشائرية

فإن الملاكين يدفعون لهم الطابو مع أنهم كانوا يقدمون للملاكين كل ما يطلب منهم حتى قوت عيالهم، وكان البعض الآخر من الفلاحين لايقتنع بتسجيل الأرض باسمه أو باسم أولاده خشية أن يستدعيهم الاستعمار للخدمة العسكرية في قواته وأثناءها كانت المجاعة والقحط قد ضربت أطنابها في المنطقة، ففتح العثمانيون مخازن الحبوب العثمانية في سبيل كسب تأييد الشعب لهم وإظهار إصلاح حكمهم وأثر ذلك، ومما ساعد على نشوب الثورة أسباب عديدة أهمها الشعب بفئاته وطبقاته ورجال الدين وأسباب أخرى للثورة كان أهمها النظرة الدونية للعشائر العزل باتجاه أسلحتهم فنظمت مضابط وطنية سرية تندد بالاستعمار رداً على المضابط الإنكليزية هم أعضاء جمعية العلم والعهد وزعماؤها في سوريا، وحين علمت الجمعيتان بقدوم لجنة الاستفتاء الأمريكي والتي كانت تتبنى مبادئ ولسن الأربعة عشر في حق تقرير الشعوب لمصيرها بنفسها. أثناء تنظيم المضابط كان الملك فيصل سيصل قريباً إلى دمشق، وإن العالم المتمدن يساعد العرب في قضيتهم ويطلب اتخاذ الاستعداد على التصويت والإسراع في إرسال المضابط فتمت التجهيزات لاستقبال

اللجنة من قبل جمعية العلم في دمشق وإرسال مندوبين إلى منطقة العشائر لتهيئة الأفكار على أن يقوم هذا المندوب بتأسيس ارتباط مع حلب والقيام باستقبال اللجنة من الخابور ونصيبين، وأن يعمل لها مضافة خاصة في أحد مضارب العشائر هناك.إثر ذلك نظمت المضابط التوكيلية حيث كانت جمعية في كل من حلب ودمشق قد طلبت من جمعية العلم بالموصل قبل استبدالها باسم جمعية العهد بالإسراع في إرسال المضابط التوكيلية في كل المناطق وتختيمها من رؤساء العشائر، حيث كان محمد علي آل سيد شيت ومحمد العمري مكلفان بتختيم مضبطة عشائر الجزيرة، وكان يرافقهما منيف آل عاصي الفرحان ثم تابعوا مع زمرة من خيالة عبدة إلى بقية مضارب شمر، بعد ذلك توجهوا صوب مضارب طي في مضيف محمد العبد الرحمن ثم إلى مضارب الملية من الأكراد في مضيف إبراهيم باشا الملي حيث تابعوا طريقهم إلى قبيلة(جيس) الذين كانت تربطهم بالملية نسب وخؤولة. أثر ذلك توجهوا إلى مضارب عشيرة الجبور ونزلوا في مضيف الشيخ مسلط باشا الملحم، وبعد ذلك تم إمضاء المضابط من قبل رؤساء العشائر المذكورة وقرأوا عليهم رسالة الأمير فيصل التي كانت تحثهم على تأييد الحركة العربية والتي جاء بها رمضان الشلاش والذي توجه معهم إلى مضارب البوسرايا من عشيرة العكيدات في دير الزور حيث استكملت المضابط وأرسلت إلى لجنة الاستفتاء الأمريكية في دمشق.

وهذه مذكرة جمعية العهد في الموصل ورؤساء الجزيرة إلى الوفد الدولي:

(حضرات أعضاء الوفد الدولي المحترمين... احتراماً وبعد):

إن من حق الأمم والشعوب التمتع بحريتها واستقلالها ومقاومة تسلط أمة قوية على أمة ضعيفة لعدم شرعية ذلك التسلط، وأن الأمم المتحالفة لم تدخل الحرب لتحرير الأمم الرازحة تحت نير العبودية، وقد اختار العرب الدخول إلى جانبهم في هذه الحرب تحت راية الشريف حسين استناداً إلى هذه المبادىء ووعداً من بريطانية بمساعدة العرب لنيل استقلالهم، وقد ساعدوا بريطانيا كثيراً خلالها لكنهم

أصيبوا بخيبة أمل كبيرة لتنكر بريطانية لتلك الوعود وتضييقها للحريات وغصبها للحقوق المشروعة، وقد نتج عن سياستها هذه قيام السكان بالثورات ضدها، وإننا نعرض على الوفد الدولي مايلي:

١ ــ قضية الاحتلال العسكري البريطاني لبلادنا وضرورة منحنا الحرية والاستقلال.

٢ ــ أما نحن معاشر شمر وطي والجبور والكركرية قوم نأبى الضيم ولا نصبر على تمادي الظلم، آلينا على أنفسنا أن نقاوم كل من يريد بنا وببلادنا الشر، ولا يراعي حقوقنا وماوعدتنا به الدول الحليفة على ألسنة ممثليها ورجال سياستها وملوكها، وأننا على أتم استعداد لغسل كل عار لحقنا أم سيلحقنا بعزيز دمائنا.

٣ ــ ثم إننا الموقعون على هذه العريضة نطلب وقاية بلادنا من دسائس الإنكليز، وعدم الالتفات إلى أقوال نفر قليل لاتمثل الأمة من أجراء البريطانيين.

٤ ــ إننا لانقبل حكومة أو إدارة غير عربية، بل نطالب بالاستقلال استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية.

٥ ــ من مستلزمات استقلالنا احترام حقوق الأقليات، نرجو عند مجيئكم إلى طرفنا أن تعلنوا لنا قبل المباشرة بالاستفتاء إبداء رأيهم بحرية تامة للحد من تدخل السلطة الاحتلالية التي ضيقت على الأهلين تفضلوا بقبول فائق احترامنا مع رجاء التوفيق لحضراتكم في مهامها الإنسانية العظيمة.

٣٠ مارس ١٩١٩ ــ ٣٠ شعبان ١٣٣٧.

توقيع رؤساء عشائر الجزيرة ــ ختم جمعية العهد.

ــ وقد ذكر المؤرخ الحلبي: منذر الموصلي في مجلة(سوراقيا) العدد /٦٨٤/ تاريخ ١٤/١٠/١٩٩٦ في الصحفة رقم /١١/ يقول:

كانت ثورة عربية لاهبة ضد الاحتلال البريطاني الذي يرى جبل العراق محمية بريطانية تابعة لحكومة الهند قاطعاً ما بين العراق ومحيطه العربي كله، ثم اتصلت ثورة الجنوب بثورات الشمال العربية والكردية في تل عفر وجهات الموصل

وشاركت فيها عشائر عربية عديدة وهي: شمر والجبور وعبده وطي وفيهم: الشيخ عجيل اليارو والشيخ مبرد السوري والشيخ مسلط الملحم والشيخ بنيان الشلال والشيخ علي السلطان والشيخ حنش بن حديد والسيد عبد الحميد الدبوني الموصلي والسيد عبد المطلب آغا والسيد جميل آل خليل وغيرهم.."

كما وأرسلت جمعية العهد كتاب تهديد إلى الحاكم الإنكليزي باستعمال العنف والقوة إذا لم تبدل بريطانيا سياستها التعسفية وتحصل البلاد على أمنيتها في الاستقلال، وتم توقيع معتمد الجمعية(محمد رؤوف الغلامي) وتواقيع رؤساء العشائر بالجزيرة في تاريخ ٨ رمضان ١٣٣٧ الموافق ٧ حزيران ١٩١٩ م. وقد أشار كتاب الجمعية إلى الاحتلال العسكري البريطاني غير المشروع، وعدم وفاء السلطات بوعودها ومحاولتهم أستعباد الأهالي وتوقيف بعض الشباب العرب بسبب مواقفهم ووضع شارات العلم العربي على صدورهم وقيامهم بحرق المراعي الحيوانية في الجزيرة، واتباع سياسة التفرقة بين بعض العشائر الأخرى، كذلك مساسهم بالأخلاق العامة والتقاليد الموروثة كما جاء في الكتاب(أننا مستعدون لرفع كل سلطة أجنبية عنا بقوة الساعد وضرب اليمين طالما فينا عرق ينبض وحينذاك إما أن نموت كراماً أو نطرد كل أجنبي غاصب لبلادنا فنحصل على استقلالنا وحكم بلادنا بأنفسنا ونعيش فيها كما يعيش الأحرار).

تواقيع رؤساء عشائر الجزيرة

ختم جمعية العهد

المعتمد ــ المنصور

•••

الفصل الثالث

فترة الصراع ضد الفرنسيين

من نضال الجزيرة

إذا تحدث التاريخ بفخر عن النضال البطولي لجماهير شعبنا ضد الفرنسيين في جبال هذا القطر ومدنه وسواحله فإن التاريخ كان مقصراً"بحق نضال جماهيرنا في محافظة الجزيرة، فجماهيرنا تذكر الشيخ صالح العلي، وثورة أهالي جبل الزاوية، وثورة حماة، وتذكر باعتزاز كبير الثورة السورية الكبرى بقيادة الزعيم سلطان باشا الأطرش. إلا أن جماهيرنا لم تعرف شيئاً"عن ثورة /بياندور/ وثورة عامودة وبطولات الشيخ جميل المسلط لأنه لم يتحدث عنها إلا القليل، حيث صارعت العثمانيين في أواخر عهدهم، وصارعت الإنكليز في تداخل الحدود الشرقية بين الموصل والجزيرة، وصارعت الفرنسيين، وبرز أبطال وطنيون شرفاء نذكر منهم: على سبيل المثال وليس الحصر: الشيخ جميل المسلط ودهام الهادي وحماد السلطان ومحمد عبد الرحمن الطائي وسعيد آغاى الدقوري وعيسى العبد الكريم والحاج سليمان عباس المصطفج وسعيد اسحق، وبرز كذلك من رجال الدين المطران قورياقس مطران الجزيرة والفرات، وكذلك الشيخ بشير الحامدي والشيخ أحمد القادري نقيب الأشراف والشيخ أحمد الخزنوي وغيرهم عبر وحدة وطنية وتلاحم مصيري لطرد الغزاة ليس من الجزيرة فحسب بل عن كل شبر من تراب سوريا العزيزة الغالية.

موقف آخر

حين شكا الجبور إلى الشيخ جميل المسلط بأن الفرنسيين لم يبقوا من قطعانهم إلا القليل كما أرهقوهم بالضرائب والأتاوات، فغضب الشيخ جميل، فجاء لمقابلة المسؤول الفرنسي آنذاك، ويدعى الجنرال(جاكو) وحين دخل عليه كان لديه مسدس بين ثيابه، إلا أنه طلب من أحمد الحسين الظاهر خنجراً فتحزم بالخنجر ودخل عليه حيث قال له أحمد الحسين الظاهر أحد أقربائه: دعني أدخل معك ياعمي، وبدلاً من أن تقتله أنت أقتله أنا فأنت شيخ القبيلة لكن الشيخ جميل رفض ذلك ودخل على الجنرال، وبعد أكثر من ساعة خرج الشيخ جميل وهو منفرج الأسارير حيث تم الإفراج عن قطعان الجبور ظناً منهم أنهم سوف يستميلونه إليهم لكنه لم يتهاون أو يتعاون معهم أو مع غيرهم أبداً.

خطاب الشيخ جميل المسلط للفرنسيين

حين حضر المفوض السامي من بيروت إلى الجزيرة للوقوف عن كثب على مطالب الثوار وشيوخ الكتلة الوطنية في الجزيرة وكان الشيخ جميل المسلط قد ألقى كلمة هامة نيابة عن أهل الجزيرة ومناضليها البواسيل والوطنيين الأحرار مخاطباً الفرنسيين بكل رجولة وعنفوان قائلاً لهم: لقد وعدتم سوريا بالاستقلال وذلك في معاهدتكم عام ١٩٣٦ وها أنتم الآن تريدون أن تفصلوا الجزيرة عن سوريا، وإني أقول لكم نيابة عن ثوار الجزيرة، إن الجزيرة جزء لايتجزء من سوريا، ولن تفصلوها عن سوريا ولو فصلتم رقابنا، كما نطالبكم بالذين ذبحوا الدرك السوري ومحاكمتهم أمام الشعب، كما نطالبكم بتنفيذ وعودكم وعلى رأسها استقلال سوريا، وعيب عليكم وعار على فرنسا إذ لم تف بوعودها أمام الدول الأخرى، وكان لهذه الكلمة صدى قوياً ليس في الجزيرة فحسب بل في كافة مواقع الثورات السورية الأخرى. رحم الله الشيخ جميلاً لقد كان بحق شيخاً من شيوخ الوطنية وستذكره الأجيال جيلاً بعد جيل.



الجيش الفرنسي يسوق الشعب قسراً إلى أعمال السخرة

شلة من الضباط الفرنسيين في الجزيرة

من مواقفه الوطنية (عدم فصل الجزيرة عن سوريا العزيزة)

وحاولت فرنسا بكل ما لديها من وسائل وإغراء أن تنصب الشيخ جميلاً أميراً على الجزيرة مثلها مثل أية إمارة في الخليج، لكنه أبى واستنكر استنكاراً شديداً هذه المحاولة الدنيئة، فقال لهم قولته المشهورة: (الجزيرة جزء لايتجزأ من سوريا)، ولن نسمح لكم ولا لغيركم بفصلها، بل كان يطالبهم دائماً وأبداً بالجزيرة كاملة غير منقوصة.

الفرنسيين يهدمون بيت الشيخ جميل في مدينة الحسكة

كان من بين العقوبات التي وجهتها السلطات الفرنسية للشيخ جميل في الضغط عليه وعلى رجاله وعلى كل ثوار قبيلة الجبور أنهم هدموا بيته.

الفرنسيون يفرضون غرامة مالية كبيرة ألف بندقية على قبيلة الجبور

كل هذه الأساليب كانت السلطات الفرنسية تلجأ إليها لكي يدخل الشيخ جميل في صفوفهم، لكنه كان أقوى من كل أحاييلهم ودسائسهم المغرضة.

الفرنسيون يمنعون الشيخ جميل ورجاله من العبور من جسر الحسكة

نعم كان هناك معبران الثالث لهما على نهر الخابور.. وذلك لعدم السماح بشراء المواد التموينية لجميل ورجاله حيث كان الجسر الفرنسي على نهر الخابور الذي يستخدم كمعبر للمشاة ولعربات الجيش الفرنسي. وهكذا حرمتهم فرنسا حتى من مجرد العبور لجلب موادهم التموينية من مدينة الحسكة.

الشيخ جميل يرسل الطعام للدرك السوري عبر نهر الخابور

حين طوقت السلطات الفرنسية رجال الدرك السوري وحرمت عليهم الطعام والشراب لم ير الشيخ جميل سوى أن يزودهم بالطعام بوساطة الثوار من رجاله

عبر نهر الخابور، والذي كان محاذياً لدار الحكومة(السرايا) آنذاك، ولطالما كانت له هذه المواقف الوطنية النبيلة.

الفرنسيون يأسرون وينفون بعض رجال الشيخ جميل

نعم لقد ألقي القبض على رجال الشيخ جميل، وهم ينقلون الطعام للدرك السوري من الطرف الأول من نهر الخابور إلى الطرف الثاني منه حيث السرايا ووجدت لدى بعضهم رسائل من الطرف الثاني من نهر الخابور لتوسيع دائرة الثورة لتشمل الجزيرة كلها وتوحيد الموقف وتطويق المرتزقة من جيوش السلطات الفرنسية، ونفي بعضهم إلى بيروت وقسم منهم إلى جزيرة أرواد نذكر منهم: ــ خلوي الكندار ــ صلك المحيل ــ وعيسى الجزيرات ــ ومحمد المحيل ورجالاً آخرين، وكثيراً ماهشم هؤلاء المدرعات الفرنسية بالبلطات والأسلحة القديمة لكن قوتهم وعزمهم على الانتصار وطرد المستعمر بكل قوة المؤمنين بالله والوطن جعلتهم متسلحين بالثقة الأكيدة بالنصر، واستمرت محاولاتهم لشراء الشيخ جميل بالمال والسلاح والمنصب، لكنه كان عزيز النفس غالي الكرامة بل هو على مبدأ(عيشة بالذل لاترضى بها وجهنم بالعز أفخر منزل) ورحل الشيخ جميل إلى عشيرته في العراق قرب الحدود السورية العراقية ، وأوفد له الفرنسيون الجنرال ــ جاكو) وبعض الرجال الذين كانوا يراهنون على عودة الشيخ جميل إلى صف فرنسا لكنه أبداً لم يصالح، ولم يساوم كما أنه لم يهادن عدو الشعب والوطن.

وهكذا استعصى الشيخ جميل على هيبة فرنسا، ولم تفلح في ترويضه هو أو ولده هواش كما في القصة التالية: وهي من بطولات الجبور ضد فرنسا: " ليلة القبض على جبارة ":

القبض على جبارة الوادي

بينما كانت فرنسا تحاول ترويض الوطنيين وكسر شوكتهم رغم محاولاتها الدنيئة بالمال والسلاح والمنصب والجاه العريض إذ استعصى الأمر على القوات

الفرنسية في السيطرة على الجزيرة فلم تترك حيلة ولا وسيلة لذلك بدون جدوى، وبينما كان مستشار المفوض السامي يقوم بجولة استطلاعية على الجزيرة بين مضارب قبيلة الجبور قرب مضيف الشيخ جميل المسلط، وبينما المستشار وسط هيبة فرنسا وعددها وعدتها من الحراسة المشددة والمرافقة المتربصة، انقض عليه بطل مقدام من فرسان الجبور وكان يدعى جبارة فطعنه بخنجره وهرب بسرعة خاطفة كالبرق مما أصاب الفرنسيين بحالة من الخوف والذهول والاندهاش حيث لم يخطر على بالهم مثل هذه الشجاعة والجرأة والإقدام بين كافة القبائل التي بسطوا نفوذهم عليها، بل كيف لهذا البطل الجبري أن يقتحم حشد مستشار المفوض السلمي الفرنسي محاولاً قتله نهاراً ؟ فيا للبطولة وهكذا اختلط الحابل بالنابل، ولكن جبارة فر من بينهم بلمح البصر والتجأ للعراق، فجن جنون المستشار الفرنسي محاولاً القبض على جبارة حياً أو ميتاً، وأعطى مبالغ ضخمة كجائزة لمن يلقي القبض عليه.

فاتصل المفوض السامي بالقائد الإنكليزي في شمال العراق لتسليم جبارة لهم، واستنفرت القوات الفرنسية والإنكليزية وعلى طول الحدود السورية العراقية، ولم تفلح القوتان الاستعماريتان في القبض على جبارة وفي محاولة أخيرة من فرنسا، حيث حل المستشار الفرنسي في مضيف الشيخ جميل المسلط ضيفاً، تغير أسلوبه ولهجته تماماً، قائلاً شيخ جميل ها أنذا الآن ضيفكم، ولن أشرب قهوتكم ولن أتناول طعامكم كما هي عاداتكم، وإني واحد منكم فقط أبتغي منكم شيئاً واحداً فقط ألا وهو أن أرى هذا البطل الذي اسمه جبارة، فقط رؤيته، وإني أقسم لكم بشرف فرنسا العسكري لن أمسه بشعرة، ولكم الشروط التي تملونها علي في سبيل الحفاظ على حياة جبارة واعتبروني أسيركم من هذه اللحظة، وإن شئتم فسوف أصرف عساكري ولكم شروط الأمان لكم ولجبارة هي لكم لأني أصبحت مهووساً لرؤية هذا الرجل الذي لم أر في حياتي شجاعة ولاجرأة لافي أفريقيا ولا في المغرب ولا في جميع البلاد التي حاربت فيها، ووصلت إليها يد فرنسا مثله، وبعد طول المجادلة والمفاوضات بين المستشار والشيخ جميل وولده هواش اقتنع الجميع بصدق نوايا

المستشار فما كان من هواش إلا أن أخذ على عاتقه أنه سوف يريه جبارة، لكن الشيخ جميل خاف على ولده هواش من الإنكليز في العراق أن يلقوا عليه القبض، لكن هواش أقنع المستشار ووالده أنه لابد من أن يحضر جبارة من العراق مهما كانت الأسباب، وهكذا ذهب الشيخ هواش إلى مضارب قبيلة الجبور في العراق، وحل عليهم ضيفاً معززاً ومكرماً قائلاً لهم: لن أتناول القهوة ولا الطعام إلى ما أتيت به أعود به فأجابوه: ما طلبك ولك علينا كل ماتطلب عدا جبارة قال لهم: بل جبارة وليس غير جبارة ولكم علي ماتطلبون وإني أعدكم وعد الحر الشريف بأن أحافظ عليه وإن تعرض جبارة لشر فإن رقبتي تكون بدلاً عنه لكم، وبعد محاولات ومماطلات حول إقناع هواش بالعدول عن ذلك، لكن هواشاً أقنعهم الإقناع الكافي وما كان من جبارة إلا أن قال: سوف أذهب مع أخي هواش حتى ولو كان الموت أمامي، وقال عبارته المشهورة: "يارخصاً بحياتي وغلاة بهواش".

وترافقا سوية إلى مضارب قبيلة الجبور في سوريا، حيث لم تكن المسافة طويلة على الخيول فوجدوه حين وصولهم إلى مضيف الشيخ جميل وجدوه مطوقاً بفرسان القبيلة، مما زاد في اطمئنان جبارة، وحين دخول الشيخ هواش إلى المستشار قال له: هل مازلت عند وعدك يا جناب المستشار؟ فقال: إن شرف فرنسا غال علي كما هي عاداتكم الأصيلة غالية عليكم يا شيخ هواش؛ وذهب الشيخ هواش وأحضر جبارة إلى المستشار، فما كان من المستشار إلا أحنى قامته له قائلاً: لم أر في حياتي مثل شجاعتك ياجبارة سوى شجاعة الشيخ هواش الذي جاء بك حياً من بين القوات الفرنسية والإنكليزية المستنفرة على حد سواء منذ أن حاولت مقتلي، والآن بقي في نفسي شيء واحد يا شيخ هواش هو أن تلتقط صورة تذكارية لي ولك ولجبارة، ومما يذكر أن المستشار التقط صوراً للشيخ جميل وللفرسان من قبيلة الجبور وسجل المستشار هذه القصة في مذكراته.

وبعد أن تناولوا طعام الغداء قام الشيخ هواش بأخذ جبارة مسرعاً في إيصاله لأهله خوفاً أن يقتلوا عليه.

فتعلم المستشار الفرنسي من هؤلاء الرجال كيف يكون الوفاء بالوعد والحفاظ على العهد، بل وفوق كل هذا كيف تكون البطولة وتكون الرجولة والحفاظ على مراعاة الذمم ويالها من بطولة حسبت لها فرنسا ألف حساب حيث لاالسلطات الفرنسية ولا السلطات الإنكليزية ألقت القبض على جبارة لكن الشيخ هواش أخذ على نفسه كيف تكون البطولة وهكذا تكون الشجاعة والشيم. أن يفي بوعده وأن يوصل جبارة من حيث جاء به.

صور من شجاعة الشيخ جميل

أما عن شجاعة الشيخ جميل فشجاعته نادرة بين رجال عصره فمن كان يجرؤ على هيبة فرنسا العظمى آنذاك وأن يخاطب الجنرال دنجيليه أو مونبيليه قائلاً له بكل جرأة وشجاعة: "جنرال دنجلييه. شنق. شنق.. صلب... صلب.. هذه أرضنا والأرض مثل العرض، ولن نسمح لكم أن تفتتوا القبائل العربية بعضها ببعض، كما يكفيكم الضرائب والجباية على قطعان قبائل الجبور" فتسايس معه الجنرال دنجلييه قائلاً له: شيخ جميل هدىء أعصابك كن أنت مع الوطنيين، ولكن دع ولدك هواش يكن معنا، ولكم علينا أن نعطي للجبور المال والسلاح والحبوب. وهنا انفجر الشيخ جميل غاضباً في وجه الجنرال الفرنسي دنجلييه قائلاً له: ـــ جنرال دنجلييه تحملنا جوركم ومظالمكم وفتنتكم وقتلكم رجالي، وأخذتم بعضهم نفياً وأسرا إلى بيروت وغيرها، وتطلب مني أن يكون ولدي هواش معكم عليك أن تعلم يا جناب الجنرال أن صديق الاثنين خائن). وأطبق خلفه بقوة وانصرف.

وهكذا هابته فرنسا وحسبت له الحساب والقصص كثيرة عن وطنية هذا الرجل.

البورياش والمستعمر الفرنسي وقصة الشهيد: صالح السلمان الرياشي

في الأربيعينيات من هذا القرن وبينما القوات الفرنسية تبحث عن حبوب للميرة الفرنسية لتموين الجيش الفرنسي بمحافظة الحسكة: فاجأتنا الدورية الفرنسية.

في مكان يقال له(سوح زعلان) وكان بيننا ضيف هو صديق والدي ويدعى: (عبد الله الشيلات) حيث كان هذا الضيف بل قل هذا الدخيل مطلوباً للقوات الفرنسية وصادف وجوده عندنا وهو من قبيل البقارة البوعاصي. حيث قام الفرنسيون بتطويق الأماكن وعلى الفور قامت الدورية الفرنسية بتطويق المكان لكنهم سرعان ماقاموا بحماية ضيفهم وصديقهم عبد الله الشيلات حتى نجا بنفسه ثم تبادلنا إطلاق الرصاص مع الدورية الفرنسية استشهد حينها صالح الخميس الرياشي، وحين نفاذ ذخيرة كل من حسين الخميس وعمير الخميس أشقاء الشهيد صالح الخميس قامت القوات الفرنسية بإلقاء القبض على المذكورين واقتيدا مكبلين إلى السجن الفرنسي بالحسكة قرب دار الحكومة حاليا(السرايا آنذاك) وكان لهم في هذه الحادثة شرف مقارعة المستعمر الفرنسي، وثانياً شرف إنقاذ حياة صديقهم ودخيلهم عبد الله الشيلات ومازالت قبيلة البقارة والقبائل الأخرى تنذر بقصة بطولية كهذه القصة التي دلت على شيء فإنما تدل على الغيرية العربية والشجاعة والحمية لتبقى في ذاكرة الأجيال عنواناً من عناوين النضال الوطني المشرف في محافظة الحسكة.

ولا ننسى موقعة(الهباة).

عن الاستاذ: إبراهيم الخميس. نقلاً عن والده.

والجدير بالذكر أنه في بداية هذه الحادثة قامت السلطات الفرنسية باعتقال الشيخ جميل المسلط على اعتبار أنه يمثل الوطنيين، وتم اختيار ولده الشيخ هواش لإحضار جباره لأنه يملك مكانة خاصة لدى الجبارات لشجاعته الوطنية.

القوات الفرنسية تصادر قطعان الجبور لتموين الجيش الفرنسي

ومما يضيفه الشهود بأنه تم تجميع قطعان الإبل والأغنام وسوقها لصالح تموين الجيش الفرنسي ومصادرة كافة الأسلحة والذخيرة التي كانت بحوزة قبائل الجبور.

الباحث إبراهيم علوان يتحدث: عن نضال الجزيرة

كانت بغية الفرنسيين السيطرة على الجزيرة، فاستنجدت بقوات من موقع دير الزور كما جاءت فصيلة من رأس العين، ثم عادت فلول بياندور مع النجدات إلى موقع الحسكة تجر وراءها أذيال الخيبة.

تشكيل الكتلة الوطنية في الجزيرة

في عام /١٩٣٣/ م، قدم إلى الحسكة من دير الزور محمد الفتيح الذي كان يدعو إلى الكتلة الوطنية، وأخذ يتصل سراً ببعض الشخصيات من أجل تنظيمهم في الكتلة، وعندما قامت الثورة السورية الكبرى عام(١٩٢٥ ــ ١٩٢٧ م)، نفي قسم كبير من رجال الثورة أمثال شكري القوتلي وسعد الله الجابري وفوزي الغزي وفارس الخوري والدكتور الشهبندر وجميل مردم إلى مدينة الحسكة، حيث تسيطر القوات الفرنسية على المدينة، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية.

وخلال إقامتهم في الحسكة اتصل بهم الشيخ جميل المسلط شيخ قبائل الجبور، ودهام الهادي شيخ قبائل شمر، وسعيد الدقوري من زعماء الأكراد، وحمادي السلطان، سراً، ونفر من المواطنين وشيوخ القبائل، وتم تشكيل الحزب الوطني في الجزيرة، ثم تحول هذا التنظيم ؟ إلى ما عرف بجماعة القمصان الحديدية والذي ضم عدداً كبيراً من المواطنين، ثم تحولت جماعة القمصان الحديدية إلى الحزب الوطني المعروف، إثر قدوم نبيه العظمة، وأنشأ الحزب الوطني فيها.

ردت السلطات الفرنسية على هذا التنظيم بتنظيم معاكس ضم بعض الفئات الموالية للسلطة الفرنسية، فتشكل في الجزيرة ما عرف باسم الإشارة البيضاء، إلا أن هذا التنظيم لم تكتب له الحياة بسبب اكتشاف أمره من قبل المواطنين وارتباط أعضائه بالسلطة الفرنسية.

محاولة فصل الجزيرة والفرات عن سوريا عام /١٩٣٧/ م

تحقيقاً لهدف الاستعمار في تجزئة البلاد، قام الفرنسيون بمحاولة لفصل الجزيرة

والفرات كلياً عن سوريا، وقد جرى اجتماع لشيوخ القبائل في الجزيرة ونواب عن الجزيرة ودير الزور في مدينة دير الزور، وطرح مندوب المفوض السامي الفرنسي هذه الفكرة، فلاقت المعارضة الشديدة من قبل شيوخ العشائر: الشيخ حماد السلطان والشيخ دهام الهادي وممثلين آخرين عن دير الزور، وعندما علم الشعب بهذا الاجتماع داهم مقر الاجتماع، وتعرض بعض الأعضاء الذين أبدوا تأييدهم لهذه الفكرة للإهانة من قبل الجماهير، كما أن جماهير الشعب العربي في الجزيرة استطاعت أن تزود الوفد المفاوض في باريس بالعرائض الموقعة من الجماهير مستنكرة محاولة فصل الجزيرة عن سوريا. وهكذا ظهرت الروح القومية والوطنية في الجزيرة، وتجلت في المواقف الوطنية العديدة في كل شبر من الجزيرة، وكثيراً ما اضطرت السلطة الفرنسية لإرسال ممثلين عنها من أجل تهدئة الأحوال والسيطرة على الأمن تارة، ووفود إلى المدينة لتتصل بشيوخ القبائل، وطور آخر باستخدام القوة من أجل ذلك. ففي عام/١٩٣٥/ م، اضطرت السلطات الفرنسية إلى إيفاد مندوب عن المفوض الفرنسي، وهو الكونت مع محافظ الجزيرة نسيب الأيوبي إلى منطقة عين ديوار من أجل تهدئة الأحوال والاتصال بشيوخ القبائل.

مقتل الكابتن جريناس عام /١٩٣٦/ م

لقد حاول الكابتن مع أفراد دوريته التعرض لأحد المواطنين من أفراد قبيلة الجاجان، الذي انتزع منه بارودته وأطلق عليه النار فأرداه قتيلاً.

وقد أقيم للكابتن جريناس نصب تذكاري، بين رأس العين والسفح، في احتفال من قبل السلطات الفرنسية وفرسانها.

وكثيراً ما استغلت السلطات الفرنسية المناسبات للقيام بإبراز عضلاتها ضد المواطنين، كما حدث في الاحتفال الذي جرى عام /١٩٣٦/ م، في منطقة عين ديوار، وفي عام /١٩٣٧/ م، أمام دار الحكومة، حيث حشدت قواتها العسكرية في ساحاتها العامة.

انتفاضة عامودة وضربها بالطائرات عام /١٩٣٧/ م

عامودة بلدة صغيرة تقع على الحدود السورية التركية، في الغرب من مدينة القامشلي، التي تبعد عنها بحوالي/٣٠ / كم.

تشتهر عامودة بزراعة الحبوب لخصوبة سهولها، ويمتاز أهلها بأن لهم الدور الأمثل في المناسبات القومية، إذ قدمت هذه البلدة لثورة الجزائر قرابة /٢٥٠/ طفلاً احترقوا في السينما التي كانت تعرض شريطاً سينمائياً خصص ريعه لصالح الثورة الجزائرية.

جاء الفرنسيون إلى سوريا لتطبيق صك الانتداب ولحماية المسيحيين من المسلمين على حد تعبيرهم الاستعماري المزعوم، ولكن المصالح الاستعمارية كانت غايتها القضاء على الروح الوطنية، والعمل على بث الانحلال القومي، وأكبر تكذيب لهذه المزاعم مشاركة الكثير من إخواننا المسيحيين في النضال ضد الاستعمار الفرنسي في كل أنحاء سوريا عامة وفي الجزيرة خاصة، وها هو المرحوم سعيد اسحق أحد كبار الشخصيات المسيحية أبرز شاهد على ذلك، فقد وقف وقفة مشرفة ضد الاستعمار، فأين الاستعمار الفرنسي من هذا الادعاء؟ وكذلك المرحوم المطران قرياقس، فمن حسنات التاريخ أنه يفضح ما خفي من السيئات مهما طال أمدها، ويميط اللثام عن أسرارها الحقيقية.

هدأت الأحداث في الجزيرة بعض الشيء، إلا أنه بقي تحت الرماد نارٌ حاول المستعمر الفرنسي إيقادها متى شاء، وعندما استلم المستشار الفرنسي بلونديل زمام السلطة الفرنسية في القطر السوري أخذ يقرب من حوله فئة قليلة من أبناء الجزيرة المنبوذين أصلاً من الشعب ومن كافة الطوائف، وشاءت الصدف أن يعين السيد بهجت الشهابي محافظاً للجزيرة، فأخذت السلطة الفرنسية تحرك الاضطرابات، هنا تذكر المفوض الفرنسي الخزي والعار الذي لحق بجنوده في بياندور بالجزيرة، وأخذ بالتحرش بالمواطنين والضغط عليهم، ولا سيما في منطقة عامودة لقتل الجذوة الوطنية فيها.

أخذ الخلاف يتوسع بين الحكومة الوطنية التي تمثل الجماهير في الجزيرة من جهة والحكام الفرنسيين من جهة أخرى، إذ تعمد هؤلاء إهانة الجماهير والقائمقام ورجال الدرك الذين أنيط بهم حفظ الأمن والنظام الوطني، وإزاء ذلك بدأت تظهر بوادر مزعجة من بعض الضباط الفرنسيين وجنودهم فشكلت لجنة في عامودة لمناهضة الاستعمار مؤلفة من السادة: سعيد آغا الدقوري وحاج شيخموس هسو وحسين آغا الأسعد وسعيد اسحق العبد الكريم وعيسى آغا.

قام هؤلاء بالاتصال بالمرحوم دهام الهادي وجميل المسلط ومحمد عبد الرحمن الطائي الذين قدموا لهم الدعم والمشورة الكفيلة بمواصلة النضال ضد الاستعمار الفرنسي، كما شارك إلى جانب المرحوم دهام الهادي السيدان:

عبد الباقي نظام الدين وعبد الرزاق الحسو.

وقام الجميع بالتنسيق مع رجال الحركة الوطنية بدير الزور الذين كانوا يرسمون لهم الطريق الأمثل للصمود والتصدي للحكم الفرنسي، وكل ما هو مفيد لرص الصفوف ونبذ الأحقاد وقتل الشعوبية والطائفية، وعلى قاعدة هذا البناء، قام رجال وجماهير عامودة بالوقوف صفا واحداً دون أن يكون بينهم أي خلاف يذكر، هدفهم الأول والأخير عدم السماح للاستعمار الفرنسي أن يستغل أية ثغرة ينفذ منها إلى مآربه الاستعمارية.

ساعة الصفر:

كان في عامودة ثكنة صغيرة يتواجد فيها الجنود الفرنسيون من الحرس الجوال"الكاردموبيل"، وكان هؤلاء يوجهون الشتائم والإهانات لأهل عامودة، فقام الأهالي بمهاجمة مقر الثكنة بالعصي والحجارة وبعض البنادق القديمة مما جعل الجنود الفرنسيين ينسحبون من عامودة إلى مدينة القامشلي، كخطة مموهة، وذلك لتهدئة الحالة من جهة، ومن جهة ثانية لرسم خطة لهجوم عليها وتدميرها تدميراً شاملاً وحرقها بالطائرات لتشل أية حركة وطنية مستقبلاً.

الهجوم على عامودة بالطائرات:

في مطلع شهر آب من عام /١٩٣٧/ م، وقبل طلوع الشمس، اقترب سرب من الطائرات الفرنسية من مدينة الحسكة، وسرب آخر من مدينة القامشلي، وشنا هجومين بالقنابل والرشاشات أمطرت البلدة بوابل من أثقل القنابل الحارقة مما حولها إلى دمار، وقتل الكثير من الأهالي، فقامت مجموعة من الشعب وممن يمتلكون البنادق بفتح النار على الطائرات المغيرة. وظل الطيران يقصف البلدة لعدة ساعات وعلى شكل دفعات منظمة مما جعل قسماً من أهالي البلدة يلجأ إلى الحدود السورية خوفاً من القتل، ولما علمت السلطات الفرنسية بأن القسم الأعظم من الأهالي قد تركها تجنباً للقصف الوحشي، أمرت مفارز من الدبابات والخيالة والمشاة بدخول عامودة متعاونة مع بعض المرتزقة، وقامت بنهب أثاثها وخيولها وأغنامها، ولم يكتفِ الفرنسيون بذلك، بل قاموا بحرق الكثير من منازلها بما فيها المسجد الذي مازال يشهد على وحشيتهم، وتحولت البلدة إلى أنقاض مهدمة، وتوشحت جدرانها باللون الأسود من شدة الحرائق التي أصابتها.

السلطات الفرنسية تعاقب أهالي عامودة:

لم تكتف السلطة الفرنسية بذلك بل أمرت قيادتها بإجبار السكان على رفع الأعلام الفرنسية فوق بيوتهم، بعد إجبارهم على بناء المتهدم منها، ودفع غرامة بندقية حربية عن كل بيت، أو قيمتها بالليرات الذهبية، إلى الحاكم الفرنسي.

ولم تقف السلطة الفرنسية عند هذا الحد، بل أخذت تلاحق كل الشرفاء من أبناء عامودة، ومنهم السيد سعيد الدقوري الذي التجأ متخفياً إلى خارج القطر، مدة سبع سنوات، وكذلك عائلة القادري التي عاشت بدمشق، وذكر لي الشيخ القادري إن بلدته كانت المركز الرئيسي لاجتماع اللجان الوطنية، ولا يفوتنا أن نذكر أن الشيخ: سيد محمد بشير الحامدي كان من أوائل المناضلين والوطنيين الشرفاء حيث تمت ملاحقته وتوقيفه مرات عديدة وفرضت عليه الإقامة الجبرية(المرفقة صورة عنها)،

وهكذا بقيت عامودة تكافح الاستعمار الفرنسي حتى الجلاء .وها هي اليوم بلدة جميلة تتذكر أيام استعمار الفرنسي بشيء من الاعتزاز والافتخار ليعيش أهلها بدعة وطمأنينة.

الرحمة لشهدائها الأبرار.

هذه عجالة تاريخية دونتها للزمن لئلا يدفنها الماضي وتصبح منسية، راجياً أن يصفح عني إخوتي القراء الكرام، إذا نسيت بعض الأحداث البسيطة، فليس عن قصد أو غير ذلك.

جلاء القوات الفرنسية عن الجزيرة:

في نهاية عام ١٩٤٤ م، استسلمت القوات الموجودة في دير الزور وملحقاتها إلى الحكومة الوطنية، وأرسل إلى الملازم زهدي حماد بك إشعار بالحضور إلى دير الزور لمقابلة كل من سعد الله الجابري، وصبري العسلي وإبراهيم حسن قصار، قائد قوات الدرك العام وقد وضع هؤلاء تحت إمرته القوات اللازمة من أجل تطبيق النظام والأمن، وتنفيذ أوامر السلطة الوطنية في الجزيرة فوضعت الكتيبة التي كان يرأسها الملازم حسن خير تحت إمرته.

ثم تحركت الكتيبة باتجاه الحسكة وهي تحمل العلم السوري وتعزف النشيد الوطني، وعند وصولها إلى مشارفها لاحظت الدوريات الفرنسية قدومها، فانسحبت إلى الثكنات، ثم واصلت الكتيبة تقدمها إلى مقر دار الحكومة، وتوزعت فوق أسطحها، وأسطح بناء الكتيبة الاحتياط والسجن المدني.

وبعد أن استتب الأمن والنظام في المدينة تم إعلام دير الزور بما حصل. فحضر كل من سعد الله الجابري وصبري العسلي وإبراهيم حسن القصار إلى الحسكة، وجرى احتفال جماهيري كبير، احتشدت الجماهير أمام دار الحكومة، وألقيت الكلمات من قبل الوفد القادم، والتي أعلن فيها جلاء القوات الفرنسية عن البلاد.

من كلمة للمؤلف بمناسبة العيد الذهبي لجلاء المستعمر الفرنسي عن سوريا

كل عام وبلادنا تنعم بالحرية والاستقلال..

كل عام وأوطاننا ترفل بأثواب الطمأنينة والأمان..

كل عام وهذا الشعب العظيم يحقق الإنجازات العظام..

كل عام وقائد هذه الأمة يقود السفين بكل اقتدار..

قائد طفرة.. عز نظيره.. عز المثال..

يده الزناد.. ومن مفرقيه يشع الأوار..

هادئٌ.. هادرٌ... وليثٌ هصور..

واشعاع فكر... ونور ونار..

لتبق بلادي.. بلاد العطاء.. بلاد التقدم والازدهار..

في أعياد الجلاء.. لابد أن نذكر الوطن.. والنضال.. والوطنية.. ولا أدري هل نسي المؤرخون.. أم تناسوا.. أن هذه المنطقة الشرقية من قطرنا العربي السوري الصامد... قد جابهت وصارعت ثلاثة أنواع من الاستعمار العثماني البغيض.. والمستعمر المتغطرس عبر تداخل الحدود الشرقية.. ثم المستعمر الفرنسي.. ولم أجد اسماً ورسماً في الكتب المدرسية أو كتب التاريخ لمناضلي هذه المنطقة والتي تدعى بالجزيرة السورية وأعني دير الزور والحسكة والرقة.. وعرفاناً منا بالجميل نحن الأجيال الناهضة فلا بد أن يذكر الفضل لأهل الفضل.. فلا بد أن نذكر من ثورات الفرات "ثورة العنابرة" وبطولات رمضان الشلاش وحمود الحمادي، ومن ثورات الجزيرة في الحسكة ثورة عامودة /١٩٣٧/ وموقعة بياندور /١٩٣٣/ وبطولات كل من: جميل المسلط ودهام الهادي ومحمد عبد الرحمن الطائي والمطران: قرياقس وسعيد أغا الدقوري وسواهم.. فمن أزاحوا هذا الكابوس عن البلاد والعباد.



مرسوم رقم (١٠)

ان رئيس الجمهورية

بناء على التدبير الاداري المتخذ بشأن الشيخ محمد بشير الحامدي من اهالي عامودة

وبناء على اقتراح وزير الداخلية

يرسم ما يلي

وزير الداخلية	رئيس مجلس الوزراء	رئيس الجمهورية السورية
لطفي الحفار	سعد الله الجابري	شكري القوتلي

وثيقة الإقامة الجبرية للشيخ بشير الحامدي

من نضال أبناء محافظة الحسكة ضد الاستعمار الفرنسي من أجل الجلاء

إن أهالي الجزيرة مثلهم أخوانها في المحافظات الأخرى لم يألوا جهداً لطرد القوات الفرنسية من أرض الوطن، وخاضوا معارك قاسية بوحدة وطنية، كما وقفوا ضد جميع المحاولات التي بذلت لتجزئة الجزيرة.

وكانوا على صلة مع قادة الحركة الوطنية في حلب ودمشق ومع المجاهد الكبير سلطان باشا الأطرش.

واستشهد الكثير منهم وجرح المئات إلى جانب تدمير وحرق بعض أحيائهم وقراهم ونهب بيوت وممتلكات الوطنيين ونفيهم.

وسوف نتحدث هنا عن المعارك التالية: معركة بياندور ١٩٣٣ ـ معركة عامودة ١٩٣٧ ـ معركة السفح وعلى بعض ما جرى من أحداث في الحسكة.

١ ـ معركة بياندور:

قرية بناحية القبور البيض(القحطانية حالياً)

اتخذها الفرنسيون مقراً لهم، ومنها كانوا ينطلقون للتوسع والاعتداء على الأهالي وملاحقة الوطنيين، وكانوا يعيشون بعزلة عن الأهالي، إلا أنهم كعاداتهم كانوا يمارسون الإرهاب والاعتداء على المواطنين.

فنظم الأهالي اتفاقاً شمل سكان المنطقة جميعهم من القحطانية حتى المالكية، وقاموا بالهجوم على مقر الفرنسيين فوق تلة بالتعاون مع سكان القرية، فحرقوا المقر، وجرحوا القائمقام العميل لفرنسا، واستولوا على السلاح وبعد أيام عزز الفرنسيون قواتهم، وعاد الكولونيل روغان من جولته بجزيرة ابن عمر.

وبدأ المحتلون بالاستعداد للانتقام من الأهالي، لكن الوطنيين كانوا قد اتخذوا الاحتياطات اللازمة لخوض معركة ضدهم مهما كانت النتائج، وقد تجمع حشد من الرجال الأشاوس المسلحين من العشائر بوحدة وطنية متلاحمة غير آبهين بالموت، وبدأت المعركة عند نهر عباس حيث كان بحوزة الفرنسيين أسلحة متطورة وعدد غير قليل من القوات المدربة، واستبسل الوطنيون في القتال، وكانت النتيجة أن

قضوا على القوات الفرنسية وعلى قائدها روغان وقطعوا رأسه وقدموه هدية لشقيق الشهيد عباس محمد الذي كان قد استشهد في معركة سابقة، وبعد ذلك اضطر الفرنسيون للانسحاب من المنطقة يجرون ورائهم الخيبة والعار، وكانت خسائر الوطنيين نحو خمسة عشر شهيداً وعدداً من الجرحى من عشائر الشيتية والجوالة أكثرهم من الفلاحين ومن بينهم أيضاً من آل عباس وآل قرو.

٢ ـ معركة عامودة:

كانت معركة عامودة ومحيطها مركزاً لثورة وطنية عارمة وكانت بزعامة سعيد آغا الدقوري، ومعه الوجيه يونس عبدي، وقد اتخذت هذه الثورة بزعامة سعيد آغا موقفاً وطنياً منذ دخول الفرنسيين، وبدأت بالنشاط والنضال الوطني بالتنسيق والتعاون مع القوى الوطنية الأخرى بالمحافظة، وبالدرجة الأولى مع الوطنيين في القامشلي وقراها أمثال طاهر محمود وحسين أسعد ومع آل نظام الدين وزكي جلبي وغيرهم ومع الشيخ دهام الهادي ومع الزعماء الوطنيين أمثال حسن سايمان ومحمد غنام وآل السلومي وبقية القادة الوطنيين بالمحافظة أمثال زهدي بيك الملحم وجميل المسلط وعزت سليم بيك وعبد الكريم العيسى وآل العليوي وفرحان عيسى وعيسى قطنة، وسعيد اسحق، وكانوا على صلة مع الثائر إبراهيم هنانو وغيره من القادة الوطنيين، وخاضت هذه المجموعة معارك وطنية ونظمت أعمالاً جماهيرية ضد الاحتلال الفرنسي وضد عملائه بالمحافظة، مؤكدة ضرورة النضال حتى إجلاء آخر جندي من أرض الوطن و مستنكرة محاولات فصل الجزيرة.

وقد شكل سعيد آغا وفداً سافر إلى دمشق يحمل عريضة عليها تواقيع عدد كبير من الوطنيين يعلنون فيها إصرارهم على الاستقلال التام وإدانتهم لمحاولات فصل الجزيرة، وكان الوفد مشكلاً من سعيد آغا وعيسى عبد الكريم وشيخموس هسو ويونس عبدي، والشيخ جميل المسلط و الشيخ محمد الطائي والشيخ دهام الهادي وقد قابلوا القادة الوطنيين وسلموا العريضة للجهات المعنية.

وصلت الأخبار والمعلومات للفرنسيين وبدؤوا بوضع خطة للانتقام وبدؤوا بتحريك عملائهم لاستفزاز الأهالي وفي تموز عام /١٩٣٧/.

قامت الطائرات الفرنسية بقصف عامودة، وألقت القنابل بالمئات على البلدة الآمنة، فدمرت أحياء وحرقت أحياء أخرى ثم بدأت قوة من المشاة الفرنسية وعملائهم بنهب ممتلكات المواطنين، واستشهد الغديد منهم ووقع العديد من الجرحى بينهم حسين حمدون وملا فخري اللجي وسلطانة سفر وصالح حسو وشريفة بكي وآخرون.

كما قامت الطائرات بقصف قرى الوطنيين فقصفت قرية تل حبش، ودمرت العديد من بيوتها، واستشهد أربعة من سكان القرية وقضي على قطعان من الجمال بالكامل وقصفت قرية قره قوب، واستشهد مختارها هدو، وقصفت قرية تل خنزير أيضاً بالقنابل، وتوفي على أثر ذلك أحد المواطنين، كما قام الفرنسيون وعملاؤهم بحرق وتدمير دار طاهر محمود بقرية هيمو، فاضطر سعيد آغا وإخوانه للخروج من بلدة عامودة ولاحقتهم الطائرات الفرنسية باتجاه تركيا فرفض الأتراك إدخالهم، فاضطروا للعودة والاتجاه نحو العراق، وكانت القوات الفرنسية تلاحقهم حتى دخولهم الأراضي العراقية، وأصدرت الحكومة الفرنسية آنذاك أحكاماً جائرة بحقهم، وصلت إلى الإعدام، وبقوا هناك فترة من الزمن نهبت خلالها ممتلكاتهم.

٣ ـ معركة السفح:

كان الفرنسيون في تلك الأعوام يمارسون أبشع أنواع الاضطهاد والاستغلال إذ لم يسلم أحد من شرورهم بما فيها منطقة رأس العين وبعض قراها، وكان لعزت سليم بيك وصالح الأتبي موقف وطني مشرف، إذ تلاحموا أو نصبوا كميناً لمفرزة فرنسية عند قرية السفح رداً على تصرفاتهم الهمجية، ونشبت معركة دامت ساعات طويلة جرى فيها القضاء على المفرزة الفرنسية والكابتن جريناس واستبسلوا فيها كعاداتهم، ونصب الفرنسيون تمثالاً للكابتن غريناس.

٤ ــ من نضالات أبناء مدينة الحسكة ومحيطها:

كان الغليان يسود مدينة الحسكة وريفها ضد الاحتلال الفرنسي، وبرزت شخصيات وطنية منهم زهدي بيك السلطان الذي شكل قوات وطنية لمقاومة المحتلين، والذي تربى على يد والده حماد بيك النائب الأول عن المحافظة، والذي تلقى العلم في مدارس تركيا، والمعروف بوطنيته ومواقفه في البرلمان ودعوته لحرية سوريا واستقلالها، واشترك أيضاً آل العليوي وشيوخ بقارة الجبل وجميل المسلط وعلي الزوبع ومطران السريان قرياقس ووجهائهم.

كانت هذه المجموعة تعمل وتتحرك وتقاوم الوجود الفرنسي بأشكال مختلفة، ووقعت معارك استشهد خلالها بعض رجال الدرك الوطنيين، وكانوا على صلة مع إخوانهم الوطنيين، وكان زهدي بيك الذي استلم قيادة الدرك الوطنية على اتصال مع غالب ميرزا محافظ دير الزور وإبراهيم قصار حسن قائداً للدرك وكانا من الوطنيين المخلصين.

وارتكب الفرنسيون وعملاؤهم جرائم بشعة بالحسكة حيث قاموا بتصفية عائلة الدكتور روحي وضيوفه لأنه كان يتعاطف مع الوطنيين ويؤيدهم، كما تابعوا الضغط على جميل المسلط حتى اضطر للجوء إلى العراق، ونفي من أنصاره شخصان كانت لهما مواقف بارزة من بين عشيرتهما هما صلك المحيل وعيسى الجزيرات، كما نفي من الجزيرة شخصيات وطنية بارزة إلى خارج الوطن أو محافظات أخرى مثل دهام الهادي والشيخ أحمد الخزنوي.

وقد عقد اجتماع للزعماء الوطنيين بالحسكة بينهم سعيد آغا ودهام الهادي وجميل المسلط، رفعوا فيه مذكرة إلى الجهات المسؤولة، رافضين فيها فصل الجزيرة، ومؤكدين على الوحدة الوطنية، ومطالبين بالاستقلال التام.

وبعد نيل الاستقلال وانتخاب السيد شكري القوتلي رئيساً قام بزيارة للجزيرة وأول قرية زارها هي قرية جرنة ونزل بضيافة حسين أسعد تقديراً لمواقفه الوطنية.

إن الأعمال ضد المحتلين الفرنسيين في محافظة الحسكة كثيرة وغنية، وكثيرون هم الذين شاركوا فيها، سواء من الشخصيات والوجهاء من المناضلين الوطنيين ومن الجماهير الشعبية.

إن جماهير المحافظة تستقبل العيد الخمسيني للجلاء المجيد بروح الوحدة الوطنية والتصميم على الدفاع عن الوطن وسيادته ووحدة ترابه ولتحرير الأجزاء التي تحتلها إسرائيل في مرتفعات الجولان الحبيبة.

عن مقال للأستاذ: حسين عمرو:
عضو مجلس الشعب سابقاً لمحافظة الحسكة
نشر بمجلة" نضال الشعب"
العدد /٥٣٦/ تاريخ ١٩٩٦/٥/١٥.

أسماء شهداء محافظة الحسكة

لقد ابتليت محافظة الحسكة بالاستعمار شأنها بذلك شأن كافة البلاد السورية، وقد دافع رجالها بكبرياء وشرف عن تراب بلادهم، وكان الثمن قافلة من الشهداء.. نسي التاريخ معظم رجالها.. ونحن هنا من أجل التاريخ والأمانة نذكر عدداً من الأسماء التي تمكنا من الحصول عليها:

اسم الشهيد	تاريخ	مكان الاستشهاد
الدركي عدامه منفي	١٩٢٣	بهندور
الدركي عبد الأحد يوسف	١٩٢٣	بهندور
الدركي محمد علي قصاب	١٩٢٣	بهندور
الدركي عبد الفتاح قنبر	١٩٢٣	بهندور
الدركي حسين علي العيد	١٩٢٣	بهندور

الدركي معيوب هزاع	١٩٢٥	عامودة
الدركي عبد الله محمد السليمان	١٩٢٥	عامودة
المساعد سليم جركس	١٩٣٧	الحسكة
الدركي جاسم محمد	١٩٣٧	الحسكة
العريف محمد أحمد وكاع	١٩٣٧	الشدادة
الدركي سليم رزق الله ورد	١٩٣٧	تل براك
الدركي سليم فياض التامر	١٩٣٩	عرادة
الممرض عبد الوهاب جندي الخفر	١٩٤٣	مخفر درك الدجلة
الدركي جورج كردي كاتب الفيصل	١٩٧٣	مخفر ديريك
الملازم أول نوري بن داما زكريا	١٩٤٤	الحسكة
عبد الحميد المفتي: مدير مال الدجلة	١٩٤٥	الدجلة
الملازم أول مختار بن أمين الأتاسي	١٩٤٥	الحسكة

عليوي السليمان العبد العزيز ١٨١٦ ــ ١٩٣٩:

ينتمي إلى قبيلة ظفير القحطانية بدير الزور، وفد مع بعض من جماعته إلى الحسكة في بداية التسعينات، وبنى بيتاً على الضفة اليمنى لنهر الخابور على التلة المعروفة حالياً بتل غويران، حيث تملك الأرض المحيطة به جنوب نهر الخابور، وله مكانة مرموقة عند شيوخ القبائل في الجزيرة، كان من الوجوه الوطنية المعروفة إذ شارك بالنضال مشاركة فعالة وخاصة إبان مذبحه الدرك السوري فكان يمدهم بالطعام ليلاً عبر نهر الخابور بمساعدة أولاده وجماعته من الديريين الذين يمتازون بالروح الوطنية العالية، وخاصة أولاده:

ياسين وحسن وعبد العزيز ومحمد وعبد الرحمن وغريب وحسين وكذلك إخوته وكان في طليعتهم ابنه حمود حيث تخرج من هذه المدرسة الوطنية.

ومما هو جدير بالذكر: أن حمود العليوي كان صلة الوصل بين الوطنيين ما بين دير الزور والحسكة ويحظى بالتقدير الكبير بين شيوخ القبائل آنذاك.

ولا بد أن نذكر أيضاً أن السلطات الفرنسية كانت قد استولت على بعض ممتلكاته بالقوة وأنشأت عليها مقر الاستخبارات الفرنسية آنذاك.

وكذلك نادي الضباط الفرنسيين، والمكان حالياً هو النادي الزراعي.

كان المغفور له حمود العليوي يمثل الديريين الموجودين في الحسكة في المحافل الرسمية والشعبية، ولابد من ذكر العوائل الديرية الوطنية في الحسكة وهم آل الجبين(حسين الجبين) وآل النحاس وآل المطرود وآل المشرف(محمد شريف) وآل العاروض وسيد عبد الرحيم الحسيني وآل العوض وآل معروف آل الصباغ(خلوف عبد الحميد الصباغ) آل الفياض(زهدي فرحان الفياض آل الهنيدي)(حمود عطا الله الهنيدي) آل جوكان(شفيق جوكان) آل حديدي(علي القنيفذ) ولا ننسى المجاهد الوطني مصطفى الحسن العباس، ولهم جميعاً مواقف وطنية مشرفة تمتاز بالجرأة والوعي والثقافة، وشارك البعض منهم بمناصب قيادية ووظائف هامة منذ الحكومة الوطنية حتى يومنا هذا. أمثال النائب: لطفي الحاج حسين.

لا بد أن نذكر أنها من العوامل المتواجدة في مدينة الحسكة والتي كانت تتعاون مع الوطنيين آنذاك عائلة نعوم راهب وآل فرجو نعمة ويونان كرو.

دانيال قس إلياس:

كان واحداً من الوجوه الوطنية المخلصة لوطنها وأمتها حيث كان يشغل منصب رئيس بلدية الحسبة آنذاك وذلك عام ١٩٣٧ حيث كان يعمل في صفوف الكتلة الوطنية.

ومن الجدير بالذكر بأن السلطات الفرنسية كانت قد طردت بناته اللاتي كن يتعلمن في مدرسة الراهبات التابعة للسلطة الفرنسية مباشرة الموجودة بالحسكة حيث أو عزت إلى إدارة المدرسة بطردهن. بذريعة أن والدهن ينتمي إلى صفوف

الكتلة الوطنية، كما أنه حين نفي بعض أعضاء الكتلة الوطنية إلى الحسكة كان هو يقوم بالضيافة لهم على أتم وجه وبعد فترة الاستقلال عرض عليه أن يشغل وظيفة جديدة حيث تم فصله من رئاسة البلدية، إلا أنه شكر السلطة الوطنية بأنه كان قد أدى واجبه تجاه بلده ووطنه الأم سوريا على أحسن وجه. ولا ننسى أبداً المواقف الوطنية للمقنسي: نعوم راهب فقد كان وجهه وطنياً أخلص لوطنه وأمته العربية المجيدة.

دانيال قس الياس يتوسط لدى الشيخ جميل الملسط بعدم غزو مدينة الحسكة: لمقارعة الفرنسيين حين كانت مدينة الحسكة مدينة صغيرة، ويسكنها الكثير من المسيحيين الذين وفدو إليها من تركيا حيث مازال أكثر قيودهم في السجلات المدنية قرية طابان وهي نفسها قرية الشيخ جميل المسلط حيث كان الشيخ جميل المسلط قد أعد عدداً كبيراً من فرسان قبيلته ليحاصر الفرنسيين في الثكنة العسكرية على شاطيء نهر الخابور، وكان قد أعد خطة للهجوم عليهم عبر نهر الخابور.

إلا أن بعض الوجوه المعروفة بوطنيتها توجهوا إلى الشيخ جميل المسلط بأنه لن يسلم أحد من سكان القرية من رصاص الطرفين، وهكذا عدل الشيخ جميل المسلط عن هذه الخطة، لكنه بقي يطارد فلولها عبر طريق دير الزور وهجمات ثواره عبر نهر الخابور ليلاً. حيث أقنعه دانيال قس إلياس بمقولته:" إن سكان الحسكة هم أهلك وأناسك وأنتم الذين حميتموهم سابقاً من هجمات الأتراك إبان سفر برلك ١٩١٤".

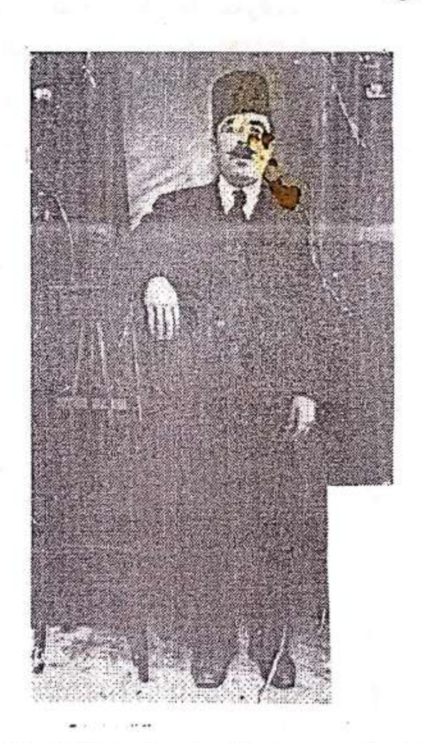
عريضة الاحتجاج على تعسف الفرنسيين توقع في بيت عليوي السليمان:

حين اجتمع أعضاء الكتلة الوطنية في الجزيرة في بيت عليوي السليمان الكائن على الكتلة المقابلة للثكنة الفرنسية "حي غويران حالياً" والتي يفصل بينهما الخابور آنذاك.

كان أقطاب النضال يجتمعون في بيت عليوي السليمان ليوقعوا عريضة الاحتجاج، وذلك ليصار إلى رفعها إلى المستشار الفرنسي في دمشق أو بيروت.

وكان المرحوم عليوي السليمان يحضهم على تكثيف الجهود ورص الصفوف لكي لايتركوا فرصة للمستعمر الفرنسي وأعوانه بالتفرقة والبلبلة بينهم، وكان أن حمس الجميع ليضعوا أختامهم على المضبطة "عريضة الاحتجاج" وتم ذلك فعلاً،

نعم.. على صعيد النضال الوطني المشرف الأثر الأكبر في وحدة الصف وتماسك وتلاحم القوى الوطنية آنذاك.. حتى ولت فرنسا الأدبار وإلى غير رجعة.. كل ذلك كان بفضل عزم وإصرار ومصابرة المناضلين الأشداء والوطنيين الشرفاء والفضل يذكر لأهل الفضل.



السيد دانيال قس إلياس رئيس بلدية الحسكة وعضو الكتلة الوطنية آنذاك /١٩٣٧/

من الوجوه الوطنية في محافظة الحسكة

يونان كرو:

حيث استلم رئاسة بلدية الحسكة بعد مراد شمعون، وكان وجهاً وطنياً معروفاً، ويشهد له الكثيرون بالمواقف الوطنية الشجاعة والنبيلة.

وهما من الأسر العريقة في محافظ الحسكة. كذلك آل نعوم راهب وآل فرجو.

شفيق الحوكان:

كان من أوائل النيريين الذين امتازوا بالروح الوطنية العالية والذين ساهموا في إذكاء الروح النضالية والمشاركة الفعالة في توعية الجماهير إلى حرية الوطن واستقلاله ما بين دير الزور ومحافظة الحسكة.

آل المشرف "البيج" أبو حمود:

من الوجوه الوطنية المعروفة بالنضال والجرأة، فقد كان لهذه الأسرة باع طويل في النضال من أجل حرية واستقلال الجزيرة كاملة غير منقوصة إلى الوطن الأم سوريا ــ عزيزة الجانب موفورة الكرامة.

الوطني المعروف
محمد شريف البيك



من ذاكرة النضال الحاج جميل المعيوب(أبو فواز):

"رئيس جمعية متقاعدي الجيش والشرطة والأمن" في محافظة الحسكة يروي ذكريات النضال قائلاً:

في صيف عام ١٩٤٥ كان الملازم: زهدي حماد بك السلطان قد كُلِّفَ بقيادة قوات العشائر"الخيالة" كنواة لقوات وطنية، وقد تم تسجيلنا في سجلات حيث كان مركزنا "السرايا" دار الحكومة حالياً ومهمة هذه القوات الفصل بين النزاعات العشائرية، وفي عام ١٩٤٦ تم حل هذه القوات حيث بعد فترة قصيرة جاءت لجنة من دمشق فتم تطويعنا بشكل رسمي كحرس للحدود، إذ إنه تسلم قيادة هذه القوات بعد الملازم زهدي حماد بك السلطان ضابط يدعى "بكري قوطرش". فتبدلت تسميات هذه القوات التي كانت تابعة لوزارة الداخلية باسم قوات البادية "المديرية العامة للعشائر" وقد تسلم بعد ذلك الضابط العقيد: محمود بنيان.

ومن الجدير بالذكر أنه في بداية تشكيل هذه القوات حين كان مركزنا في دار الحكومة مع قوة حفظ النظام آنذاك والتي هي قوات الدرك، كان مقر السلطات الفرنسية المعسكر على التلة الشرقية من السرايا ثكنة عسكرية كانت تدعى آنذاك "القشلة" فكانت أحياناً القوات الفرنسية تطلق علينا الرصاص من مواقعها في الثكنة المذكورة. حيث كانت الدشم العسكرية أو ما يعرف بالبلوكوسات تحت الأرض من الأسمنت المسلح في عدة أمكنة من مدينة الحسكة، فكانت مواقعها في نفس مقر البنك المركزي الحالي وبالقرب من الجسر من الناحية الجنوبية والشمالية وعند تل غويران الغربي وعند جسر الجغجغ حيث إنه بعد أن استقلت سوريا وذهبت فرنسا أصبحت هذه القوات تعرف باسم قيادة الشرطة ثم انتقل مقر قوات العشائر إلى منتصف المدينة، ثم تحولت هذه القوات من قوات بادية أو قوات العشائر فأصبحت تسميتها باسم حرس الحدود أو الهجانة، حيث إن مهماتها الفصل بين كافة القبائل حيث تعمل نيابة عن القضاء بتشكيل محكمين ومرجحين، وكان لقوات حرس الحدود عدة مواقع تغطي أغلب أنحاء القطر العربي السوري فمركزها العام بدمشق

ثم ضمير ثم المعره ثم تدمر ودير الزور والحسكة. أما عن أوضاع جمعية متقاعدي الجيش والشرطة والأمن فهي جيدة وذلك للاهتمام الشخصي من السيد الرئيس حافظ الأسد حيث تم توزيع أراضٍ زراعية عليهم في قرى "فريسه"التابعـــة لمنطقـــة رأس العين. ودعم راتبهم التقاعدي بإضافة ١٥% للراتب كما تم تدعيم جمعيتنـــا بإعانـــة مقدارها /٤٠٠٠٠/ أربعين ألف ليرة سوريا وكذلـــك ١٢٠ ل.س مـــن قبـــل وزارة الداخلية. وهذه كلها أعطيات من لدن السيد الرئيس حافظ الأسد.

المشاركة في حرب عام ١٩٤٨ بفلسطين:

حيث تم استدعاؤنا للمشاركة في حرب فلسطين من سلك قوات البادية حيث تـــم تشكيل مع القوات اللبنانية وكانت أهم المعارك التي شاركنا فيها معركة المالكية. ثـــم احتلالنا لموقع الهراوي والذي كان يقطنه الكثير من اليهود.

من بعدها توجهنا إلى موقع "سمخ" وطبرية ــ حيث كانت قواتنـــا ممتـــدة مـــن طبرية وتل الثعالب والتوافيق حيث حققنا فيها الكثير من الصمود والبسالة.

والحق يقال لقد كان هناك رجال أشداء وجنود مجهولون كان لهم الأثـــر الفعـــال في التأثير على قوات الصهاينة كما كان لهم من قبل أكبر الأثر في التـــأثير علـــى القوات الفرنسية إلى أن ولت وإلى غير رجعة محققين الاستقلال للوطن الأم ســـوريا الحبيبة.

عن لقاء أجراه المؤلف

•••

الفصل الرابع

نضالات الرقة

تاريخ دولة مجهولة:

الأمم السعيدة لا تاريخ لها. ولكن شقاء الأمم لا يخلق لها تاريخاً مجيداً، وســـوء حظها قد يمحو تاريخها ويعفّي على آثاره. وكالأمم الدول.فإذا لـــم يكـــن الإنســـان مؤرخاً همه وعمله أو لذته في تتبع الأحداث الماضية واستقراء دوافعـــها وتســـجيل نتائجها أو رواية كل ذلك للأجيال القادمة، إذا لم يكن الإنسان مؤرخاً فمـــاذا يكـــون موقفه إذا وقع على تاريخ دولة مجهولة أهملها العالمون وغفل عنـــها المتتبعـــون؟ أتراه يهملها بدوره مفضلاً لها أن لا يكون لها تاريخ كما ليس للأمم السعيدة تـــاريخ، أم ترى أن عليه أن يستدرك على إهمال المهملين وغفلة الغافلين ويكشـــف الســـتار عن الأرض البكر التي اكتشفها دون غيره ؟.

هذا السؤال طرحته على نفسي مرات عديدة قبل أن أوطن النفس علـــى روايـــة تاريخ دولة مجهولة على مسامعكم. طرحته مرات عديدة في سنوات طويلـــة منـــذ وعيت قيمة الحرف ومنزلة التاريخ، ومنذ تتالت على مسمعي أخبار هـــذه الدولـــة على أفواه أناس يعرفون خبرها، أناس بسطاء أو قليلي الحظ من القدرة على إعـــلان ما يعرفون. إني لست مؤرخاً، وتنتابني أحياناً فكرة قد تكون الأصـــوب مـــن كـــل أفكاري تقول بأن أجمل تاريخ للإنسان وأمجده هو حياته الشخصية التـــي يحياهـــا. وإن قواه الجسمانية ومشاعره النفسية وملكاته العقلية قادرة وحدها، وقادرة لوحدهـــا، على أن تهبه السعادة التي ينشدها في وجوده. حين تنتابني هذه الفكرة أسأل نفســـي أي خير في تصديع رؤوس الناس بأمر هذه الدولة المجهولة. إن أناس تلك الدولـــة

قد عاشوا حياتهم وأصبحوا حديثاً غابراً، فما ينفعهم بشيء بعد أن عدموا الحياة ذكري لهم بحمد، ولا يضرهم بشيء ذمي لهم. وأما أناس هذه الأيام فإن جهلهم بأخبار قوم جدد فوق أخبار الأقوام التي يعرفون أروح لأعصابهم وأخف حملاً على ذاكرتهم، وكلما نقصوا علماً نقصوا هماً ! إلا أن هذه الفكرة التي ذكرت تحتل خاطري دوماً، ولا غالباً. سرعان ما أذكر أن كلاً منا ليس إلا تاريخاً مركزاً، خلاصة للأحداث والأجيال السابقة وإرهاصاً لما سيتلوه. وإن على كل منا، ليجدر به اسم الإنسان، أن يمثل دوره في قافلة البشرية السائرة وأن يشعل ولو شمعة صغيرة في هيكل المعرفة أو على الأقل، أن لايغم النور أو يسحب على الضوء ستاراً حاجباً. وإذ ترونني الآن أمامكم فإني بدافع هذه الفكرة أقف لأروي لكم تاريخ دولة مجهولة.

قد تسألون لماذا هي مجهولة هذه الدولة ؟ أتراه بعدها الزماني والمكاني هو الذي ضرب ستار الجهل والتنكير حولها؟ أهي ولاية في حواشي امبراطورية الخمير عند حدود الهند والصين؟ أو حكومة مقاطعة في بلاد الازتك في أمريكة الوسطى؟ أو هي على الأقل احدى دول المماليك في تيه الدويلات التي ازدحم بها عصر الظلام في بلادنا ؟ لو كان أمرها كذلك لكان لنا العذر كله في جهلنا. ولكن ليس الأمر كذلك، وهذه الدولة هي في الزمان والمكان أقرب مما نظن. فمكانها الذي حدده مكان إعلانها يحتل جزءاً ليس بالهين من اقليمنا السوري ممتداً من مجرى الخابور في الشرق إلى وسط البادية الشامية في الجنوب. وزمانها زمان قريب، هو ذلك العهد البائس المجيد معاً الذي هيأ فيه العرب أنفسهم بعد عصور الاستعباد الطويلة إلى أن يستقلوا ببلادهم ويحققوا حلمهم القومي الأكبر، فإذا بهم يكتشفون فيه أن كل تضحياتهم السالفة لم تنته بهم إلا إلى عهد جهاد جديد في مواجهة أعداء جدد أقوى وأخبث ممن صارعوا وجالدوا فيما مضى. أعني به العهد الذي تلا الحرب العالمية الأولى، والذي ازدحم بأحداث خطيرة، لانزال إلى اليوم نعاني من عقابيلها ونناضل لنرأب الصدوع التي خلفتها مآسيها.

دولة بهذا القرب في المكان وهذه الحداثة من العهد كيف لا يعرفها أحد؟ لعل الذي جنى عليها وأغفل أمرها كونها دولة بنت يوم وليلة، لم تقم إلا في مخيلة مغامرين حدثتهم أنفسهم بها، ولكنهم عجزوا عن خلقها في الحقيقة وعن تثبيت أركانها في الواقع، فكانت دولة في الوهم أو مشروع دولة على الورق؟ أو لعلها كانت دولة فوضى وغوغاء وكابوساً تسلطت فيه شريعة الغاب، وكان المحرك فيها مصلحة الشخص القوي ومطامعه الدنيئة، فتناساها الناس عن عمد لأنها لا تذكر بغير الشرور ولأنها لم تقم على فكرة سامية ولاخدمت مبدأ رفيعاً؟ ولكن الأمر في الدولة المجهولة هذه غير ذلك. قامت هذه الدولة حقاً، وعمرت زمناً ليس بالهين إذا قيس بالظروف القاسية التي كانت تحيط بها. وقامت دولة منظمة أبدعت عملاً ايجابياً متلائماً مع الفكرة التي انبعثت منها. ماذا كانت تلك الفكرة؟ إنها الفكرة القومية التي اعتقدها العرب وحاربوا من أجلها في تلك العهود في كل مكان. ولطالما افتقدت كلما دخلت هذا النادي الذي نجتمع فيه الآن، هذا النادي العربي، وأنا أرى على لوحة الشرف في صدره سجل الثورات العربية مخطوطاً بحروف ذهبية، طالما افتقدت اسم هذه الدولة على هذه اللوحة الكريمة. فإن تلك الدولة قد قامت وحاربت في سبيل فكرتها، الفكرة العربية الخالصة، وضحت، فكانت في آن واحد دولة وثورة.

ماهي إذن قصة هذه الدولة المجهولة، هذه الدولة الثورة؟ أبسط ما أفعله لأعرفكم بها أن أقرأ عليكم الكلمات القليلة التي أعلنت في العاشر من آب سنة ١٩٢٠ والتي بدأ بها قيامها. إليكم هذه الكلمات في نصها الحرفي:

وخاضت الأمة العربية غمار الحرب بجانب الحلفاء اعتماداً على مواعيدهم التي قطعوها لشريف مكة آنذاك الشريف حسين. وعندما وضعت الحرب أوزارها تقاسم الحلفاء البلاد ودخلوها بدون مبرر شرعي. والآن دخلوا دمشق بعد معركة مع أهل البلاد أتلفوا قسماً من الأهالي والجيش. وعليه نحن سكان منطقة الرقة المحدودة شرقاً نهر الخابور غرباً جرابلس شمالاً الخط الحديدي قبلة بلدة السخنة قررنا

الاحتفاظ بهذه ريثما يتقرر مصير البلاد. وقد اخترنا نحن المجتمعين الممثلين لهذه المنطقة المناداة بالأمير حاجم بن مهيد رئيساً لها باسم رئيس الحركة الوطنية. واشترطنا على الرئيس المذكور أن يكون الحكم في المنطقة شورى بمجلس يختاره الشعب ويصدر الأوامر اللازمة والأحكام. وقررنا الدفاع عن هذه المنطقة وإذا مست الحاجة محالفة احدى الدول المجاورة التي نختارها. على أن نبلغ هذا القرار إلى جميع الدول بواسطة قنصل امريكا الموجود في حلب.

تاريخ هذه الكلمات كما قلت آنفاً ١٠ آب عام ١٩٢٠، أعني بعد أن مضى على استشهاد يوسف العظمة في ميسلون ستة عشر يوماً. وبهذا بدأت حكومة الحركة الوطنية في الرقة عهدها الذي دام حتى ١٧ كانون الأول عام ١٩٢١، أعني خمسة عشر شهراً حكمت فيها الحكم الديمقراطي الذي وعدت به في بيانها، ودافعت فيها كما وعدت في ذلك البيان عن المنطقة التي استقلت بها فحاربت الجيش الفرنسي على حدود تلك المنطقة، بل زحفت منها على منبج وتخوم حلب. واختارت لها حليفاً عدو عدوها، أعني بذلك الجيش التركي الذي كان يحارب الفرنسيين آنذاك في عينتاب وسائر مدن كيليكيا إن دولة هذا شأنها وهذا عهدها، لا هي بعيدة في الزمان ولا هي نائية في المكان، ولا هي بالدولة الفوضى ولا بالتي لم تقم على فكرة ومبدأ، تستحق لذاتها أن يتكلم عنها المرء ويعرف الناس بأمرها كحدث تاريخي له صلة وثيقة بأحداث زماننا وحركاتنا القومية الوطنية. إلا أن ثمة مزايا أصيلة في هذه الدولة، راجعة إلى خصائص قادتها ورعاياها، تجعل من دراسة تكونها وتتبع عمل منظماتها أمراً ذا قيمة علمية من النواحي السياسية والاجتماعية والأدبية.

إن الشخصية البارزة في هذه الدولة كانت شخصية أميرها حاجم بن مهيد. كان حاجم شيخاً من مشايخ قبيلة عنزة محدود المعارف، ولكنه كان ذا ذكاء حاد وطموح كبير، وذا عقلية مدركة مؤمنة بقيم سياسية سامية يبدو أن قليلاً ممن حوله أو في وسطه كان يؤمن بها أو يعرف عنها شيئاً كثيراً. إن الذكاء الحاد والطموح الكبير صفتان غير مستغربتين عند زعيم بدوي، وغير مستغرب من هذا الزعيم، وإن قلت

بضاعته من العلم والثقافة، أن يندفع بهاتين الصفتين إلى القيام بحركة ثورية أو إلى تأسيس حكم يبغي به نفعه الشخصي وإرواء طموحه، لذا فإن كل الذين علموا بقيام الحركة الوطنية برئاسة حاجم بن مهيد وكانوا بعيدين عنها، وكثيراً ممن شاركوا في قيامها، قد قدروا أنها حركة نفعية الغاية منها استدرار المصالح واكتساب الجاه أو الأموال. ولعلهم إذ رأوا حسن التنظيم والأساليب المبتكرة أو الحاذقة التي اتبعها رئيس الحركة الوطنية في سلمه أو حربه، قد اعتبروها بعض ملامح دهاء هذا البدوي في تثبيت مركزه وإغلاء ثمنه عند عدوه القوي الغني فرنسا وجيشها الجرار. إلا أن الحوادث التي تتالت كشفت في هذا البدوي عن صفات لم يكن أحد، في أوساط البادية الجاهلة البعيدة عن معرفة مقومات الفكر السياسي في تلك الأيام، ينتظرها منه. وربما كان أعداؤه الفرنسيون أكثر الناس دهشة إذ وجدوه يرد عليهم شروطهم لاستسلامه، وهي شروط رأوها جد مرضية لغروره كزعيم عشائري ولمصلحته كمستغل نفعي. كان جوابه لرسول الجنرال دولا موت، الذي أرسل يعرض عليه الدخول في الطاعة لقاء تعهد الجيش الفرنسي بالاستمرار في دفع رواتب جيشه وبتكليف الأمير بحماية حدود سوريا الشمالية مما يلي حدود تركيا وبمائة ألف ليرة ذهباً دفعة أولى لشخصه، كان جوابه أنه لم يقم بهذه الحركة ابتغاء مال أو منفعة زائلة وأنه إنما يدافع عن فكرة آمن بها وأنه ستعلمون من هو منا أقرب إلى التقوى. !.

هل نستطيع الآن أن نحدد نوع الفكرة التي كان يحملها رئيس الحركة الوطنية في الرقة، والتي حارب من أجلها بجيشه، والتي من أجلها ولايمانه بها رفض أن يستجيب إلى إغراء عدوه محققاً مكاسب شخصية كبيرة بالرغم من يأسه من موقفه العسكري . لقد كان حاجم بن مهيد شيخاً لقبيلة عربية خالصة، وكانت المنطقة التي استقل بها منطقة عربية خالصة تسكنها قبائل متعددة كلها معرقة في العروبة. فمن الطبيعي إذن القول بأن رئيس الحركة العربية كان يحمل في مطاويه فكرة عربية عن حكومة عربية في هذه الأرض العربية. إلا أن النص على الناحية القومية في

دستور هذه الحكومة البدائي كان فيما يبدو يتجاوز نصيب قادتها من الثقافة وتصرفات أميرها. لاننس أن منطقة الجزيرة التي تألفت فيها حكومة الحركة الوطنية كانت منطقة قبائل بدوية ونصف حضرية متأخرة كثيراً في ميادين العلم والثقافة وفي الوعي القومي عن سائر البلاد الشامية في ساحلها وداخلها. كان لاسم الدين عند هذه القبائل قدسيته وقيمته الكبرى، لذلك فإن مراسلات الأمير حاجم بن مهيد كانت تنعت الفرنسيين بأنهم أعداء الوطن والدين. إلا أن الأمير حاجم في هذه المراسلات ذاتها كان دوماً يبين الدافع القومي الكامن وراء حركته الوطنية. ففي أيلول عام ١٩٢٠ أرسل محمد نهاد باشا القائد التركي لمنطقة مابين النهرين كتاباً إلى الأمير حاجم يرجوه فيه أن لا يناصر رؤساء العشائر الملية ولا يقبل دخالتهم، لانضمام هذه العشائر إلى الفرنسيين، فأجابه الأمير حاجم برسالة يقول في بعضها:" إن أهالي الجزيرة بجملتهم وما حولهم من سكان وعشائر لما شاهدوا خيانة الفرنسيين وتجاوزهم على الممالك العربية وأشغالها غلت برؤوسهم الحمية واتحدوا ضد الفرنسيين وأعلنوا لهم الخصومة، كما أنهم أعلنوا استقلالهم وفك ارتباطهم من الحكومة العربية الخاضعة للحكم الفرنسي. وإن هذه العشائر جميعها انتخبت من رجالاتهم هيئة شعبية وهذه الهيئة بدورها نصبتني بالانتخاب رئيساً لهذه الحركة الوطنية. إذن فالحمية العربية كانت هي الدافع الأول إلى قيام هذه الدولة. ولاشك في أن هذه الحمية تمثل الشكل البدائي للفكرة القومية العربية، ولكي تأخذ لها شكلاً منظماً فعالاً دائماً لابد لهذه الحمية من عناصر كثيرة كان بعضها متوفراً في الأمير حاجم وفي الحركة الوطنية وأعوز بعضها هذه الحركة أو أعوز النظام الذي أقامته فكان سبباً، إذا لم يكن لانهيار النظام، فلأنه لم يترك آثاراً بارزة ولم يحقق مكاسب دائمة.

إذن ففي العاشر من شهر آب سنة ١٩٢٠ حين كانت الأرض السورية في الجنوب فريسة الاحتلال الفرنسي بعد معركة ميسلون، وحين كان الأتراك في شمال هذه الأرض السورية يحاربون دفاعاً عن كيليكيا، وحين تهيأت الحركات الوطنية

في جبل العلويين وجبل الزاوية لمناوشة الفرنسيين، في ذلك اليوم أعلنت الحركة الوطنية في الرقة بيانها الذي قرأته عليكم آنفاً، والذي كان دستوراً مؤقتاً ومختصراً لحكومتها عينت به حدود دولتها بين الخابور والخط الحديدي وجرابلس والسخنة. وذكرت فيه سبب قيام دولتها، وهو نكث الحلفاء عهودهم ودخولهم أرض العرب دخول الغاصبين. ورسمت فيه سياستها وهي الدفاع عن الأرض التي استقلت بها. وسمت به أميرها وهو الأمير حاجم بن مهيد. وذكرت فيه نوع الحكم فيها وهو حكم الشورى الذي يدير فيه الأمر ويصدر الأحكام مجلس منتخب بإرادة الشعب. حاضرة هذه الدولة الرقة. والرقة كانت ولا تزال بلدة صغيرة ولكن موقعها على الفرات يجعل منها البؤرة التي يتجمع حولها وتنصب فيها خيرات البادية وسكان السهول الفسيحة المخصبة في المثلث بين الخابور والفرات وامتداد الخط الحديدي بينهما في الشمال. ولأهل هذه البلدة والقبائل المحيطة بها تجربة صغيرة في نظام الحكم الديمقراطي دامت أربعين يوماً، تلت انسحاب الجيوش العثمانية وسبقت دخول الجيش العربي الفيصلي إلى منطقتها. فقد اجتمع آنذاك وجوهها وشيوخ عشائرها وكتبوا صكاً لايزال محفوظاً سموا فيه هيئة حاكمة انتخبوها لتسيير أمورهم" ولمحافظة الوطن والناموس ومقام الحكومة، كما ذكروا بالحرف الواحد في ذلك الصك. لذلك فإنهم حين سرى إليهم نبأ دخول الجنرال غورو دمشق تنادوا من جديد إلى بحث أمر الحكم في منطقتهم. وكان أمامهم طريقان واضحتان. أولاهما، وهي الأيسر والأكثر أمناً، أن يدخلوا فيما دخلت فيه سائر البلاد السورية، طوعاً أو كرهاً، أعني قبول الاحتلال الفرنسي الذي انفتح أمامه الباب واسعاً بعد سقوط يوسف العظمة شهيداً وانسحاب الملك فيصل. والطريق الثانية الانضمام إلى الأتراك، أي إلى ما تبقى من الدولة العثمانية التي كان جيشها لايزال مقيماً في شمال البلاد السورية ولايزال يحارب الفرنسيين في كلس وعينتاب. وكلتا الطريقتين كانت شاقة على نفس المؤتمرين في الرقة. فالأولى تعني الخضوع لأجنبي مستعبد لايزال ماسفكه من دماء المحاربين الشهداء ندياً، والثانية تعني نكسة مفجعة وتكفيناً

لهذا العلم العربي الذي ارتفع عزيزاً على دار الحكومة في الرقة منذ ١٠ كانون الأول سنة ١٩١٨، أعني منذ عام ونصف. وحينئذ جاء حاجم بن مهيد بالحل الثالث، بالطريق التي ليس فيها مهانة الأولى ولا نكسة الثانية، وهي طريق الاستقلال والحركة الوطنية الحرة.

قبل المؤتمرون من الوجهاء وشيوخ القبائل سلوك هذه الطريق الجديدة، طريق الاستقلال، وهم في حساب لجليل ما يقدمون عليه ولعظم المسؤوليات التي تترتب عنه. وكانت تجربة جديدة تتجاوز ما عانوه إبان الأربعين يوماً التي تلت انسحاب الجيوش العثمانية. فقد كان عمل هيئتهم الحاكمة إذ ذلك محدوداً موقتاً وسلبياً ينحصر في الحيلولة دون انتشار الفوضى وفي السهر على الأمن الداخلي. أما هذه الحركة الوطنية فكانت تعني القيام بعمل ايجابي وتركيز دعائم مؤسسة مهما صغرت فهي دولة. فلما أعلن قيام هذه الدولة انصرفت الهمة إلى تدبير الركيزتين الأساسيتين والمستعجلتين في كيانها: المال لإدارة مرافقها والجيش للدفاع عنها. أما المال فقد دبرت حاجته المستعجلة بما كان في صندوق مال قضاء الرقة ثم بقرض وطني، وسموه آنذاك استقراضاً داخلياً، لقاء سندات تستهلك في تسديد الضرائب الحكومية أو في شراء الملح من مملحتها الكائنة في موقع عبد علي. أما الجيش، وقائده الأمير حاجم نفسه الذي حمل رتبة أمير لواء، فقد تألف من قسمين جيش نظامي عدد أفراده، الذين اشتهروا باسم الزكرت، ألف جندي يقومون بمهمة القوة المسلحة أثناء السلم يعينهم في تنظيم الأمن الداخلي مائة وسبعون دركياً. ومتطوعة، وهم كل قادر على حمل السلاح من أبناء القرى والعشائر، ينضمون بقيادة رؤساء عشائرهم إلى الجيش النظامي أثناء الحرب. ولتبقى للحكم في هذه الدولة صفة النظام المدني الديمقراطي، ولئلا يبدو الجيش في مظهر المسيطر على شؤونها. فقد كان أول مقررات لجنة الحركة الوطنية أن لايدخل الجنود النظاميون إلى بلدة الرقة، بل يظلون ملازمين معسكراتهم خارج البلدة لايتدخلون بأمر من أمور الإدارة المحلية المدنية. أما هذه الإدارة فكان يتولاها أعضاء لجنة الحركة الوطنية

ويسيرها موظفو الحكومة العربية الفيصلية الذين احتفظوا بمراكزهم، بالرغم من انسحاب الملك فيصل وخضوع العاصمة السورية لسيطرة الجيش الفرنسي المحتل.

وهكذا بدأت حكومة الحركة الوطنية عملها. كان العلم العربي. علم الثورة الكبرى الذي أنزل عن ساريته في كل مركز في البلاد الشامية، مرتفعاً يرفرف على سراي هذه البلدة الصغيرة التي حمل أهلها المنطقة حولها مسؤولية الارتفاع به عزيزاً.

وكان موظفو الحكومة العربية الفيصلية في مراكزهم يصرفون أمور هذه الدولة العربية الصغيرة والجديدة بعد انفراط عقد الدولة العربية الكبيرة في المدن السورية الكبرى. وانصرف الأمير حاجم، بعد أن هيأ أموره داخلياً، إلى العمل لفكرته خارجياً. فأرسل رسله ببيان لجنة الحركة الوطنية إلى حلب لتبليغ ممثلي الدول الأجنبية عن طريق قنصل أمريكا فيها. كما أرسل هذا البيان نفسه إلى الأتراك الذين كانوا، كما ذكرنا، يخوضون ضد الجيش الفرنسي معارك ضارية في كيليكيا. وقد عاد الرسول الموفد إلى حلب بما يفيد أن قنصل أمريكا قد أخذ علماً بتكوين هذه الدولة الجديدة. أما الأتراك فقد كان رد الفعل منهم واضحاً. إذ جاء بصورة كتاب من قائد قوات مابين النهرين محمد نهاد باشا طالباً مساعدة الأمير حاجم ضد رؤساء عشائر الملية الذين عاثوا فساداً في منطقة "ويران شهر" أو على الأقل عدم قبولهم فيما إذا لجأوا إليه. وفي هذا اعتراف ضمني بحركة الأمير حاجم الوطنية وبسلطانه على المنطقة التي أعلنت فيها هذه الحركة.

والحقيقة أن التطورات السياسية والحربية في البلاد العربية كانت تفرض على الأمير حاجم بن مهيد والأتراك كحليف لا بد منه. وهذا ماتوقعه بيان الحركة الوطنية الأول عندما أشار إلى أنه إذا مست الحاجة فإن الحركة ستطلب محالفة احدى الدول المجاورة. نعم لقد حارب العرب مع الحلفاء ضد الأتراك لتخليص بلادهم من نير هؤلاء والظفر باستقلالهم، ولكن أولئك الحلفاء أصبحوا أعداء وأصبح الواجب يقتضي محاربتهم ولو بمحالفة الشيطان. أما الأتراك فكانوا قد

نفضوا أيديهم من كافة البلاد العربية وأمسى همهم العمل للاحتفاظ بكيليكيا، وهي منطقة كان الشريف حسين في إيمانه بوعود الحلفاء يطالب بها بلاداً عربية، إلا أن الأتراك كانوا فيها صامدين لا يتزعزعون بالرغم من كل خسائرهم. وعلى ذلك ما كان يسوء هؤلاء الأتراك معونة هذا الحاكم العربي الذي يسيطر على منطقة نفضوا منها أيديهم في سبيل الحفاظ على مايعدونه من صميم أرضهم. وهكذا بدأ التراسل وتلاه التعاون بين قيادة الحركة الوطنية في الرقة وبين القيادة العسكرية للجيش التركي، الذي كان لايزال عثمانياً، على طول الحدود السورية التركية.

ولابد لنا أن نتساءل ماذا كان موقف الفرنسي المحتل من تشكيل هذه الدولة الجديدة. يبدو أن الفرنسيين في زهوة انتصارهم ودخولهم فاتحين حلب بعد دمشق لم يأخذوا جداً حكومة الحركة الوطنية في الرقة ولا إعلانها استقلالها، فالقرار رقم ٣٦٧ المؤرخ في ٢١ ايلول سنة ١٩٢٠ الذي أصدره الجنرال غورو معيناً فيه تخوم حكومة حلب جعل حدود تلك الحكومة الخط الحديدي في الشمال والخابور في الشرق، بمعنى أنه أدخل في أراضي حكومة حلب حكومة دولتنا المجهولة. ولكن حكومة الحركة الوطنية كانت قائمة برغم هذا القرار فارضة سلطتها ووجودها على المنطقة التي حددتها في بيانها. وفي شباط عام ١٩٢١ أرسل الجنرال دولا موت رسولاً يدعو الأمير حاجم إلى المفاوضة، وافاه في مقره في البادية في الموقع المدعو طوال عبا. وكان هذا الرسول يحمل عرضاً مبدئياً ذكرنا بعضه في مستهل هذه المحاضرة. في هذا العرض تتعهد قيادة الجيش الفرنسي بأن تستخدم جيش الحركة الوطنية برواتب أفراده الحاضرة موكلة إليه تحت قيادة الأمير حاجم حماية الحدود الشمالية لسوريا من الأتراك، كما تتعهد بأن تدفع إلى رئيس الحركة الوطنية منحة مستعجلة قدرها مائة ألف ليرة عثمانية ذهباً. فإذا قبل الأمير هذه الشروط فإن عليه أن يرسل من قبله ثلاثة مفاوضين معتمدين ليقابلوا مفاوضي الجنرال دولا موت الثلاثة وهم الدكتور فرج الله والسيد اردشير وضابط فرنسي برتبة كابتين، والاجتماع في قرية عين البيضا في نواحي حلب. إلا أن رد الأمير حاجم على

المفاوضة هذا كان حاسماً، واستمرت تلك الأرض محرمة على الجيش الفرنسي وعلى تشكيلاته الحكومية التي كان قد بدأ بتنظيمها باسم الانتداب. وأخيراً لم يجد الجنرال دولا موت بداً من توجيه حملة عسكرية لفتح هذا الجزء الذي لم يستسلم لحكم فرنسا في سوريا.

توجهت تلك الحملة بقيادة الكولونيل ترانكه مؤلفة من القوات الفرنسية وقد انضمت إليها قوة من البادية برئاسة شيخ بارز من شيوخ البدو ومن أسرة حاجم بن مهيد نفسه، لإخضاع هذه المنطقة الممتدة من حلب إلى دير الزور. وكان ذلك في أيلول من عام ١٩٢١. وحينما بلغت الحملة الرقة على الضفة الشمالية، وأرسل قائدها ست رسائل مختومة إلى ستة أعضاء بارزين من أعضاء لجنة الحركة الوطنية متفقة كلها في المضمون. يقول الكولونيل ترانكه في رسائله تلك إن فرنسا قد قدمت إلى هذه البلاد لتقوم بواجب ألقي على عاتقها لتمدين الشعب فيها وتأهيله للاستقلال، وأنه قد نمي إليه أن جماعة عاصية قد تولت الأمر في هذه المنطقة وأنها قد تمانع قوات الجمهورية الفرنسية عن القيام بواجبها. لذا فعلى أهل المنطقة أن لا يأتمروا بأمر هؤلاء المفسدين وأن يطردهم من صفوفهم استعداداً لدخول قوات فرنسا في الغد إلى المدينة عبر النهر، أما إذا لقيت هذه القوات أية مقاومة عند دخولها وإذا أطلقت طلقة واحدة فإن هؤلاء الستة الذين وجهت إليهم الرسائل يعتبرون عصاة مجرمين كما أن أهل البلدة كلهم سيقعون تحت طائلة العقاب الشديد الرادع.

والحق أن هذا كان أول احتكاك جدي بين الحركة الوطنية وعدوها الرئيسي، كما كان أول امتحان صحيح لوجودها ولصمودها وجدارتها على القيام بواجبها. ولم يكن ذلك الامتحان يسيراً. فإن كثيراً من أبناء البلدة الصغيرة المسالمين أبناء العشائر الساكنة حولها في سهول منبسطة لاعاصم فيها من نار عدو قوي مسلح بسلاح الحرب الحديثة، كثيراً من هؤلاء وأولئك داخلهم الخوف لمجرد رؤية خيام الجيش الزاحف تملأ سهل الكسرات على مد البصر في الضفة الثانية من الفرات.

بل إن بعض أعضاء لجنة الحركة الوطنية نفسها انهارت أعصابهم وهم يقدرون أن ليس لديهم أمام مدافع الحملة الفرنسية وطياراتها غير البنادق البسيطة في أيدي ألف من الجنود بدائي التدريب ومائة وخمسة وسبعين من رجال الدرك. وشهدت الليلة السابقة لموعد عبور الحملة الفرنسية النهر إلى الرقة نشاطاً محموماً ومشاورات مستمرة انتهت في آخر الليل إلى تهيئة رسالتين متضاربتين وجهت كل منهما عند الفجر إلى وجهتها الأولى أرسلت إلى الكولونيل ترانكه ومعاونه الزعيم البدوي، وفيها أن أهل البلدة يعلنون نزولهم على إرادة قيادة الحملة ولكن بلدتهم مليئة بالعصاة وأنصار الأتراك، لذلك فإنهم يخافون أن يعكر أحد من هؤلاء صفو السلام حين دخول الحملة في الغد إلى البلد فيؤخذ الأهلون المسالمون بجريرته.. فهم يطلبون مهلة ثمانية أيام تبقى الحملة أثناءها في معسكراتها في الضفة الجنوبية من الفرات ريثما يتمكن أهل البلدة من جمع السلاح من المنطقة والخلاص من كل مشتبه به فيها فيصبح بعدها دخول البلدة على الحملة هينا آمناً. أما الرسالة الثانية فقد حملها نجاب سريع إلى كنعان بك قائد الفرقة الخامسة للجيش التركي في مقره أورفه، وفيها صورة من إنذار ترانكه ومن جواب اللجنة عليه وطلب بإمداد سريع بقوة من الجيش النظامي لتمكين البلدة من مقاومة العدو المشترك. ولابد لنا من وقفة عند هذا الطلب بالمعونة، فإن صيغته لتبين إحساس الأمير حاجم بن مهيد وأعوانه في لجنة الحركة الوطنية بوجدانهم السياسي وتعلقهم باستقلالهم. فقد عرضوا في رسالتهم إلى قائد الفرقة الخامسة أنهم يطلبون معونة مفرزة من رجال الجيش التركي المدربين باعتبار أن التدريب يعوز أفراد جيش الحركة الوطنية الحديث النشأة، وهم يتعهدون بتأمين حاجة أفراد هذه المفرزة التركية من السلاح والخرطوش والألبسة، كما يتعهدون بدفع رواتب هؤلاء الأفراد طول مدة بقائهم في خدمة الحركة الوطنية وإن الحركة الوطنية، في مقابل هذه المعونة تقدم للجيش التركي خدمة ليست يسيرة بأن نفتح جهة أمام عدوهما المشترك تخفف ضغط قواته على القوات التركية المحاربة في عينتاب وما حولها.

وقد حققت الرسالتان اللتان أرسلتا فجر ذلك اليوم الغاية المرجوة منهما في خدمة أغراض هذه الدولة الصغيرة. فقد لزمت قوات الحملة الفرنسية معسكرها ستة أيام في انتظار إشارة تأتيها بأن الطريق إلى الرقة وسائر الجزيرة مأمونة، بل إن بعض قوتها قد تحرك نحو دير الزور اعتقاداً بأن سرية رمزية كافية لدخول البلدة الصغيرة المستسلمة. وفي خلال هذه الأيام الستة كانت قوة تركية مؤلفة من مائتين وخمسين جندياً مدعومة بمدفعين كبيرين قد وصلت من أورفة وانضمت إلى قوات جيش الحركة الوطنية النظامي، فرفعت من معنويات الأهلين والخائري الأعصاب من أعضاء لجنة الحركة. وحين عبر أحد الخونة الفرات من احدى مخاضاته قاصداً قائد البدو المرافقين للحملة الفرنسية وأبلغه قدوم النجدة التركية وعزم المدينة الدفاع عن نفسها، جن جنون القائد الفرنسي وركز مدافعه في موقع الشيخ أسعد على شاطىء الفرات وقصف المدينة بواحد وثمانين قنبلة متوالية كان في حسابه أنها هدمت أرجاءها وحطمت مقاومة الجيش فيها.

وفي هذه الأثناء كان المدفعان التركيان المنصوبان من برج من أبراج السور التاريخي للمدينة القديمة ينتظران حتى يكشف العدو بنار مدافعه عن مكانه. حتى إذا تمكن الضابط الموكل بهما من حسابه أصلى الفرنسيين حمما من قنابله كان موقعها من الدقة بحيث عطلت مدافعهم عن العمل وقتلت سدنتها وبحيث بوغتت الحملة بقوة النار فولت الأدبار تاركة تلك المدافع في أرض المعركة.

كان لهذا الانتصار الجزئي فعله الحاسم السريع في العدو مثل تأثيره الطيب عند الصديق. فالحملة الفرنسية التي تأثرت معنوياً بسلوك الخدعة الحربية على قيادتها كتأثرها عسكرياً آثرت أن لا تدخل في امتحان آخر مع قوة هذه الدولة الصغيرة وتابعت طريقها إلى دير الزور لاحتلالها، تاركة لأربع من طيارات الجيش الفرنسي مهمة إثبات وجود فرنسا في هذه المنطقة. ففي كل يوم كانت هذه الطيارات الأربع تأتي لتلقي على بلدة الرقة قنابلها. وكان الناس في البلدة يلجؤون إلى مخابئهم أول ما تلوح لأعينهم الطائرات في ساعة معروفة من النهار فإذا ألقت ست عشرة قنبلة،

حمولة معروفة لكل طائرة أربع قنابل، خرجوا يتصايحون في سخرية منصرفين إلى أعمالهم في انتظار قنابل اليوم التالي. أما الأمير حاجم فقد أرسل ينبيء الأتراك أن سيتبع الحملة الفرنسية إلى دير الزور لمحاربتها وإنقاذ المدينة منها. ولكن محمد نهاد باشا قائد الجيوش التركية في ما بين النهرين أرسل يقول بأن رأيه أن تتجه قوات الحركة الوطنية إلى حلب فتقطع خطوط تموين الفرنسيين في مسكنة، وتحتل ضواحي حلب تمهيداً لاحتلال المدينة نفسها "حينئذ لن يكون أمر الحملة الفرنسية في دير الزور إلا كأمر بلبل في قفص"، كما عبر القائد التركي في رسالته، تحت رحمة جيشكم في كل حال. ووعد هذا القائد بأنه سيمد القوات العربية الزاحفة إلى حلب بألف جندي ينضمون إليه في قرية تل أحمر، كما قال بأن ثمة اتصالات بينه وبين المحاربين القدماء في مدينة حلب وقوات إبراهيم هنانو حول المدينة لإشعال نار الثورة داخل المدينة وخارجها حال وصول الأمير حاجم ابن مهيد بقواته إليها، وبذلك يسهل طرد الفرنسيين وإخراجهم منها. وقد قبل رئيس الحركة الوطنية باتباع الرأي الذي عرضه محمد نهاد باشا اعتماداً على تلك الوعود بالمعونة. وهكذا بدأ زحفه الكبير إلى حلب.

بلغ عدد الجيش الزاحف نحواً من خمسة آلاف محارب كلهم فرسان. وقد قادهم الأمير حاجم فعبر الفرات من مسكنة واحتلها متمكناً من النقطة الرئيسية لتموين القوات الفرنسية في دير الزور. ثم احتل منبج والباب وقرى سفيرة في انتظار معونة الأتراك التي وعدوا بها. ولكن يبدو أن القيادة التركية قد اتخذت آراء جديدة في موضوع الزحف إلى حلب. ربما كان سبب ذلك النجاح السريع الذي حققته قوات الحركة الوطنية وربما كان السبب تباين في الآراء بين قيادة العثمانيين العليا وقيادة ما بين النهرين، إذ تبين للأولى أن فتح حلب الذي يتولاه جيش يرفع الراية العربية لن يكون إلا فتحاً عربياً لدولة عربية. فقد انتظر تلك المعونة طويلاً دون جدوى. ومع ذلك فإنه تقدم إلى ارباض حلب فوصلت طلائع جيشه إلى قسطل علي بك في بساتين المدينة نفسها، وهناك بدأت الاشتباكات بينه وبين الفرنسيين. وكان

أقسى ما أثر في محاربيه المتطوعين غير المجربين في حرب حديثة هجمات الطائرات المتتالية التي أوقعت الذعر في قلوب الخيل وفرسانها، فقرر حينئذ أن ينكفىء بجيشه بانتظام وقد قاربت المدينة أن تسقط في يده. وإذ كان الأمير حاجم أميراً بدوياً فقد كان في ركبه شاعره البدوي كعادة الأمراء الفرسان في عهود العرب الأولى. لقد عبر هذا الشاعر ببيتين بسيطين عن ذعره من هذا السلاح الذي لم يعهده أو يعهد فتكه من قبل، سلاح الطائرات، فقال بلهجته البدوية:

طيارة فوقنا حامت   ذبت على الجيش بمبات
والبارحه العين ما نامت   ما ندري الصبح وش يأتي

كان ذلك في تشرين الأول سنة ١٩٢١. وكانت العودة إلى الرقة، مركز انطلاق الجيش، مقدمة لتخلي هذا الجيش عما احتله من منطقة حلب وبدءاً لانهيار دولتنا المجهولة ذاتها. دولتنا المجهولة هذه كانت في مطلع القرن العشرين دولة صغيرة تحاول أن تنهض في فوره من إرادة الحياة بمقوماتها الضيئلة وسط إعصار الأحداث الضخمة التي تلت الحرب العالمية الأولى.

ولكن من يسمع بعض القصص الصغيرة من أفواه رواتها عن أيام تلك الدولة يخيل إليه أنها كانت واحة من واحات عصور العرب السالفة في تيه صحاري العصر الحاضر ومشتبك أجاته. وكان رئيس الحركة الوطنية على رغبته بأن يكون حاكماً عصرياً لايستطيع أن يتخلص من جو بيئته التي تؤمن بالنظام الشيخي، وبأن الأمير يملك الدولة ويهب فيها ما يشاء لمن يشاء.

ذكرت لإحدى حكايات الأمير حاجم بن مهيد مع شاعر من شعرائه حكاية عبد الله بن فضالة الذي جاء عبد الله بن الزبير يسترفده ناقة فأبى ابن الزبير أن يعطيه مالاً من بيت مال المسلمين فقال يهجوه ويمدح أخصامه بني أمية:

يضن بناقة ويروم ملكا   محال ذلكم غير السداد
أرى الحاجات عند أبي خبيب   تكدن ولا أمية في البلاد
من أعياص أو من آل حرب   أغر كغرة الفرس الجواد

وشاعر أمير حاجم هذا بدوي اسمه صعيجر، الح عليه يسترفده فأحاله إلى قرية له اسمها الهيشة وكتب إلى وكيله فيها كتاباً يأمره فيه أن يعطي صعيجر بضع أكياس من الحنطة، وختم هذا الكتاب بالخاتم الكبير الذي يحمل كل ألقابه.

وكان بين الأمير حاجم ووكلائه الماليين إن الخاتم الكبير يعني أن تعللوا ولا تدفعوا مما آمركم به شيئاً. فحمل صعيجر أكياسه إلى الهيشة وأقام يغادي الوكيل فيها ويماسيه، وهذا يعتذر بالعدم، حتى يئس الشاعر فرجع بأكياسه مفلساً، وأرسل إلى حاجم يقول ويمدح فيها ابن عمه الأمير محجم الذي ينافسه على الرئاسة والزعامة:

مسكين يللي تكتب له — وينتقل عدو له على الهيشة
منجيتك كلها خبله — اللي على بغل وكديشه
بيت السخا والندى جبله — والفود يامدور المعيشه

يقول: مسكين يامن تكتب له فينتقل أكياسه إلى الهيشه قواتك ما أسخفها من قوات، ناس على بغل وناس على ردىء الخيل بيت السخاء والندى قبلة، في الجنوب، أنت يامن تبحث عن طيب العيش. وكانت همة الأمير حاجم وعقليته في هذه الدولة التي أنشأها أعلى من أن يفهمها حتى أهله الدانون. زوجته عفراً، مثلاً قامت في ذات مرة تجاه بعض رعايا زوجها، وما كان ذلك يرضي حاجم قط، قامت بدور والي اليمامة من اليهود في إحدى الحكايات التي ترويها لنا كتب التاريخ. فقد قدم اليمامة وال جديد أعوزه المال فبعث إلى يهود المدينة وقال لهم: ماذا تقولون في عيسىابن مريم؟ قالوا: مسيح كاذب قبضنا عليه وصلبناه على خشبتين حتى مات.قال الوالي: وهل دفعتم ديته؟ قالوا: لا... قال: إذن تدفعون ديته الآن ! وكذلك فعلت الشيخة عفراً زوجة الأمير حاجم.

فقد اعوزها المال في ذات مرة فبعثت إلى ثري من بلدة برجيك التركية وقالت له: سمعت أن عندك فرساً حيفية ؟!، والحيفية فرس أصيلة مشهورة. قال: نعم

فهزت الشيخة خيزرانتها أمام وجهه حتى ضربت بها رأس أنفه وصرخت به في لهجتها البدوية: يامسبوع الأب، تركي ومن برجوك وترتبط في بيتك فرساً حيفية ؟ هذا لا يرتبطها إلا أمثال ابن هذال أو ابن شعلان من سادات العرب.. لن تبرح هذا المكان حتى تؤدي أربعين ليرة عثمانية !...

ولقد أداها ذلك الثري وأنفه راغم..

قلت إن الانسحاب من أرباض حلب ثم من منطقتها والعودة إلى الرقة كانت مقدمة لانهيار حكم الحركة الوطنية.

لم يكن خلف الأتراك توعدهم بالمعونة للأمير حاجم الخيانة الوحيدة لعهدهم معه، فقد أخذوا بعد ذلك يفاوضون للصلح مع الفرنسيين والانسحاب عما بقي في أيديهم من الأراضي السورية دون أن يحسبوا حساباً لهذه الحركة التي أعطتهم حليفاً، على صغره، فعالاً، وفي مطلع كانون الأول عام ١٩٢١ عسكرت في العدوة الجنوبية للفرات أمام الرقة قوة فرنسية كبيرة تحمل أعلامها وأخذت تراسل، دون الالتفات إلى قادة الحركة الوطنية، القوة التركية الصغيرة التي قدمت للمعونة الفنية لجيش الحركة الوطنية، والتي كانت لاتزال تتلقى رواتبها من صندوق مال هذه الحركة، طالبة تسليم البلدة إليها بناء على الاتفاقات المبرمة بين القيادتين التركية والفرنسية واتفاق أنقرة. وكان اتفاق العدوين ضربة قاصمة لهذا المناضل الذي أصبح وحيداً. ولما لم تفد كل محاولات الأمير حاجم بن مهيد وخططه في محاولة تثبيت كيان دولته أرسل في مساء ١٦ كانون الأول إلى رؤساء جيشه وأمرهم بتسريح أفراده بعد جمع أسلحتهم، وقرر أن يغادر المدينة في الصباح.

وكان إلى جانبه في تلك الليلة مستشاروه الثلاثة الذين تولوا في خلال خمسة عشر شهراً إدارة شؤون دولته الداخلية والخارجية، وهم:

وهبي العجيلي وأحمد الحاج عبد الله وإبراهيم الملحم، كانوا إلى جانبه يصرفون أمور الساعات الأخيرة وفي أنفسهم ما قالوه له حين فكر بإنشاء هذه الدولة. ففي ذلك الحين، قبل خمسة عشر شهراً، أرسل إلى هؤلاء الثلاثة وحدثهم بأمر الحركة

التي ينوي القيام بها وطلب إليهم المشاركة فيها فبينوا له تخوفهم من مستقبلها فقال لهم إذاك: ماذا تخافون من هذا العمل ؟ قالوا له: أما أنت فما أقل اهتمامك بنتائجه.. إذ فشلت فما أهون عليك أن تركب فرسك قاصداً منازل عشيرتك في طوال عبا وتتركنا هنا لانتقام الفاتحين! ولقد تحقق ماقالوه بحذافيره.

ففي صبيحة اليوم التالي، في السابع عشر من كانون الأول عام ١٩٢١ كان الأمير حاجم بن مهيد، رئيس الحركة الوطنية أمير اللواء، شيخ مشايخ الجزيرة والشامية، يركب فرسه إلى طوال عبا في وسط الجزيرة حيث تنصب عشيرته من عنزه مضاربها، مملوء النفس أسىً في حين كانت الموسيقى العسكرية الفرنسية تنفخ أبواقها وتدق صنوجها بقوة لنزول الراية العربية وارتفاع العلم الفرنسي مكانها على سارية دار الحكومة في البلدة الصغيرة التي كانت عاصمة دولته والتي خلفها وراءه.

عن كتاب: "أحاديث العشيّات"

للأديب الكبير: الدكتور: عبد السلام العجيلي

ثورات المنطقة الشرقية ١٩١٩ ــ :١٩٢٤

في أوائل شهر كانون الأول /١٩١٨/ وصلت دير الزور قوة عربية من الحكومة الفيصلية بدمشق وقد كان على رأسها السيد مرعي الملاح الذي عين متصرفاً لدير الزور والأمير علي العسكري قائداً للقوة العسكرية المعينة للمرابطة فيها.

وقد سر الأهالي سروراً عظيماً لما شاهدوا طلائع القوة العربية تدخل مدينتهم ولكن سرورهم لم يدم طويلاً حيث وصلت في ١١ كانون الثاني ١٩١٨ قوة انكليزية يرأسها الميجر كاروير واستلمت الحكم في البلدة بعد تنحية ممثلي الحكومة العربية، ولما احتج هؤلاء حصل لهم الانكليز على رسالة من ممثل الحكومة

الفيصلية بحلب تبين أن وادي الفرات اعتباراً من مدينة دير الزور وما بعد يؤلف جزءاً من المنطقة التي تخضع للحكم البريطاني والتي مركزها بغداد.

وقد فرض الانكليز على مدينة دير الزور حكماً عسكرياً جائراً مما جعل بعض الوطنيين الواعين يكاتبون حاكم الرقة العسكري القائم مقام رمضان شلاش مطالبين إياه باحتلال دير الزور وإلحاقها بحكومة دمشق العربية التي يمثلها.

وفي صباح ١١ كانون الأول ١٩١٩ دخل القائم مقام رمضان شلاش دير الزور على رأس ٥٠٠ فارس من الجيش العربي ورجال القبائل وقام فوراً بمهاجمة القوة العسكرية البريطانية التي تمركزت في الثكنة فتمكن من اسكات أسلحتها واضطر قائدها في يوم ١٩١٩/١٢/١٢.

وقد قام زعيم هذه الثورة بحجز قائد الحامية العسكرية الانكليزية وبقية ضباطها كأسرى، وأعلن أنه سيعدم جميع هؤلاء في حال تعرض المدينة لأي غزو جوي أو بري بريطاني، فلم يجد البريطانيون بداً من القبول بالواقع وعندها أطلق سراح الأسرى في ١٩١٩/١٢/٢٥ وكانت القوات الثائرة في الوقت نفسه قد احتلت جميع المدن والقرى الواقعه على ضفتي الفرات حتى البوكمال، فقام الانكليز بالاحتجاج على هذا العمل لحكومة دمشق التي اضطرت للتظاهر باستنكارها لهذه الأعمال، ولكن هذا لم يمنعها من تأييدها ضمنياً لها بإرسال السيد مولود مخلص عسكرياً للمنطقة بدلامن شلاش وبهذا العمل استرجع لواء دير الزور الذي كان البريطانيون يهدفون للاحتفاظ به بضمه للأراضي العراقية.

وقد كانت لثورة رمضان شلاش نتائج سياسية على جانب عظيم من الأهمية، إذ إنها بالإضافة لكونها السبب في رجوع مدينة دير الزور إلى الوطن الأم، قد قلمت أظافر الاستعمار البريطاني في الشرق، والدليل على ذلك الخطاب الذي فاه به المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في أوائل سنة ١٩٢٠ حيث قال ما معناه: إن لبريطانية العظمى عدوين في الشرق، أحدهما هو لينين في الشمال والآخر هو رمضان شلاش في الجنوب.



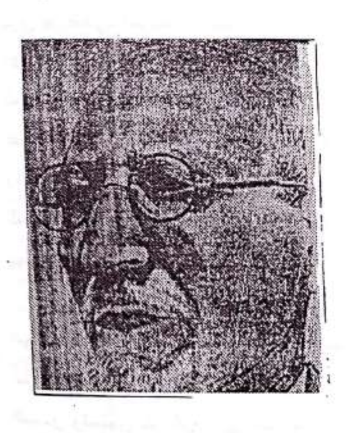
رمضان الشلاش



المجاهد محمد نوري الفتيح



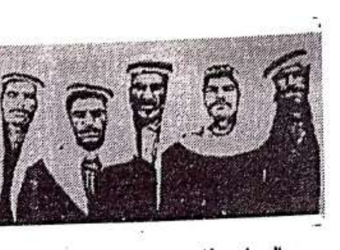
الشيخ محمد سعيد العرفي



الشاعر محمد الفراتي



المجاهد علي الحسين المحمد من أبطال معركة البو عمر وقد أحرق أربعة عشر طائرة كانت رابضة فوق أرض المطار مما جعل الفرنسيين يصابون بالذعر لأنهم فقدوا سلاحهم الجوي ضد الثوار



المجاهد طايس حمود الحمادي
مع أولاده من قوْية خشام

الحاج عربيد الشحيتر أحد
أبطال معركة خشام العنابرة



المجاهد محمد الفلاح الوحيد الذي كان يجيد استعمال المدفع ضد الفرنسيين في معركة البوعمر

Above: Sheik Ahmed
Right: Hamoudi, the foreman

الصورة للشيخ أحمد القادري (الأخطر) بعدسة آغاثا كريستي
صورة عن كتاب «أخبرني كيف تعيش» تأليف آغاثا كريستي ١٩٣٢

وقد قام وطنيو الجزيرة ضد الفرنسيين بنفس العمل الذي قام به وطنيو الفرات ضد الانكليز، حيث نرى تعاقب الغارات الوطنية على قرية (تل أبيض) التي كانت تحتلها سرية من السنغاليين بقيادة الكابتن كالفيل، وقد دامت هذه الغارات طيلة الشهور الأولى من سنة ١٩٢٠.

وفي نفس التاريخ تقريباً، هاجمت قوة وطنية الفصيلة السنغالية التي كانت متمركزة في محطة كرمناس الواقعة على الخط الحديدي الواصل بين جرابلس وتل أبيض، وكانت النتيجة إفناء نصف الفصيلة وإلقاء القبض على الباقي.

وإذا عدنا لنضال دير الزور نرى أن حملة عسكرية بقيادة الليوتنان كولونيل لموان.

ونظراً لتدخل رجال هذه الحملة في شؤون رجال القبائل فقد قامت هذه القبائل وخاصة عشيرة العكيدات بمهاجمة مطار دير الزور في ليلة ١٦/١٧ إيلول ١٩٢١ حيث أحرقت إحدى الطائرات هناك، كما وهاجمت المدينة نفسها بعد ذلك فسيرت إليها القيادة الفرنسية حملة بقيادة الكولونيل(دييبوفر) قامت من حلب إلى دير الزور يوم ٢٨/ أيلول ١٩٢١، وقد ضمت هذه الحملة القوات التالية:

ـ كتيبة الرماة السنغالية السابعة عشرة: بأمرة الكومندان بلاشر.
ـ كتيبة الرماة الإفريقيين التاسعة عشرة: بأمرة الكومندان بوسون.
ـ كتيبة الرماة الافريقيين الثانية والعشرين: بأمرة الكومندان غي.
ـ بطارية مدفعية عيار ٧٥ مم وبطارية رشاشات عيار ٦٥ مم: بأمرة الكومندان فان.
ـ كوكبة من كتيبة الخيالة السريعة الثالثة: بأمرة انريش.
ـ كوكبة من كتيبة السباهيين الحادية والعشرين: بأمرة ده لامار.
ـ مفرزة رشاشات.
ـ سرية هندسة.
ـ سرية آليات.

وقد استبسل شيوخ القبائل في مقارعة القوات الفرنسية رغم طول القتال، خاصة فخذين من الكعيدات هما البو خابور النازلون في الضفة اليمنى من الفرات بين دير الزور والميادين والبكير النازلون في ضفة الفرات اليسرى وحول الخابور.

وقد دارت بين أبطال هذين الفخذين وجنود الاحتلال الفرنسي معارك عنيفة، وخاصة المعركة التي دارت فيما بين قريتي خشام والطابية يوم ٢٤ تشرين الأول ١٩٢١ والتي مني الفرنسيون بها بخسارة ٣٥ قتيلاً منهم أربعة ضباط و١١٢ جريحاً منهم ستة ضباط.

وكانت المعركة الثانية بعد يومين أمام قرية البصيرة بين الفرات والخابور، حيث استبسل المجاهدون وأبدوا بسالة شهد لهم بها حتى الأعداء، وقد كان هذا سبباً في إعطاء الأوامر للطائرات الفرنسية بقذف المجاهدين، فألقت فوقهم ١٤٠٠ كغ من القذائف خلال خمسة أيام، مما سبب وقوع خسائر كبيرة بين قوات الثوار، أما الفرنسيون فقد خسروا ثلاثة قتلى أحدهم ضابط (هو اليوتنان لاتوريت) وعشرين جريحاً منهم الكومندان فان نفسه.

وقد دامت الحركات حتى أواخر تشرين الثاني ١٩٢١ حيث احتلت قطعة من الفرسان بقيادة الكومندان(لات) الميادين، وعادت الحملة بأجمعها إلى دير الزور فوصلتها في ٣٠ تشرين الثاني وعادت فاحتلت الرقة في ١٩٢١/١٢/١٢. ثم انثنت قواتها عائدة إلى حلب فوصلتها يوم ١٩٢١/١٢/٢٤.

وقام الكولونيل(بيغود وغرانروت) باحتلال الجزيرة في سنتي ١٩٢٢ ــ ١٩٢٣ حيث احتل الحسكة في شهر أيار ١٩٢٢ وبقية أراضي الجزيرة بعد ذلك.

وبينما كانت إحدى فصائل الهجانة الفرنسية تقوم بدورية قرب قرية الحميدية على مقربة من الحدود التركية، اعترضها عدد من أفراد قبيلة شمر في ١٩٢٢/٥/٧ فأوقعوا بها خسائر جمة فادحة حيث قتلوا قائد الفصيلة الأجيدان برتوزي(١) مع عدد من أفرادها. وفي أواخر شهر تموز ١٩٢٣ قام نفر من الوطنيين والبدو المستائين من الاحتلال لمنطقة الجزيرة بمهاجمة حامية مخفر(بهندور) الفرنسية

التي كانت تضم سريتين مختلطتين من قوات الاحتلال، ورغم قوة هذه الحامية ومحاولة نجدتها فقد تمكن الوطنيون من القضاء على أغلب أفرادها وعلى مجموع ضباطها ورتبائها، وقد تجاوز عدد قتلاها الستين، أما الوطنيون فلم يستشهد منهم إلا عدد قليل.

وفي نيسان ١٩٢٤ اشتبكت ثلاث مفارز من سرية الهجانة مع الوطنيين في قرية غدرية قرب الميادين، وكان العراك شديداً تلاصقت فيه أجساد المقاتلين فجرح من الفرنسيين أربعة وخسر الثوار قتيلين وسبعة جرحى.

وفي أيار ١٩٢٤ هاجمت فصيلتان من سرية الهجانة الفرنسية بأمرة جرافيل ولاريدان عشيرة أولاد سليمان قرب قرية(الرصافة) فقتلت منهم رجلين، وجرحت عدداً لابأس به ونهبت عتاداً من بيوت العشيرة. وقد تتابعت الثورات الصغيرة وأعمال الكفاح المسلح حتى عام ١٩٢٨ حيث توقفت مؤقتاً بعد الدعوة لانتخابات الجمعية التأسيسية التي عقدت في ذلك العام.

وقد كانت نتائج هذه الثورات مهمة للغاية، إذ إنها قضت على المطامع الاستعمارية بضم بعض أراضي الفرات، وزادت من شعور الأهلين بأن هذه الأراضي جزء لا يتجزأ من الأراضي السورية التي كافحوا طويلاً في سبيل استقلالها ووحدتها.

وفي محافظة الفرات حدث العجب العجاب فقد كانت العناصر السورية في حاميات(أبو كمال ــ دير الزور ــ الميادين) سباقة لغيرها في الالتحاق بكامل عناصرها وعتادها في القوى الوطنية، بل إن بعضاً منها شكل حكومات مؤقتة كما حدث في حامية البوكمال مثلاً.

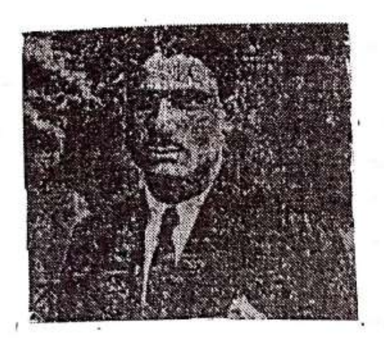
ففي يوم ١٩٤٥/٥/٢٩ قام ضابطان سوريان برتبة ملازم أول باحتلال ثكنة البوكمال، ورفعا العلم السوري فوقها وأعلنا انضمام جميع عناصر السرية الثانية من الفوج السادس لجيش الشرق السابق التابع للحكومة الوطنية، وأمرا جنود هذه السرية بلبس(الحطة والعقال) بصورة مؤقتة ريثما يقرر لباس القوى الوطنية، ولما

قامت الطائرات الفرنسية بمحاولة استكشاف وقصف المدينة أمراً بـإطلاق نـيران الرشاشات الثقيلة عليها مما اضطرها للفرار.

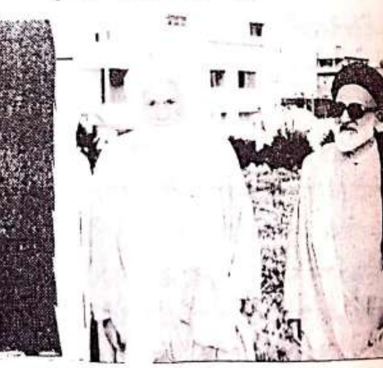
وفي الأيام من شهر حزيران قام ضابط برتبة نقيب بمغادرة ثكنة الرقة ومعه من رتباته وجنوده وكمية كبرى من أسلحته، وما كاد يصل إلى دير الزور حتى التحـق به ضابط برتبة ملازم من تل أبيض وآخر برتبة نقيب من الميادين.

ثم التحق أغلب ضباط دير الزور حامية دير الـزور بـالقوات الوطنيـة التـي ارتبطت مؤقتاً مع قيادة لواء الدرك الثالث هناك.

ولما تأخر التحاق بقية عناصر حامية الرقة بتأثير قائدها الكابتن(جرمانوس) قـام قواد حاميات(دير الزور ـ الميادين ـ البوكمال) وأحد ضباط حامية الرقـة نفسـها وقائد الفرق الآلية بعقد مؤتمر عسكري في أواسط شهر حزيران ١٩٤٥ اتفقوا بـه على توجيه نداء إلى ضباط وجنود حامية الرقة ليلتحقوا بالقوات الوطنية فـي ديـر الزور(١).



الشهيد رشيد ياسين العبوش
استشهد في ١٩٣٦/٢/١٠ عندما
هاجم الكولونيل الفرنسي جاكو
برصاص الحرس الفرنسي



المجاهدان الشيخ إبراهيم القادري / الشيخ محمد القادري



خضر لطفي

بعض من نضلات أهالي دير الزور

كان لعشائر الجزيرة والفرات دور هام في مقاومة الاحتلال الانكليزي والفرنسي. وإذا كان التاريخ لم يذكر بشكل مستفيض ثورات الجزيرة والفرات، فإننا نذكر على سبيل المثال لاالحصر كيف قاومت عشائر العكيدات والبقارة القوات الانكليزية والفرنسية التي قدمت إلى دير الزور إضافة إلى مقاومة قبيلة طي المستعمر الفرنسي في شمال سورية وعتره في الرقة، ففي شهر كانون الأول عام ١٩١٨ انسحبت القوات التركية ودخلت دير الزور قوة عربية بقيادة مرعي الملاح محافظاً واللواء علي العسكري للقوة العسكرية، ولكن القوات الانكليزية دخلت دير الزور بقيادة(الميجر كاروير) بحجة أن وادي الفرات اعتباراً من دير الزور وما بعدها يؤلف جزءاً من المنطقة التي تخضع للحكم البريطاني، لكن دير الزور قامت بثورة ضد القوات البريطانية بمساندة اللواء رمضان شلاش حاكم الرقة العسكري وابن مدينة دير الزور، إضافة إلى عشائر البوسرايا، التي ينتمي إليها اللواء شلاش. وعند خروج القوات الانكليزية استلم الحكم في دير الزور حكومة وطنية إلى أن دخلت القوات الفرنسية لدير الزور بقيادة(الكولونيل لموان) عام ١٩٢١ وأخذت تتدخل في شؤون العشائر حيث حدثت مناوشات، فقررت فرنسا ضرب العشائر بحملة عسكرية بقيادة الكولونيل(ديبوفر) ومساعدة الكابتن(ريشلن) أو(دتشام) وعلم زعماء العرب بذلك وتجهزوا لذلك. وقامت القوات الفرنسية بقيادة الكابتن (ريشان) بمهاجمة قرية(البوعمر) لكن الثوار تصدوا لها ودارت معركة ضارية قتل على أثرها الكابتن(ريشان) وغنم الثوار العديد من الأسلحة والذخائر والمدافع وشنت القوات الفرنسية هجوماً، لكنها ردت على أعقابها بفضل المدافع التي غنمها الثوار والثائر(محمد الفلاح) الذي كان يجيد استخدام المدافع كونه خدم في سلاح المدفعية العثمانية. وسقط المئات من الجنود السنغال في مكان يدعى(الحصوة) وتدخلت الطائرات الفرنسية، فقرر الثوار مهاجمة مطار دير الزور وحرق الطائرات،

وهوجمت الطائرات الأربع عشرة وأحرقت، ونتيجة للمقاومة البطولية طلب الفرنسيون الصلح ووقف القتال، إلا أن الشيخ حمود الحمادي رفض ذلك وغادر مع أفراد عشيرته إلى قريته خشام، وقام بثورة ضد الفرنسيين وأمر أبناء عشيرته بحفر الخنادق وتعبئة الأكياس بالرمل لجعلها متاريس قتال، وتقدمت قوة فرنسية بجنودها من السنغال بقيادة الكومندان(لاتوريت) إلى منطقة(السن) واعتقلت حميد السليمان السهو وجاسم السمين مختاري قرية الطابية وهما من فخذ/البو رحمة/من عشيرة البقارة لبث الخوف في نفوس الثائرين.

واتجهت بعدها إلى قرية جديدة عكيدات لتطويق قرية/خشام/ وتصدى لها الثائرون في القرية وقاوموها ونتيجة لذلك أمرت القوة الفرنسية بالتوجه إلى قرية خشام وأعطيت قيادة هذه القوة (للكومندان فان) واتخذت من(تلة السن) مركزاً لها وبدأت المدفعية والرشاشات الثقيلة مدعومة بالطائرات تصب حممها على الثائرين. وتقدمت الحملة بقيادة الملازم(ونيان) بعد أن اعتقد الفرنسيون أن الثوار قد هربوا من شدة القصف ووقعت في كمين نصبه لها الثوار وحصدت نيران الثائرين المزيد من الجنود وأما محاولة الكتائب الباقية نجدة الكتائب التي وقعت في المصيدة قامت مجموعة بقيادة (عربيد الشحيتر)(وطايس حمود الحمادي) بمشاغلة الحملة وجرها نحو مصير الموت المحتم.. ووقع الكثير من الجنود في الأسر وكان قسم كبير منهم من المغرب وتونس والجزائر، وتم إطلاق سراحهم كونهم جنود عرب غرر بهم.. أما جنود السنغال فتم إعدامهم.. ودامت المعارك قرابة شهر قتل على أثرها المئات من الجنود السنغاليين وزجت القوات الفرنسية طيرانها بكميات كبيرة ودمرت القرى القريبة وهاجمت قوة كبيرة المجاهد حمود الحمادي واستشهد برصاصة طائشة، وانتهت المعركة بمقتل الشيخ حمود الحمادي، أما شهداء معركة البوعمر – البو خابور فهم: عبد الله السمير – لطيف الصباح – حامد التركي العبد الله – عبيد المحمد الحسين – هلال الكحيص – محميد العبد الله الهزاع – حمود عبد الله التاية – حمد الخلف العساف.

وشهداء معركة خشام هم:

الشيخ حمود الحمادي ــ عبد الله العلي ــ عرسان الشحيتر ــ حمادي الـهايس ــ رمضان العبد الله ــ عزاوي العجيل ــ جاسم الخليف الكريم ــ حسين اليوسف

أما قتلى الحملة الفرنسية فتجاوز المئات من بينهم العديد من الضباط الفرنسيين منهم:

قتلى معركة البوعمر ــ البو خابور : الكابتن رتشام(ريشان) ــ اليوتنان لياس ــ الليوتنان لوسياني ــ الليوتنان ميكان قتلى معركة خشام.

قائد الحملة الكومندان فان ــ الكابتن لاتوريت.

وفي الرقة قام الأمير(حاجم بن مهيد) شيخ قبيلة عنزة بتنظيم حركة وطنية استلمت الحكم من(آب ١٩٢١ حتى ١٧ كانون الأول ١٩٢١) وحاول الفرنسيون إغراءه بالمال والدخول في طاعة فرنسة مع تعهدها بدفع رواتب لجيشه وتكليفه بحماية حدود سورية الشمالية، مع رشوته بمائة ألف ليرة عثمانية ذهباً: لكنه رفض ذلك.. وكان لابد من فرنسا أن ترسل حملة بقيادة الكولونيل نونكة(ترانكة).

وأرسل القائد الفرنسي العديد من الرسائل إلى زعماء الثورة يطلب فيها منهم تسليم الديه دون مقاومة، وإلا فإنهم يقعون تحت طائلة العقوبات الشديدة... فقام زعماء الثورة بإرسال رسالتين الأولى: إلى الكولونيل ترنكه يعلنون نولهم إلى إرادة قيادة الحملة وطلبهم ثمانية أيام مهلة من قائد الحملة لكي يتمكنوا من جمع السلاح والتخلص من المشتبه بهم.

والثانية: إلى كنعان بك قائد الفرقة الخامسة للجيش التركي(بأورفة) وفيها صورة من إنذار(ترنكه) وجواب الثائرين عليه وطلب بإمداد قوة لتمكين الثائرين من مقاومة القوات الفرنسية.. وانتظر الأمير حاجم المعونة التركية، لكنها لم تصله لأنه تبين للقيادة التركية أن رفع الراية العربية في وجه الفرنسيين لن يكون إلا فتحاً عربياً لدولة عربية، ومع ذلك فكر في أن يتجه بقوات نحو حلب لقطع خطوط

تموين الفرنسيين في بلدة مسكنة واحتلال حلب ووصلت قواته نحو ضواحيها وقاربت المدينة أن تسقط بيديه لولا الهجمات الجوية للطيران الفرنسي الذي أثر تأثيراً مباشراً في المعركة.. وقرر أن ينسحب بعد ان خانه الأتراك، وأخذوا يفاوضون الفرنسيين للانسحاب عما بقي لديهم من أراضٍ سورية، وبعد رجوعه للرقة أمر بتسريح أفراد جيشه ومغادرة المدينة في الصباح.. وكان ذلك في ١٩٢١/١٢/١٧ وبعد احتلال الجزيرة السورية عام ١٩٢٢ بدأت القوات الفرنسية تتدخل في الشؤون العشائرية لعشائر شمر وطيء والجبور.

وفي ١٩٢٢/٥/٧ اعترضت دورية من فصائل الهجانة الفرنسية أفراد العشائر، فما كان من أفراد العشائر إلا الانقضاض على الفصيلة وقتل قائدها(برتوري) فجاءت قوات فرنسية لنجدة القوات، إلا أن العشائر المتواجدة والمتبقية في المنطقة أوقعت القوات المنجدة في كمين، وقام الثائرون بمهاجمة موقع بياندور(بهندور) الذي يضم سريتين من القوات الفرنسية، وقضى على أكثر المتواجدين بالموقع، وبلغ عدد القتلى بالعشرات.

وفي نيسان عام ١٩٢٤ وقعت معركة في قرية(الكرية) التي ينتمي أفرادها إلى عشيرة العكيدات، وذلك بعد أن هاجموا سرية فرنسية أتت تعسكر بالقرب من قريتهم وقتل الثوار العديد من أفراد السرية.

وفي عام ١٩٢٣ وقع خلاف بين أفراد من عشيرة الحسون وبين الجنود الفرنسيين ففرضت عليهم السلطات جزية عبارة عن بضع عشرة بندقية حربية، لكن الشيخ(مشرف الدندل) رئيس عشيرة الحسون أصدر قرار الثورة ضد السلطات الفرنسية، وعلمت فرنسة بذلك فطلبت نجدات من دير الزور، وقامت بتطويق مدينة البوكمال فتصدى لها الثوار وذلك في موقع(أبي السياط) وبلغ عدد القتلى الفرنسيين عشرة جنود وضابط برتبة كابتن هو(وفليه).

وضربت القوات الفرنسية المدينة بالمدفعية الثقيلة لمدة ثمان وأربعين ساعة، انسحب بعدها الثائرون إلى العراق، واعتقلت السلطات الفرنسية عبد الله الدندل

ومحمد الهامة من زعماء الثورة وأصدرت حكماً بإعدام الشيخ(مشرف الدندال) وأخيه الشيخ(رجا) بالسجن لمدة عشرين عاماً وبالنفي على كل من(سطام المنوخ، محمد التراع، ورجا السطم).

وفي عام ١٩٢٣ أرادت السلطات الفرنسية تأديب الشيخ شواخ البورسان من عشائر الولدة(البو شعبان) بسبب مواقفه الوطنية، وجهزت له حملة من حلب باتجاه شمس الدين(الرقة) وكان يفصلهم عنها نهر الفرات وصدف أنه كان ضمن الحملة قائد مدفع مغربي(عبد الله المغربي) احتج بأنه عطشان ولجأ إلى قرية(البابيري) أحد أفخاذ عشائر الولدة(الأبو مسرة) وابلغهم أن هذه الحملة ذاهبة لشمس الدين لضرب شواخ البرسان وعشيرته فأرسلوا له خيالين قاما بتبليغه، وذلك بعبور نهر الفرات فاتخذ الشيخ شواخ احتياطاته، وذلك بتوزيع الناس إلى مغاور/جبل السن/ وجيلة الدوغانية بوادي يسمى/وادي جهنك/ وفي الصباح قامت القوات الفرنسية بقصف القرية.. وبعد انتهاء الحملة في المساء شعر/عبد الله المغربي/ بأن الفرنسيين قد عرفوا بأنه هو الذي أخبر عشائر/الولدة/ فهرب إلى شمس الدين عن طريق منطقة مزروعة بالذرة البيضاء وتغمرها البردي وبقي هناك عند الشيخ البورسان لفترة ما قبل انتهاء الاحتلال الفرنسي، وكان يدرب الفرسان ويرأس الحرس.. وكان موقفه نبيلاً ويدل على أصالة عربية في نفوس أبناء الأمة الواحدة.

وفي عام ١٩٤١ أعلن رمضان الشلاش الثورة على الفرنسيين، بعد أن دعا شيوخ عشائر محافظة دير الزور /عبود الجدعان، دحام الدندل، كسار الصياح، تركي النجرس، وراغب البشير/ وأقسم هؤلاء اليمين أن يلتزموا مع رمضان بالثورة، والتزم في الباح البو سرايا، البكير، البقارة(راغب البشير) وتخلف العديد من شيوخ العشائر. وبدأت الثورة وانطلق رمضان الشلاش من الدير إلى ناحية البصيرة(قرية بريهة) وثار معه حوالي خمسة عشر ألف ثائر من عشائر العكيدات. واستمرت الثورة حوالي شهر واخمدت ونقل إلى بيروت وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى الجلاء عام ١٩٤٦.

ونفي داود سليمان الحمادة. عبد الرحمن الجدعان، حمادي الجدعان ، غثيث الوكاع، عاشق حمد شلاش، أسعد حمد الشلاش، راغب البشير.

وفي عام ١٩٤١ كان في مدينة الميادين حامية مؤلفة من نقيب فرنسي وجنود سنغاليين، وجاءت الأخبار للثوار بأن هناك سيارة تقل عدداً من الضباط الفرنسيين قادمة من البوكمال. فأرسلت الحامية أربعة عشر جندياً لحمايتها، ونصب لها الثوار كميناً قرب الميادين ودارت معركة شرسة بالسلاح الأبيض امتدت للميادين واشترك في هذه المعركة ٢٥٠ جندياً قتل منهم جندي وضابط. وفي عام ١٩٤٢ فرضت السلطات الفرنسية ضرائب باهظة على عشيرة ادميم(عكيدات) التي تسكن قرية(المسلخة) لكنها لم تدفعها فسيرت السلطات الفرنسية قوة أحاطت بالقرية وأخذ الجنود يعتدون وينهبون حلي النساء، فأعلن السكان الثورة وحدث اشتباك مسلح قتل فيه خمسة عشر ثائراً بينهم حمد الفارس الصياح. وقتل قائد الحملة(الليوتنان اسران) واندحرت القوات الفرنسية. وتألف وفد من ستة عشر خيالاً بينهم الشيخ كسار الصياح والشيخ جوير الهويدي والشيخ عبود الفارس الصيح لمقابلة(القائمقام) لشرح الحادث. فتصدت لهم دورية فرنسية اعتقلت كسار الصياح، وجوير الهويدي وحدثت ملاسنة بين كسار الصياح والكابتن /سلفي/ فقام في السجن وأطلق عليه النار من بندقية حارسه فأرداه قتيلاً.

رمضان الشلاش

هو رمضان بن عبد الله بن سليمان من عشرة البوسرايا(العكيدات) ولد في قرية الشميطية سنة ١٨٨٢م وتخرج من المدرسة الحربية بالآستانة واشترك في حرب طرابلس الغرب. وخلال الحرب العالمية الأولى كان في حلب، ثم عين قائداً لسلاح الفرسان في الحدود السورية الحجازية والتحق بالثورة السورية الكبرى ومنح لقب باشا. دخل دمشق مع الجيوش العربية ثم عين حاكماً لمناطق الرقة والخابور والفرات وخلال هذه الفترة قام بثورة دير الزور.

واستقدمه الملك فيصل من دير الزور وأجبره على الإقامة بدمشق وعندما غادر فيصل سوريا عينه قائداً لجيش التحرير في سوريا. وألف الجيش واستمر في الحرب مع الفرنسيين بضعة أشهر، وانسحب لشرقي الأردن إلى أن شبت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ فدخل الغوطة والتحق بالثورة. لكنه اختلف مع زعماء الثورة فسار لدير الزور لإشعال الثورة.

وعند وصوله لسلمية نزل ضيفاً عند آل ميرزا فقبض الفرنسيون عليه وأخذ لبيروت وفرضت عليه الإقامة الجبرية وظل فيها لسنة ١٩٣٧، ورفعت عنه الإقامة الجبرية. فسكن حلب. ونتيجة موقف فرنسا العدائي لعرب العكيدات أعلن الثورة على الفرنسيين في(البصيرة) وثار معه حوالي خمسة عشر ألف ثائر من عشائر العكيدات، واستمرت الثورة حوالي شهر وأخمدت ونقل لبيروت وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى الجلاء سنة ١٩٤٦ ورجع لدير الزور وتوفي بدمشق عام ١٩٦١ ودفن فيها.

المرجع عن كتاب: رحلة في مضارب القبائل العربية

للأستاذ الباحث: أمير سلامة الجويشي

إن هذه المعلومات مقتبسة من كتاب(شعب ومدينة) لمؤلفه الأستاذ أسعد الفارسي

٨ حزيران عام ١٩٤١.

عزيزي السيد جميل مردم بك:

سيوجه الجنرال كاترو في حالة دخوله إلى سورية نداء باسم فرنسا، وقد نال موافقتي ويتضمن هذا النداء حقوق الشعب العربي في كل من البلدين[1] باستقلال تام وسيادة مطلقة وإني لآمل منك أن تتعامل مع فرنسا الحرة ومنها الجنرال كاترو.

القائد العام لقوات فرنسا

الجنرال ديغول

[1] ـ عن كتاب مذكرات الجنرال ديغول، والبلدان هما سورية ولبنان.

وصل ديغول إلى سوريا بعد رحيل الفيشيين في ٢٦ تموز عام ١٩٤١، وألقى خطاباً في جامعة دمشق، كما زار حامية دير الزور الفرنسية، ولم يتطرق إلى وعده إلا بأسلوب غير مفهوم، أخذ يماطل فيه ويسوف، فشهدت سورية من أدناها إلى أقصاها أحداثاً داميةً في تشرين الثاني من عام ١٩٤١م، وبطبيعة الحال تحملت البوكمال كغيرها من مدن سورية نصيبها من هذه الاضطرابات، وكانت المناسبة أن أوعزت السلطات الفرنسية لأحد عملاء المنطقة بإرسال برقية تأييد وشكر للقيادة الفرنسية، ويطلب من الله باسم البوكمال وعشائرها أن تبقى فرنسا في ديارنا، مما أغضب أهالي المنطقة، فقام مخاتير المدينة والقرى بإرسال برقية معاكسة تطلب من القياداة الفرنسية الانسحاب من سورية، وتستنكر تنصل الفرنسيين من الوعود التي قطعوها بالانسحاب وإعطاء الاستقلال.

قامت السلطات باعتقال مرسلي البرقية، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية في مقر الأمن العام الفرنسي، فقام المرحوم شريف النهار بتأمين الطعام ولوازم النوم للمعتقلين طيلة مدة الحبس الذي قضوه شهراً في المركز.

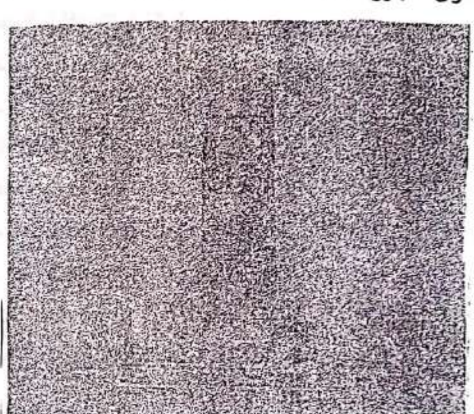
معركة المسلخة[1] عام ١٩٢٤:

أرادت السلطة الجديدة البرهنة على قوتها، وإرهاب الشعب كما فعل الفيشيون، ولهذا سيرت قوة كبيرة، أخذت تجوب القرى وتحصل الضرائب وتقوم بالإرهاب والتخويف، ولتؤكد بأن القوة الفرنسية الجديدة قوية كسابقتها.

انطلقت الحملة بقيادة كابتن وملازم ومساعد، وبدأت المرور على قرى الشامية ففهم المسلحون قصد الجيش الفرنسي فتواروا عن الأنظار، حتى وصلت الحملة إلى قرية المسلخة التي يسكنها الدميم من البوكمال، فأخذت تتجول بين البيوت، وتفتش بعض المنازل، ولا تدري بأن الرجال المسلحين يكمنون في المزارع بين السواقي، ويراقبون الموقف بحذر شديد. فتشوا منزل كسار الصياح وهو خال من الرجال

[1] ـ المسلخة قرية تابعة لمنطقة أبو كمال.

فاعترضت امرأة، فضربها أحد الجنود بسوط فصرخت مستغيثة، فانهال الرصاص عليهم من كل مكان ودارت معركة شرسة بين الدميم والجيش الفرنسي، فقتل ضابط ومساعد من القيادة، كما قتل خمسون من الجنود الفرنسيين والسنغال، وطوفت جثثهم في نهر الفرات طعاماً للأسماك، وفي هذا الوقت وصلت نجدة البقعان[1] والنجدات من القرى المجاورة، فذهبت الحملة طرائد إلى البوكمال تحمل الجرحى.



بقايا النصب التذكاري الذي أقامة الفرنسيون لقتلاهم في حاوي المسلخة

سمع الضابط الفرنسي المسؤول في البوكمال بما حصل فاستنفر العسكر السيار وبقية الجند، وفي هذه الأثناء ذكرت له كوكبة من فرسان الدميم في مدينة البوكمال، وكانت لا تدري بما حصل، فأسرع باعتقال الشيخ فارس الصياح والشيخ كسار الصياح، ثم أفرج عن فارس، وأبقى كسار الصياح رهينة وهو يبيت الغدر، فهاجت منطقة البوكمال بأكملها لمكانة أبو النوري في نفوس الناس، وفي الصباح زحفت العشائر البوكمالية من كل القرى وحاصرت المدينة، وقررت ذبح الفرنسيين بأكملهم

(1)- البقعان من بقايا عشيرة العبيد في منطقة البوكمال.

في موجة من الغضب العارم، ولكن الشيخ فارس الصياح طلب من الناس التفرق، لأنه أخذ وعداً من الفرنسيين بعدم المساس بكسار شريطة أن يرجع العشائر الثائرة وعندما هدأ الموقف انفرد المجرم(سوبير بيال) بكسار الصياح وهو أعزل من السلاح في السجن فأطلق عليه النار فقتله، فخسرت البوكمال رجلاً كريماً وقافاً في الشدائد والملمات الشهيد كسار الصياح أبو النوري.

حملت جثة الشهيد سراً إلى دير الزور، وهرب سوبير بيال[1]، وفيما بعد أعيدت جثة كسار الصياح إلى البوكمال، وسجل الفرنسيون في البوكمال سابقة لا مثيل لها من الإخلاف بالوعد والغدر الجبان، وقد قتل في معركة المسلخة كل من: حامد التركي، وعبيد المحمد الحسين، ومحميد العبيد الهزاع، وجرح حمد الفارس الصياح، وخليفة العبد، وسدة النجم، وهناك من أضاف إلى أسماء الشهداء: هلال الكحيص، ومزعل العون.

يوم من أيام البطولة:

أشرق يوم التاسع والعشرين من أيار عام ١٩٤٥، وانبلج صبحه عن ملحمة وطنية سجلها أهل البوكمال كعادتهم في الملمات، إنه يوم الانتصار الرائع، والعرس الوطني، وشرارة الاستقلال التي انطلقت في البوكمال المحررة، وتمت في عموم سورية بعد عام واحد من ذلك الحدث الكبير في نيسان من عام ١٩٤٦م.

أنزل العلم الفرنسي من ثكنات البوكمال، ورفع العلم السوري في رابعة النهار على الرغم من طائرات الفرنسيين ومدرعاتهم ورشاشاتهم، بعد خمسة وعشرين عاماً من الذل والمهانة، وفيما يلي نقدم وصفاً لما حصل، ومن ثم أترك المصادر تتحدث عن يوم من أيام البطولة الخالدة والمآثر الوطنية في مدينة البوكمال الصغيرة بحجمها وعدد سكانها، بأفعال رجاله.

(1) - لم تتفق المصادر على اسم قاتل كسار الصياح ولكن العسكر السيار أشاروا إلى سوبير بيال. وهذا كان برتبة كابتن ويتولى إدارة الاستخبارات الفرنسية في البوكمال.

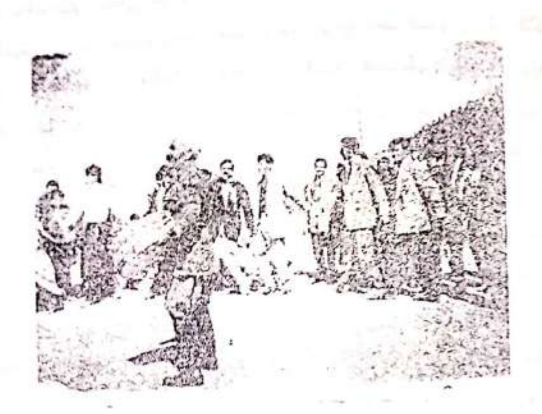
تفجرت الأحداث في صيف عام ١٩٤٥ م في عموم قطرنا العربي السوري، واندفعت الجماهير إلى الشارع بحماس ملتهب تطالب بالاستقلال. ففي ليلة السابع والعشرين من أيار علمت جماهير البوكمال بما يحصل على الساحة السورية، فاندفعت من القرى المجاورة ومن المدينة، وهي تشهر السلاح علانية، في الوقت الذي استنفر فيه العسكر السيار، والجيش الفرنسي، ونصبت الرشاشات على أسطح المباني وفي الأماكن الحساسة، مع تراخ ظاهر من بعض قيادات الجيش، وخصوصاً من قبل الملازم الأول سليم الأصيل والملازم صبحي بنود، وقائد الدرك الحاج نوري بدوي، وكان الموقف غامضاً على الناس لسببين:

أولاً ــ الدعاية التي بثها ضابط المخابرات الفرنسي(فيرميلان) بأن فرنسا باقية وأن مستقبل المتطوعين في الجيش الفرنسي مضمون، ووعد بالهدايا والعطايا.

ثانياً ــ تصميم الشعب السوري على نيل الاستقلال مهما غلت التضحيات والتطمينات القيادية العربية بأن الاستقلال قادم لامحالة بإذن الله.

ولما علم الفرنسيون بحرج الموقف في البوكمال، قاموا بنقل الملازم أحمد العظم، وأرسلوا بدلاً عنه الملازم سليم الأصيل، الذي استطلع الموقف بنفسه، وإذا به بالغ الخطورة، وإن لم تحصل معجزة وإلا فالمذبحة قادمة. تردد في البداية، وأصر البنود على الانضمام للقوى الوطنية فدارت المفاوضات بينهم وبين العشائر بقيادة مشرف الدندل الذي عاد من العراق وبين أهالي البوكمال ومفتي المدينة، وهنا سرت شائعة بأن المتظاهرين ينوون اعتقال أسر الجنود والضباط والمتمترس بهم وهم يزحفون إلى الثكنة الرئيسية في البوكمال، ونشط الوسطاء، فاتفقت قيادة المظاهرة مع الضباط على تفاصيل الموقف سراً.

وذلك بأن تقوم مظاهرة حاشدة مسلحة تداهم باب الثكنة، في وقت تقوم فيه العناصر الوطنية في الجيش باعتقال الموالين لفرنسا، وعندها يعلن الانفصال عن الجيش الفرنسي، ويرفع العلم السوري، وتترك الأمور للقيادة الجديدة وتفرق الجماهير خوفاً من الغوغاء، وعمليات السلب والنهب.



محمد النجدي ضارب الطبل في كل المناسبات الوطنية يتوسط حلقة من الطلاب المتظاهرين الفرحين بيوم جلاء المستعمر عن أرض الوطن.

يوم التاسع والعشرين من أيار عام ١٩٤٥ هو من أيام البوكمال الخالدة، لايمكن تسجيله لشخص أو قبيلة، أو لفئة أو جماعة[1] أنه يوم البوكمال بشيبها وشبابها، بعشائرها وحضرها. نودي على المرحوم محمد النجدي ضارب الطبل الحربي في المناسبات الوطنية، فقرع طبله في الساحة العامة للمدينة، وتدافعت الجماهير بمظاهرة حاشدة أخذت منذ الصباح تطوف الشوارع، والجنود محاصرون في الثكنات، ويصوبون الرشاشات باتجاه المتظاهرين.

وعند الساعة التاسعة من ذلك اليوم الأغر اندفعت الجماهير إلى أبواب الثكنة، والرصاص ينهمر فوق الرؤوس، وصوبت بعض العناصر الخائنة الرصاص إلى الجماهير مباشرة، فجرحت المرحوم عبد الله الدبس جرحاً بليغاً، كما جرح محمد

---

(١) ـ كتب لي عم العقيد صبحي بنود رسالة يحتج فيها على مقال خليل قطيني من الحسكة الذي نسب رفع العلم السوري إلى شخصية محددة من أهل البوكمال دون غيرها.

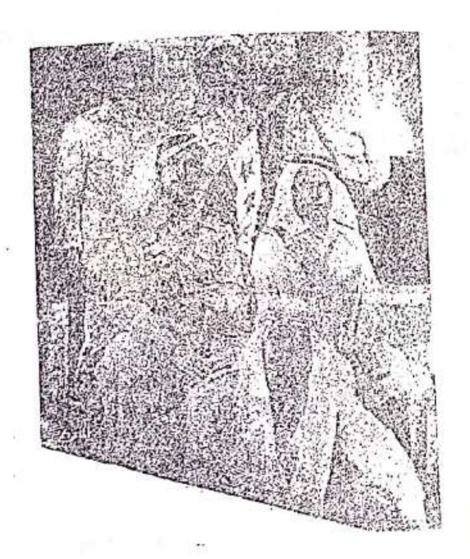
طه العساف، لكن مطلقي النيران تمت السيطرة عليهم، وانضمت العناصر الوطنية من الجيش إلى المواطنين، وقام الأصيل والبنود برفع العلم السوري على الثكنة، في حضور الوجهاء ورؤساء العشائر، وطيرت برقية انفصال البوكمال وإعلانها لاستقلال سورية، وسط أهازيج الفرح وطلقات الرصاص الذي أطلق في الهواء.

وبعد أن تمت السيطرة على الثكنة العسكرية، اندفعت الجماهير لتحاصر مسؤول الأمن العام الفرنسي(كوستوا) فوجدوه يتحصن في منزله ومعه ستة عشر رجلاً من الحراس، وأخذ يطلق النيران التحذيرية على الناس المحيطين بالمنزل، وفجأة تخاذل الحراس فتسور المواطنون الجدران، وهبطوا الدرج إلى ساحة المنزل وهو يطلق النار عليهم وعلى الحراس، ولم يصب أحداً، وفي النهاية استسلم، وأخرجته الجماهير، وقاده المرحوم علي الحاج حتى سلمه لقائد الدرك الذي أرسله مخفوراً إلى دير الزور، وسلم للقيادة الفرنسية. نسيت جماهير البوكمال في يوم عرسها الوطني كل نقائص الفرنسيين وغدرهم، ولم تغدر بأسيرها، كما غدروا بكسار الصياح رحمه الله.

البوكمال بعد التحرير:

حلقت الطائرات الفرنسية في اليوم التالي، فقابلتها الرشاشات المضادة فولت هاربة بعد أن ـ تأكدت من التفاف الجماهير حول القيادة الجديدة، وهددت القوات الفرنسية باقتحام البوكمال من البادية براً، ولكن الظروف لم تسمح لها بذلك، وقد اشتعلت الثورة على فرنسا في كل المدن السورية. وأمام هذا الفراغ تشكلت لجان شعبية للدفاع وأخرى للمالية، وأخرى لحفظ الأمن، وجعلت رئاسة هذه اللجان بيد المرحوم الشيخ دحام الدندل. ومن مآثر الحكومة المؤقتة في البوكمال: قيامها بدفع رواتب الجنود والضباط في حامية البوكمال من تبرعات المواطنين حتى تسلمت الحكومة السورية المستقلة مقاليد الأمور في كل سوريا. وكانت على اتصال دائم بمحافظ دير الزور الثائر محمد غالب ميرزو. وتدفقت إلى البوكمال كل العناصر

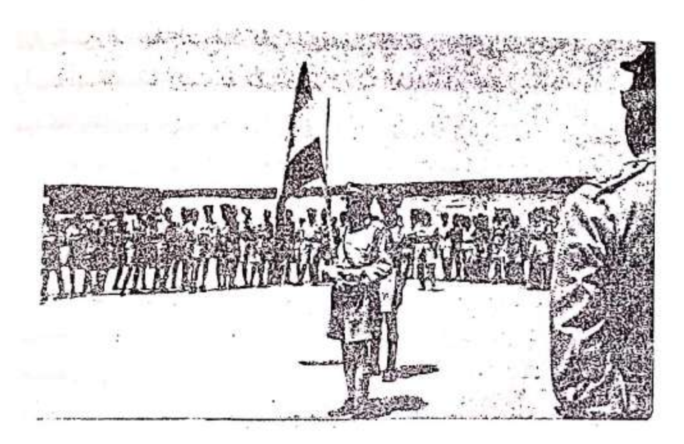
الهاربة من الضباط إذ استقبلت البوكمال مجموعة من الضباط بمظاهرة حاشدة، وأمنت لهم الحماية ريثما يتم تشكيل الجيش السوري الوطني من جديد، والضباط هم: كما يظهرون في الصورة:



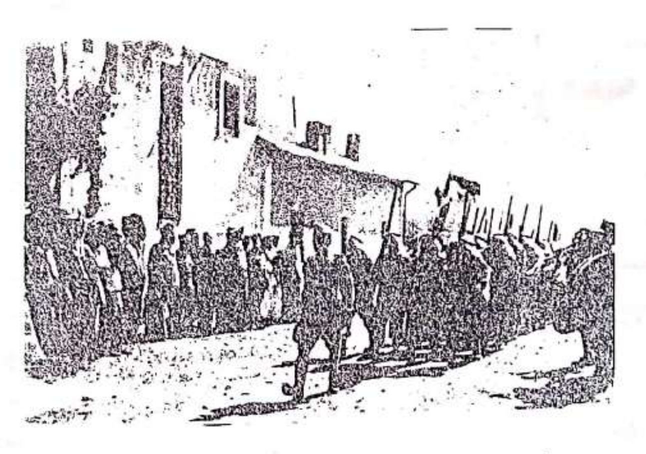
الجالسون أرضاً: الملازم صبحي بنود

الجالسون من اليمين الرئيس موفق القدسي، والملازم طارق الكيلاني

الواقفون من اليمن: الملازم الأول سليم الأصيل، والرئيس نظام الدين والملازم جمال فيصل



الملازم صبحي بنود يخطب في عسكر الكتيبة ويحثهم على الصمود



سرية البوكمال في الزي الوطني تستعرض في شوارع المدينة



عبد الله الدبس يعالج من جرحه البليغ في يوم الاستقلال



الشيخ دحام الدندل المشرف العام على اللجان الشعبية

ثورة البوكمال في مصادر التاريخ:

كتب عن ثورة البوكمال ضد الفرنسيين عام ١٩٤٥ كل من: أدهم الجندي، وإبراهيم علوان، كما نشرت مقالات عنها في الصحف السورية والمجلات ومنها مجلة العمران، ووجدت من هذه المصادر ما كتبه الأستاذ زهير الشوا عام ١٩٤٦[1] في معرض حديثه عن الثورات السورية. قال الشوا: إن البوكمال، هذه

[1] ـ دماء وجلاء بقلم زهير الشوا. دمشق ١٩٤٦، مطبعة الإتقان. من ص ١٣٢ ـ ١٤٢.

تقع على حدود العراق في أقصى البلاد السورية، سكانها أتقياء أوفياء للوطن. وقد كان الفرنسيون قبل ثورة أيار يجتهدون لرفع معنويات الجيش الذي يسمونه (الجيوش الخاصة) وذلك بزيادة الرواتب، وحسن المعاملة والوعود الكاذبة بإرسال الزعيم(فيرميلان) لإلقاء المحاضرات على الضباط وبث روح الدعاية الفرنسية التي تقصد توحيد الصفوف للمؤامرة التي كانوا يستعدون لها للقضاء على آخر حركة وطنية في سورية.

محمد غالب ميرزو:

على الرغم من كون عطوفة محافظ دير الزور عام ١٩٤٥ من أهم الشخصيات التي عاصرت الأحداث، إلا أن غالب بك ميرزو يعتبر ضيف الشرف في هذا الكتاب، وسبب الاستضافة بحث أعده بعض شباب المحافظة وكلفني بالاطلاع عليه ونقده، وإذا به يسيء إلى شخصية هذا الرجل الشهم النبيل الذي تسطر بحقه أنصع الصفحات البطولية. لم أجد كلمة موجزة أعبر فيها عن عظيم تقديري له ولدوره الحاسم في معركة الاستقلال عام ١٩٤٥ مثلما وجدت وصفه رحمه الله في بعض المصادر:

(إنه الشخصية الفذة، والنفس الوثابة، ذو العزيمة الثابتة، والإرادة المتقدة.

شعلة وطنية تندلع نيرانها أينما حلت في أرض الوطن، لتدك حصن الرذيلة وتنتشر راية الفضيلة) والده محمود ميرزو من أكراد دمشق نزح إليها في أواخر العهد العثماني، وعمل في الزراعة والتجارة، وكرس جل وقته لتربية أولاده ومنهم المرحوم محمد غالب ميرزو.

ولد محمد غالب ميرزو عام ١٨٨٩ م، وتعلم في البداية في دمشق، ثم أرسله والده ليكمل تعليمه العالي في تركيا، وما إن عاد حتى انتظم في سلك القضاء في سورية، وتدرج في المناصب القضائية على مدى ثلاثين عاماً ليصبح في النهاية رئيساً للمحاكم البدائية. غضب عليه الفرنسيون فنقلوه إلى حمص، ثم عاد إلى دمشق، ومن هناك أرسل محافظاً للفرات لمدة ثلاث سنوات كانت حافلة بأهم

وأصعب الأحداث، وتعرض للموت في سبيل الله والوطن أكثر من مرة، وبعد نيل الاستقلال نقل إلى دمشق مديراً للشرطة، ثم محافظاً للسويداء لمدة ثلاث سنوات حتى أحيل على التقاعد.

نظيف اليد حلو الشمائل، أمضى عمره في خدمة الوطن وفعل الخير، ومات ولم يترك لعائلته سوى راتبه التقاعدي المتواضع، ومسكناً بالأجرة دلني عليه(سمان) دمشقي بصعوبة بالغة. توفي في الثمانين من عمره عام ١٩٦٧ م في دمشق، وترك خلفه الذكر الحسن وصفحات لاينساها المخلصون ناصعة البياض، ومن الذرية الأبناء الذكور: عاكف، ورامي، وكاظم، ومحمد، ومن البنات الأخوات: عائشة، وعصمت. ومن مآثره الخالدات:

ـ أجج النضال الوطني ضد الفرنسيين في محافظة الفرات عام ١٩٤٥، أدرك اللعبة القذرة التي كانت تلعبها المخابرات الفرنسية، بتفريق العشائر الفراتية، ودفعها لطلب الثارات والغزو، كما قامت تلك المخابرات بتوزيع الأسلحة على بعض الزعماء ودفعهم للسيطرة على الآخرين، وبفضل هذا الرجل تحولت كل البنادق نحو الفرنسيين.

ـ حضرت لجنة بريطانية للتحقيق بأحداث دير الزور، فوقف الكولونيل(هوكنه) الفرنسي غاضباً وقال: هناك تدبير خارجي للأحداث، والدليل كثافة الأسلحة بيد السكان في الفرات فوقف محمد غالب ميرزو ليقول: هل يمكن للكولونيل أن يوضح لنا كيف وصلت إلى أيديهم؟!.

ـ طلب من الفرنسيين علينا سحب مفارز الحرس السيار من ريف الفرات، أصدر أمراً للشرطة الوطنية بإطلاق النار عليهم حالما يشاهدونهم هناك.

ـ حمّلت القيادة الفرنسية السورية مسؤولية الأحداث في المحافظة، وخططت لاغتياله فلم تفلح لالتفاف الجماهير الوطنية حوله، ففي إحدى المحاولات اعتقلت الشرطة الوطنية ثلاثة رجال مزودين بالقنابل والمسدسات يحاولون قتله، فأودعهم السجن ونالوا عقابهم العادل.

كما خصصت القيادة الفرنسية مبلغ ٢٥ ألف ليرة سورية لمن يأتي بـــه حيـاً أو ميتاً.

ــ قصفته القوات الفرنسية وهو مقر المحافظة يجتمع مع أعيـــان ديـــر الـــزور وتحيط به الجماهير، فقتلت الشيخ فاضل البدر، وجرحت محمــــد علــي الشــعيبي وسليمان الحاج.

ــ قصف الفرنسيون منزله بالطائرات ولكن الله سلمه إذ نجا بأعجوبة مع أفـــراد عائلته، ونقل مقر إقامته إلى منزل سليمان الخالد في دير الزور، فأصلى الفرنسـيون المنزل بنيران حامية فتسلل إلى مكان آمن ووجه بياناً إلى الفرنسيين يحذرهـم مـن مغبة الاستمرار بقصف المدن الفراتية بالطائرات والمدفعية، وينذرهم بــأن العنــف الذي يمارسونه لن يمر بدون عقاب.

ــ حال دون اصطدام الشعب بالعناصر العربية التي كانت تخــدم فــي الجيــش الفرنسي، ووجه إليهم خطاباً ذكياً قال فيه:

(أيها الضباط والجنود في القطع الخاصة، إن الحكومة السورية الوطنيــة كــانت وما تزال تحرص على التعاون معكم، وهي ترحب بكم للعمل في جيشها وإنهاضــه بما أوتيتم من خبرة ودراية، وإني باسم الحكومة أفسح لكم المجال الرحب للانضمـام في هذه القطعات، والذين يودون اعتزال الخدمة فهم أحرار، وقد أذعت عليكم هــذا المنشور حتى تكونوا على بينة من حسن نية الوطن البــار بأبنائــه جميعــاً، علــى اختلاف الطوائف والعناصر والسلام عليكم).

محمد غالب ميرزو

محافظ الفرات

كان لهذا النداء الذكي نتائج فورية، إذ التحقت بنواة الجيش السوري الذي تكـــون في دير الزور مجموعة من الضباط، وهم: الملازم جمال فيصل، والملازم طـــارق الكيلاني، والرئيس توفيق نظام الدين، والرئيس موفق القدسي، وقد أرشدهم المحافظ للهرب إلى البوكمال المحررة بسيادة يقودها العريف عبد اللطيف العاني، فاســتقبلهم

البوكمال استقبالاً حافلاً مع الجيش المحلي بقيـــادة المـــلازم الأول ســليم الأصيـل والملازم صبحي بنود، ويكفي محافظ الفرات محمد غالب ميرزو فخراً كون نـــواة الجيش العربي السوري تكونت في دير الزور، وحركت إلى أكثر من جهة بســرعة في فترة تفكك الجيش السابق وانسحاب الفرنسيين.



محافظ الفرات عام ١٩٤٥ محمد غالب بك ميرزو في صورة أهدتها لمؤلف الكتاب عائلته التي تسكن في دمشق.

وقد صرح لي العم اللواء جمال فيصل عندما زرته في حمص عام ١٩٨٤ قــال: اتصل بنا رئيس الأركان في الجيش العربي السوري الذي تكون بعد الاستقلال عبــد الله عطفة، وقال لقد دخلتم الآن جيشاً جديداً بدون ســـلاح ولا مــهمات ولا ألبســة

للجند، وعندكم في دير الزور نصف ما عند الجيش السوري[1] من تجهيزات وأسلحة، فانقلوها إلينا بسرعة.

سليم الأصيل:

ينتمي الأصيل إلى عائلة وفدت إلى الشام من الموصل عام ١٨٢٠ ـ ١٨٣٠، وجده سليم الأصيل الأول كان يعمل في المحاكم الشرعية في دمشق، ومختاراً لحي مئذنة الشحم في المدينة، أعقب ولداً اسمه محمد أمين علمه وطوعه في الجيش العثماني برتبة ضابط عام ١٩٠٢، وكان من ضباط جيش الشريف فيصل الذي دخل دمشق ١٩١٨، وعين بعدها حاكماً للبقاع في الحكومة الفيصلية، ثم حاكماً لدمشق، وترك الخدمة العسكرية منذ ذلك التاريخ، وتفرغ للتعليم وتربية أبنائه: سعيد الذي تخرج مدرساً وتقاعد، وولد آخر تخرج من ضباط الشرطة، وآخر عمل تاجراً، أما سليم الأصيل الابن فهو المقصود بالعنوان من مواليد دمشق عام ١٩١٤، تطوع في المدرسة الحربية بحمص في ١٠ أيلول عام ١٩٣٤ وتخرج منها ضابطاً في جيش الشرق الفرنسي، وتقلد عدة مناصب منها: التحاقه بفوج المشاة السادس في دير الزور في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٤٥، وبعد الاستقلال نقل إلى الجولان في الجبهة السورية مع العدو الاسرائيلي، وكلف بمهمة استطلاع القطاع الشمالي من الأرض المحتلة في عام ١٩٤٧ وعاد بعد شهر من شروعه في المهمة فتدهورت به السيارة العسكرية التي كانت تقله مع ثلاثة من زملائه، ونقل إلى المستشفى لمعالجة كسور في ترقوته، كما شارك في معركة سمخ وكعوش وبانياس ضد اليهود. أرسل إلى جيش الإنقاذ في شعبة الاستخبارات العسكرية في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وبعد عدة أشهر عاد إلى الجيش السوري حتى وصل إلى رتبة مقدم ثم أحيل إلى التقاعد. أجمل ما وجدته في السجلات العسكرية الفرنسية

[1] ـ لأن ثكنات الفرات تحررت بالعمل العسكري وغنم ما فيها، ومعظم الثكنات الأخرى سحب الفرنسيون منها العتاد بعد الاتفاقية.

بحق هذا الرجل: (عد فاراً من الجيش في ٣٠ أيار ١٩٤٥ بإعلانه العصيان المسلح على الفرنسيين وهو على رأس سريته وأول من التحق بجيش سورية بتاريخ التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥) كما وجدت عدم الرضا من بعض قيادات الجبهة السورية عن بعض تصرفاته لأسباب كثيرة، وجدته يدافع فيها عن نفسه في عريضة قدمها لوزير الدفاع ويطالب بمحاكمته ومحاكمة من يقولون بحقه[1].
تزوج مسيحية من حمانة في لبنان هي ابنة حنا المقدسي الياس، وكانت معه تعايش أحداث البوكمال عام ١٩٤٥، ثم تزوج ريا قنبار من حماة وبقيت معه حتى وفاته في أيار عام ١٩٨٠، رحمه الله. كان حب سليم الأصيل لمحافظة دير الزور قد دفعه لتزويج أخته الصغرى لداوود الكنامة في الدير، والثانية لعبد الله الحاج فاضل، وعاش في أواخر أيامه براتب تقاعدي قدره ٦٠٠ ليرة سورية رغم كثرة عياله.

من أبناء سليم الأصيل: العقيد بسام الضابط في جيشنا العربي السوري، وهو من مواليد البوكمال ١٩٤٠ يحمل وساماً حربياً ممتازاً لإسهامه بمدفعيته الميدانية بصد هجوم اليهود عام ١٩٧٣ باتجاه دمشق، وتوفي مؤخراً رحمه الله بأزمة قلبية. وابنه محمد أمين وهو مهندس للطيران، وابنه صالح مهندس.

صبحي بنود:

ينتمي صبحي بنود إلى عرب النعيم في حمص، ووالده محمود حمدي آل بنود كان ضابطاً متقاعداً في الشرطة العثمانية، وكان يخدم في معرة النعمان عندما كان صبحي طفلاً صغيراً.

ولد صبحي بنود عام ١٩١٦ في دمشق، ودرس حتى الصف العاشر في المدرسة العلمانية في حلب، ثم حصل على الشهادة الثانوية التركية، ودخل الكلية العسكرية في حمص زمن الفرنسيين دون اعتراض لوجود أخيه أنور بنود مدرباً

[1] ـ معظم السجلات العسكرية لهذا الرجل ومراسلاته الهامة بحوزتي لمن يريد الاستزادة والتعمق في تاريخه.

فيها، وتخرج من الكلية المذكورة عام ١٩٤٠ ورفع إلى رتبة مــــلازم عــــام ١٩٤٤ حيث التحق بالفوج الرابع في حلب، ونقل إلى الفوج السادس في دير الـــزور عــام ١٩٤٤ ليخدم في الفوج السادس الفرنسي، ومنه نقل إلى البوكمال.

اعتبره الفرنسيون من الفارين من الجيش عند إعلانه العصيان المسلح عليهم عام ١٩٤٥، وقد أبرزنا دوره في النضال الوطني، وله سجل عسكري مشرف في كـــل المواقف التي عمل بها، حيث أعطي قدماً ممتازاً أكثر من مــــرة لعصيانـــه علـــى الفرنسيين، ولدوره المشرف في حرب فلسطين، ورفع إلى رتبة مقدم، ثم عين ملحقاً عسكرياً في السفارة السورية في القاهرة، ثم أحيل على التقاعد ولايزال حياً يعمـــل في دمشق ويعيش من كديده وعرق جبينه على الرغم من تقدمه في السن حفظه الله.

تزوج صبحي بنود من منيرة الصالح من حلب، فولدت له ابنه أسامة الذي يعمـل مساعداً في الجيش العربي السوري، كما تزوج رويدة محمود صـــالح ديـب مـن بانياس الجولان، فولدت له الرائد هيثم صبحي بنود والنقيب محمود صبحي بنـــود، وجمال بنود والأخت ابتسام صبحي بنود وأخرى أصغر منها، وقد سعدت بزيـــارتي لهم في دمشق حفظهم الله من كل مكروه، وقد قدم لي العقيد صبحي مجموعة نـادرة من الوثائق، نشرت بعضها في هذا الكتاب، كما قدم وثائق أخرى مشرفة عن نضـال البوكمال إلى المتحف الحربي في دمشق، ولايزال هناك وسام فخر تذكره الأجيـــال في مختلف العصور.

عن كتاب: "عشائر الغنامه في الفرات الأوسط"لمؤلفه الفرنسي: هنري شارل ترجمة الدكتور: مسعود ظاهر ـــ دمشق ١٩٩٧.

إن مقاومة عشائر العقيدات للسلطنة العثمانية أولاً ثـــم للاحتلاليـــن: البريطـــاني والفرنسي كانت عنيفة وقوية وخاصة في دير الزور وتـــل الصـــور والبوكمـــال ـ فالقنصل الفرنسي روسو قام برحلة بين بغداد وحلب بحدود عام ١٨٥٠ حيث تـــرك في مذكراته: "إن بلدة دير الزور لم تخضع لوالي بغداد عمر باشا إلا بعـــد خمســـة عشر عاماً من ذلك التاريخ وتدل التبدلات الإدارية "..



الملازم الأول سليم الأصيل في صورة له عام ١٩٤٥



العقيد محمد بسام سليم الأصيل من أبطال جيشنا العربي السوري

التاريخ والاسطورة:

تدل التبدلات الإدراية الدائمة إبان سنوات ١٨٦٤ ـ ١٩١٧ أن نزاعات مستمرة حددت شكل العلاقة بين العقيدات والسلطات العثمانية. ولعل بعض التفاصيل عن الإدارة العثمانية في جنوب المنطقة المحددة أعلاه تعطينا صورة واضحة عن شكل تلك العلاقة.

فمنذ قرابة من الزمن وقع نزاع عشيرة (الحسون) وعشائر (الدميم) بعد أن التجأ(خزاوي العلان) إلى إحدى فروع(الحسون) من(الجفايفة). كذلك التجأ المدعو(خلف الحديد) لدى عائلة(الهفل) ذات المكانة المميزة. لكن شيخ القبيلة آنذاك. وهو والد الشيخ جدعان، الشيخ الحالي لعائلة(الهفل). استدعى الحكومة، فأفسح المجال أمام العثمانيين للقيام بمغامرة التوجه بحملة عسكرية بالاتجاه جنوباً نحو دير الزور. وهذا ما أشرنا إليه سابقاً عندما ألمحنا أن بعض العشائر خافت التجنيد الإجباري فارتحلت إلى جوار حماه.

وبدافع من الحرص على النظام وجباية الضرائب من بدو المنطقة أقام العثمانيون مركزاً للبريد في(القصبة العتيقة) بجوار قرية(السكرية). ويروي سكان المنطقة أن تاريخ تأسيس البريد هناك يرجع إلى ما قبل عام ١٨٧٤ التي يسمونها سنة(الشوان) وفيها وقعت مجاعة عظيمة حتى يبعث(غرارة) القمح بعشرين(محبدبة) ولم يبق للناس ما يأكلونه سوى الحصى.

بعد سنوات قليلة من ذلك العام، حاولت جماعة من شبان عشيرة النشبية التوقف في المسلخة لتمضيه الليل فيها. وصادف أن أقام رجال من عشائر الدميم، والشعبطات، والحسون، بالهجوم على مركز القصبة العتيقة في ذلك اليوم. وشاهد الشيشان كيف دمر المركز تدميراً شبه كامل، لكن العثمانيين أعادوا بناءه لاحقاً.

وحتى عام ١٨٨١ كان الاضطراب مايزال سيد الموقف هناك، وكان جباة الضرائب والقائمقام يستبدلون بمعدل اثنين كل ثلاث سنوات.

في ذلك العام، وصل إلى الحصيبة بضع مئات من أهالي بلدة عانة ومعهم الشقيق الأكبر للسيد رشيد، أحد أعيان البوكمال اليوم ١٩٣٦. كان الهدف من مجيئهم شراء القمح من عشائر العقيدات مقابل بضاعة رخيصة. وبوجود هذا الحشد من السكان اتخذ القائمقام أبو حسين رفعت قراره بمغادرة الحصيبة التي تتعرض غالباً للقبضانات، والانتقال للسكن في البوكمال. وبين أعوام ١٨٨١ وبداية الحرب العالمية الأولى لا يتذكر الناس عن تلك المرحلة سوى الغزوات المتبادلة بين عشائر العقيدات والدليم. هذا بالإضافة إلى تغيير دائم للقائمقامين. وفي حدود عام ١٩٠٥، أنشأ القائمقام حسن حسين الكركوكي بلدية البوكمال ووضع على رأسها رشيد داوود، وما زال أحفاد هذا الأخير على قيد الحياة وفي عام ١٩٠٩، أبدل رشيد داوود بصالح القدوري، وعائلته لازالت موجودة حتى الآن ١٩٣٦، وكان أول من حصل على راتب تقاعد أو نهاية الخدمة هناك. وفي عام ١٩١٢ عين على رأس قائمقامية البوكمال واحد من أبنائها ويدعى تركي المحمود، وما لبث أن استقال ليتقدم بترشيحه إلى الانتخابات النيابية. وعندما انخرط العالم كله في حمل السلاح عام ١٩١٤ بقيت هذه المنطقة بعيدة عن ويلات الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩١٦ عين عبد الهادي زرزور رئيساً لمجلس بلدية البوكمال.

عشائر الغنامة في الفرات الأوسط:

وفي أيار مايو من العام نفسه حلقت أربع طائرات حربية إنكليزية فوق البوكمال فأوقعت الرعب في نفوس سكانها. وكان من الطبيعي أن يستغل بدو العقيدات تلك المناسبة لنهب متاجر المدينة طالما أن التجار كانوا يستغلونهم زمن السلم. ويقال إن مرض التيفوس أو الحمى الصفراء قد أوقع آلاف الضحايا هناك في تلك الفترة. وفي عام ١٩١٨، منح العثمانيون المحاصرون في البلدة كامل السلطة لزعيم عشيرة الحسون وهو الشيخ عبد الحميد الدندل، الشقيق الأكبر للشيخ مشرف الحالي، وبات الحاكم الفعلي بعد انسحابهم وحتى دخول القوات البريطانية والفرنسية.

وفي تشرين الأول اكتوبر ١٩١٨ وصل النقيب الإنكليزي كارفر CARVER إلى الجنوب على متن سيارة ضخمة ليحل مكان الأتراك المنسحبين. فما إن وصل الكولونيل ماجور نلبلاست MAJOR NALPLAST، قائد منطقة أراضي الدليم، إلى البوكمال، حتى انتقل كارفر بسيارته إلى دير الزور ـ كما ألفينا ـ وانسحب منها قرابة ١٥٠٠ جندي عثماني في السادس من تشرين الثاني نوفمبر ١٩١٨، أعلن كارفر أنه جاء ليفرض النظام باسم الأسرة الشريفة وذلك بالاعتماد على الشيوخ المحليين، ولم يكن تحت إمرته سوى ٦٠ دركياً و٢٠ متعاملاً محلياً. وكان على التنظيمات المحلية المساعدة أن تقوم بحراسة القوافل في المنطقة. وكانت الخزانة المحلية تمول بواسطة الغرامات المفروضة على المخالفات. ورغم البرنامج الذي أعلنه قائد منطقة الجيوش الكولونيل فإن الفوضى بقيت مستمرة.

نشير في هذا المجال إلى الدور الذي لعبه هناك(رمضان الشلاش) من البوسرايا، فقد كان هذا المثقف البدوي يحلم بأن يصبح مشهوراً كزميله في الدراسة بالاستانة، الأمير فيصل بن الحسين، شريف مكة. فقام الشلاش بمهاجمة دير الزور على رأس ٦٠٠ من الهجانة مدعم بفرسان من العفادلة والبوسرايا ووقع النقيب كارفر نفسه اسيراً. اعتقد نلبلاست أن قبائل عنزة قد أحاطت بقواته إثر هجوم شنه عبر وادي الردكة فجلا عن المنطقة في ١٩ كانون الأول ديسمبر ثم عاد في الرابع والعشرين منه مدعماً بالسيارات المصفحة التي أجبرت العقيدات على التراجع. وفي مطلع كانون الثاني يناير ١٩١٩ دعا نلبلاست جميع شيوخ العشائر إلى اجتماع عام. وفي الفترة ما بين ١٢ و١٥ من الشهر نفسه هاجم رجال العقيدات مدينة البوكمال. ووقعت معركة تل مدكوك في السابع عشر من الشهر ذاته وفيها أجبرت القوات البريطانية على الانسحاب، ونهبت البوكمال.

لكن الإنكليز سرعان ماعادوا إلى الهجوم مجدداً فوصلوا إلى الصالحية في الخامس والعشرين من الشهر نفسه. واشتروا بالمال حياد المشايخ، لكن المشايخ الآخرين حاربوا الإنكليز بضراوة بالغة.

وفي آذار مارس ١٩١٩ أسقط البدو طائرة إنكليزية قرب بلدة القائم. وقتلوا طيارها ومراقباً برفقته من رتبة كولونيل. كذلك قاموا بمباغتة قافلة من السيارات المصفحة، فاغتالوا جنودها واستولوا على اربع سيارات مصفحة تحمل رشاشات.

ثم جرت معركة أخرى في وادي علي حيث خلف الإنكليز وراءهم قتيلاً. وفوجيء الإنكليز في وادي النسوريا بهجوم شنه عليهم رجال عشائر الشعيطات والحسون الذين كانوا متمركزين في التلال المجاورة. وكانت حصيلة الهجوم خمسمائة قتيل من الجيش الإنكليزي في شهر نيسان ابريل ١٩١٩. ونهب العقيدات بلدة عانة مما اضطر الإنكليز للتراجع نحو بلدة هيت.

وفي العاشر من أيار مايو من العام نفسه، أعلن الإنكليز حدوداً جديدة لمنطقة الدليم تاركين أمر تسوية النزاعات مع قبائل العقيدات إلى الأسرة الشريفة، ثم انسحبوا باتجاه الحدود العراقية الجديدة.

وما أن أنهى الجنرال غورو GOURAUD، انتصاره العسكري في ميسلون وتلكلخ حتى تخلص من الملك فيصل واحتل دمشق وحمص وحلب. وكان على الجيش الفرنسي في المشرق أن يفرض الأمن في وادي الفرات التابع للانتداب الفرنسي. وقد استطاع الفرنسيون استمالة زعيم قبائل الفدعان، الشيخ مجحم، إلى جانبهم. لكن الطريق إلى الفرات بقيت ملأى بحواجز أقامها رجال البوسرايا الذين نسفوا كل الجسور أمام تقدم الفرنسيين. مع ذلك، وصل إلى مدينة دير الزور فيلق فرنسي بقيادة ترانجا TRENGA برفقه الشيخ مجحم، وذلك عن طريق البشري.

وفي ١٩ تشرين الأول أوكتوبر ١٩٢٠ قدم شيوخ العقيدات إلى دير الزور طالبين التفاوض مع الفرنسيين لكن مطالبهم كانت كثيرة، وبدل إعلان التفاهم والاتفاق، أمر الفرنسيون بالحجر عليهم في دير الزور.

وفي عام ١٩٢١ برزت نزاعات بين عشيرة الحسون في البوكمال وبين الإنكليز، إذ كان زعماء الحسون يخشون وصول الإنكليز إلى بلدة(الحديثة) بجوارهم مما دفعهم للتحالف مع الفرنسيين في الوقت نفسه، انتقل رجال البو سرايا

إلى الجهة المقابلة من الفرات، وأعلنوا العصيان على الفرنسيين، في حين كان العقيدات يبادلونهم الغزو بغزو مضاد. ومن أجل إدخال الطمأنينة إلى نفوسهم تم إنشاء مركز للبريد في دير الزور في شهر أيلول سبتمر من عام ١٩٢١، وأوكلت مهمة حمايته إلى فيلق لوموان LE MOINE.

آنذاك، نقلت الأنباء عن وجود جماعة عثمانية تحرض عشائر(الجبور)في الخابور على العصيان. فزارها زعماء العقيدات، لكن مهمتها كانت فاشلة، إذ لا مال لديها تعطيه ولاسلاحاً. وادعى العقيدات أنهم يميلون للتحالف مع فرنسا شرط عدم دفعهم للضرائب. وفي آب أغسطس ١٩٢١ هاجم البوسرايا قافلة فرنسية قادمة من حلب ونهبوها، وبعد فترة وجيزة هاجم البو خابور فرقة فرنسية على بعد ثمانية كيلو مترات من دير الزور، وذلك في العاشر من شهر أيلول سبتمبر ١٩٢١. بالمقابل قامت طائرة فرنسية بضربهم بالمدفعية في السادس عشر من الشهر نفسه. فما كان منهم إلا أن هاجموا مركز انطلاق الطائرة في دير الزور وأحرقوها على الأرض. وقد تزامنت هذه النزاعات مع نزاعات أخرى قام بها البدو في المناطق المجاورة مما اضطر الفرنسيين إلى تشكيل فيلق لإحلال السلام في المنطقة أوكلت قيادته إلى دوبيافر DEBIEUVRE.

وفور عودة البو خابور، سكان الضفة اليمنى لنهر الفرات، إلى ديارهم أعلنوا الولاء للسلطات الفرنسية. وخلال أيام ٢١ ــ ٢٦ تشرين الأول أوكتوبر ١٩٢١ استطاع الفيلق فرض السلام وتطهير الضفة اليسرى للفرات من دير الزور حتى البصيرة. ولما كان العلم العثماني مازال يخفق فوق تل الصور، فقد اتجه الفيلق نحوها وطهر المنطقة من العناصر الموالية للعثمانيين. ثم اتجه الفيلق لتحرير ضفتي الفرات ما بين الميادين والبوكمال. وتمت العملية بنجاح دون حادث يذكر سوى قصف عشيرة الشعيطات بالمدفعية لأنها حاولت إيقاف تقدم القوات على الفرات عند بلدة الصالحية. وأنجز الفيلق مهمة تطهير المنطقة نهائياً في شهر كانون الأول ديسمبر ١٩٢١.

لقد استخدم الكولونيل دوبيافر وسائل متنوعة لإتمام تلك العملية تراوحت بين الضرب بالمدفعية واستخدام الآلات المصفحة، وبين الاتفاقات المباشرة مع زعماء البطون والأفخاذ. هكذا تمت عملية فرض السلام التي تركت آثاراً لاتمحى لدى الحضر والبدو الذين مازالوا يرددون اسم الكورونير ديبوفار ومصفحاته ومدافعه.

لقد أعلن نظام الانتداب الفرنسي رسمياً على المنطقة عام ١٩٢٢، لكن عشائر العقيدات استمرت على عصيانها حتى عام ١٩٢٣. وهذه لائحة سريعة بأبرز الحوادث لتلك المرحلة.

في عام ١٩٢٢ اضطر الفيلق المتحرك بقيادة رينار RENADR إلى التدخل العسكري وقصف عشائر الشعيطات لإجبارها على دفع الضرائب.

في عام ١٩٢٣، تم اقرار نظام البدو الذي تضمن حق العقيدات بحمل السلاح.

وفي العام نفسه شنت عشيرة العمارات غزوة ضد عشائر البو خابور، وعشائر شمر غزوة ضد البو كامل.

في عام ١٩٢٤ سجلت غزوات عدة لعشائر البو سرايا ضد عشائر أخرى.

وفي مطلع عام ١٩٢٥، شن رجال البو سرايا هجوماً مفاجئاً ضد قافلة فرنسية فانيير VANNIERE وفيسوكي WISSOKY، اضطر الفرنسيون لاستخدام الطائرات ضدهم.

وفي صيف ١٩٢٥ حصلت اضطرابات متلاحقة بالارتباط مع الثورة السورية في جبل الدروز ودمشق، فقمعت بالطائرات.*

وفي نهاية العام نفسه حصلت اضطرابات قام بها سكان واحة(القبيسة) لعلها الحصبية العراقية، فاضطر قسم كبير من سكانها إلى الانتقال والسكن في مناطق الانتداب الفرنسي. سجل عام ١٩٢٦ استسلام رمضان الشلاش، زعيم البوسرايا.

عام ١٩٢٨ قام الوهابيون بمحاولة للتصالح وإنهاء النزاعات القديمة في المنطقة. ولقيت محاولتهم ترحيباً من سكان دمشق ومن تركي بيك. ووضعت المحاولة تحت رقابة مباشرة من السلطات الفرنسية لأنها ذات نزعة دعائية دينية.

وسجل عام ١٩٣٠ غزوات قبلية عادية. لكن البارز في تلك المرحلة دون شك هو الصراع المستمر الذي خاضته السلطات الفرنسية ضد عشائر البو سرايا ذات النزعة الاستقلالية الواضحة، والتي كانت تأتمر بأوامر زعيمها رمضان الشلاش، زميل الملك فيصل الأول بالدراسة في مدرسة أبناء زعماء البدو بالآستانة. كان الشلاش يطمح لكي يلعب دوراً مشابهاً لدور فيصل، لكنه لم يستطع أن يقفز إلى المقام الأول في إدارة البلاد. مع ذلك فإن تاريخه الشخصي يستحق استعراض بعض التفاصيل منه. فإبان الحرب العالمية الأولى، هرب رمضان من المدينة المنورة إلى العقبة للالتحاق بفيصل. ومنذ ذلك الحين، خاض معارك عدة إلى جانب الهاشميين وتولى باسمهم حاكمية الرقة والخابور، وعمل على استنهاض مختلف قبائل وسكان الجزيرة الفراتية للهجوم على دير الزور. لكن النقيب الإنكليزي كارفر، حاكم الدير، عرف كيف يوقع بينه وبين عشائر (الجبور). وكانت مهمة كارفر منع امتداد نفوذ الأسرة الشريفية نحو العراق.

وفي كانون الأول ديسمبر ١٩١٩، استطاع رمضان أن يجمع فيلقاً من ثلاثمائة هجانة ومائتي خيالة واتجه بهم لحصار دير الزور. وقد وقعت الرسالة التي بعث بها رمضان إلى وجهاء دير الزور بأيدي الإنكليز فقطعوا عليه الطريق عند قرية البغيلية. وحتى لايغضب الإنكليز، سارع الأمير فيصل إلى استدعاء رمضان بواسطة برقية مستعجلة حملها إليه الكولونيل يونغ YOUNG. لكن أنصار رمضان بذروا روح العصيان في أوساط العشائر مما اضطر الإنكليز إلى مغادرة دير الزور. فاستدعى رمضان عندئذ عشائر الخرصة التي يقودها ابن كعيشيش، وعشيرة العمارات التي يقودها ابن مجلاد، وعشيرة السبعة بقيادة ابن التويني، وعشائر شمر، وقبيلة طي، وعشائر العقيدات.

عندئذ، عين الأمير فيصل مولود باشا في مواجهة رمضان حتى يبقى على علاقة جيدة بالإنكليز. لكن هؤلاء واجهوا المصاعب التي ألمحنا إليها سابقاً فغادروا المنطقة ملتهبة وتركوا أمر إخضاعها للفرنسيين. وفي ١٠ أيار مايو ١٩٢٠ جلا

الإنكليز عن جميع المناطق الممتدة من مزرعة دريخ شمالاً حتى نقطة LEUCLMAN التي تشكل الحدود الدولية الحالية عام ١٩٣٦ بين سوريا والعراق.

وعندما سقط نظام الملك فيصل مع سقوط دمشق عام ١٩٢٠، غادر رمضان إلى قبيلته وفي مطلع ١٩٢١ استسلمت عشائر البقارة، والبو كامل، والحسون وذلك باستسلام زعيمها مشرف الدندل. لكن القوى الفراتية المتحركة بقيادة رمضان الشلاش وإحسان بيك انسحبت باتجاه مناطق سيطرة عشائر البو سرايا ثم عبرت إلى الضفة اليسرى للفرات. وسرعان ما أعلن جماعة فياض الناصر. من البوسرايا، الولاء للفرنسيين بعد أن لمسوا هزال الامكانيات المادية لدى البعثة العثمانية في تل الصور.

أما جماعة الشيخ حاجم فتابعت العصيان إلى حين وصول فيلق دوبيافر في شهر تشرين الأول أوكتوبر ١٩٢١. إلا أن الشيخ حاجم ان مهيد شكل حكومة وطنية في الرقة أثر انهيار الحكم العربي في العشرين.

وفي عام ١٩٢٤ برزت الاضطرابات مجدداً في المنطقة بفعل الغزوات المتلاحقة التي قام بها البوسرايا وإثر ذلك اعتبرت طريق حلب غير آمنة. لكن الشيخ حمود الشلاش فقد القدرة على التحكم بجماعته بحيث تصاعد دور الشيخ فياض الناصر، الشيخ الحالي لعشائر البو سرايا ١٩٣٦ وبات مؤهلاً لخلافته.

وفي عام ١٩٢٥، عمل سعيد الرعاقي على دفع القبائل للعصيان انطلاقاً من مركزه في قرية عياش. وهو الذي نظم الكمين الذي اغتال فيه ١٢ فرداً من جماعته الضابطين الفرنسيين فانيير وفيسوكي والتجأوا إلى البوسرايا.

فقامت الطائرات الفرنسية بقصف تجمعات البو سرايا، واستبدل الشيخ الهرم حمود، وأجبرت عشائر البقارة المقيمة في الضفة اليسرى للفرات على دفع غرامة كبيرة بسبب تواطئها في المؤامرة. وفي نهاية شهر تشرين الثاني نوفمبر ١٩٢٥، سرت شائعة بأن رمضان قام بزيارة إلى تركي النجرس في بير الجب بهدف التنسيق لعصيان مشترك.

في الواقع، استسلم رمضان إلى السلطات الفرنسية في مطلع عام ١٩٢٦، واستكانت عشائر البوسرايا باستثناء فترات اضطراب ناجمة عن سياسة حكام دير الزور من جهة، وبعض أعمال النهب التقليدية أثناء ترحال القبائل من جهة أخرى.

وخلال سنوات ١٩٢٦ ــ ١٩٣٠، وهي سنوات استقرار البوسرايا، عمل الفرنسيون على توطين عشائر العقيدات بشكل نهائي، فنزعوا عنهم امتيازاتهم البدوية القديمة وأخضعوهم للإدارة والمحاكم السورية.

النتيجة التي يجب أن تقال، إن العقيدات قد أخضعوا للحضر من سكان دير الزور وغيرهم، لاسيما لمن يمت منهم بصلة قربى عائلية للموظفين الدمشقيين أو الشوام. وعندما يأتي المساكين من العقيدات ليشكوا ظلامتهم إلى المستشار الفرنسي، يظهر هذا الأخير أسفه العميق وبأن ليس لديه سوى كلام جميل يقدمه لهم مع إحالتهم إلى المحاكم المحلية.

لذلك انفجرت بعض الاضطرابات كتعبير عن عدم الرضى. فتحت ذريعة نزع السلاح من سكان الهري والسويعية، هو جمت البوكمال في الثاني من تشوين الأول أوكتوبر ١٩٢٣. وفي الواحدة وعشرين دقيقة من صباح الثالث منه وصل الملازم شفاليه CHAVALET إلى دير الزور والأصح إلى البوكمال كما يذكر سكان المنطقة ملاحظة للمترجم بسياراته المصفحة والمزودة بالرشاشات، لكنه اغتيل بشكل مفاجىء.

فقامت الطائرات الفرنسية على الفور بقصف القرى. فهرب السكان إلى العراق بقيادة الشيخ مشرف الدندل الذي اعتبر مسؤولاً عن الاغتيال الذي قام به جماعة الحسون داخل منطقة نفوذه. وسرعان ما استتب الأمن بعد ذلك.

منذ بداية عام ١٩٣٣ سجلت في دير الزور حركة وطنية نشيطة. ولاقت الحركة صدى في صفوف العشائر لأن الضرائب والجمارك التي تجبى بواسطة العساكر السورية، وهي تطول الأغنام، تذهب إلى خزينة الفرنسيين. نتيجة لذلك فقد نظام الانتداب الفرنسي الكثير من قبول السكان واعتبر مسؤولاً عن تجريد رجال القبائل

من سلاحهم، وذلك يعني بنظرهم كتجريد الإنسان من اللقب العائلي الذي يعتز بـــه. وقد وجدت تلك المشاعر المناهضة للفرنسيين تعبيراً لها في الشعر الشعبي. إذ دعـا الشعراء جميع شيوخ الصحراء ووادي الفرات إلى الاستنفار وامتشاق السلاح علـى رأس الثورة المناهضة للانتداب الفرنسي.

نشير هنا إلى أن هذه الحركة الاحتجاجية أخذت تتصاعد حتى صيـــف ١٩٣٦، تاريخ إعداد هذه الدراسة وأبرز ردات الفعل هي التالية:

ــ التأثير المباشر الذي تركته خطب زعماء الحركة الوطنية السورية. فقد امتدح هؤلاء فصائل العقيدات القتالية ووعدوهم بأن يدخلوهم في عداد الفيلق قريبـــاً فـي إطار الجيش الوطني السوري.

بشكل عام كان الزعماء وجماهير الناس على السواء يصرحون بانتسابهم العلنـي لخوض معركة الاستقلال، فهذه المعركة ســتحررنا مـن الجمـارك والضرائـب، وستعطينا الحرية للقيام بالغزوات، وستنقذنا من سيطرة الشوام ومن المعـــروف أن غالبية المالكين والموظفين الذين مارسوا الاستغلال في تلك المنطقة كانوا، بشكل أو بآخر، من أصل شامي.

على العموم، هدأت الاضطرابات المفتعلة في خريف ١٩٣٦ بعد أن قام فيلقـــان من العجانة على التوالي بعبور مجرى نهري الفرات والخابور. وكـــان الاحتكـاك المباشر بين عناصر الفيلق والزعماء والسكان كافياً لتهدئة الأمور وإعــادة الـهدوء إلى المنطقة.

لذا وحتى الآن تبدو عشائر العقيدات راغبة في الاحتفاظ بأصالتـــها، وبوحدتـــها العرقية التي حافظت عليها على مر العصور، وذلك رغم كل المساوىء السياســـية السائدة. هذه الأصالة تجد جذورها في التشكيل القبلي نفسه وفي نوع من الحيـاة ذي وجهين ويقدم لها منافع جمة. فهي من جهة تستفيد من قوة التقاليد السائدة في حيـاة الصحراء التي تعمل على عزلة البدو وتمايزهم عن سواهم. ومــن جهـة أخـرى، تستفيد من المخزون الثقافي لقوى بشرية كلها من البدو.

افادة [illegible] الرقة [illegible]

بتاريخ ١٤ تموز ١٩٤٦ [illegible] حوادث الرقة [illegible]

[illegible]

[illegible] المذكور [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

النار اندلعت في [illegible] الرقة

وما كاد هذا النداء يصل لأفراد الحامية المذكورة حتى ثاروا على قائد الحامية، وطلبوا منه فك حجرهم والسماح لهم بالالتحاق بالقوة الوطنية فاضطر هذا مكرهاً بشرط ألا يصطحبوا أي سلاح أو عتاد معهم.

وفي يوم ٣٠ حزيران ١٩٤٥ استدعى محافظ دير الزور قائد حامية البوكمال وأمره باصطحاب كامل سريته مع أسلحتها والذهاب بمهمة احتلال الثكنات العسكرية التي لازال يسيطر عليها الفرنسيون في أنحاء الجزيرة فقام هذا بمهمته خير قيام، بحيث لم تأت نهاية شهر تموز إلا وكان العلم السوري يرفرف على جميع هذه الثكنات.

ومن الجدير بالذكر والفضل يذكر لأهل الفضل أن الشيخ مشرف الدندل فرَّ إلى العراق مع جماعته عام ١٩٣٦ وكذلك يذكر محمد الهامه من البوكمال كذلك كسار الصياح من عشيرة الدميم من البوكمال قتله الفرنسيون بثكنة البوكمال لرفضه الرضوخ لهم. إنهم جميعاً أبطال أشداء ووطنيون شرفاء. ومن حق الأجيال أن تذكرهم بكل فخر واعتزاز.

نضال أهل الرقة في زمن الاحتلال الفرنسي تتخلله مواقف وطنية لا بد من ذكرها:

١ ــ قبل دخول الفرنسيين إلى الرقة في أواخر العام ١٩٢١. لم تستسلم الرقة لما يسمى بالانتداب الفرنسي. ونتيجة ذلك حصلت معركة ما بين الطرفين استعملت فيها المدافع عبر نهر الفرات، وهدد الكولونيل "تراكنا" بسحق المدينة، إلا أنه لم يستطع احتلالها فسحب قواته إلى دير الزور عن طريق منطقة الشامية. ويذكر بأن المجاهد: جاسم الشغيبي من عشيرة المجادمة أسقط طائرة فرنسية وهي من البطولات الفردية آنذاك. في أواخر العام ١٩٢١ استسلمت القوات المدافعة عن الرقة للقوات الفرنسية التي جاءت من حلب واستعملت الطائرات لقصف الجيش الوطني.

إلا أنه هناك سلبيات في هذا الشأن، ومنها أن مجحم بن مهيد شيخ الفدعان العنزة كان إلى جانب الفرنسيين يقاتل معهم برجاله، وحاجم بن مهيد مع الكتلة الوطنية، التي اعتمدت على مساعدة الأتراك وعرفت هذه الفترة باسم(الدولة

المجهولة) كما كتب عنها بعضهم. ويذكر الأديب الكبير: عبد السلام العجيلي في كتابه: "أحاديث العشيات عن وطنية حاجم بن مهيد".

عشيرة العفادلة تشكل القسم الأكبر من محافظة الرقة باشتراك مع عشيرة الولدة التي ترجع نصفها الإداري إلى منطقة حلب، والنصف الآخر إلى منطقة الرقة.

فالعبء الأكبر في ومضات النضال عند أهل الرقة تتحمله عشيرة العفادلة لأنها تحيط بالمدينة من جهاتها الأربع، وتواجدها مجتمعة في منطقةالرقة منذ هجرة القبائل الزبيدية إلى المنطقة، ما هو معروف أن العرب شارع وخيمة، فشيخ العشيرة بحربها وسلامها.

عند دخول الفرنسيين الرقة ورفعهم العلم الفرنسي على دار الحكومة، وبعد بسط نفوذهم على المنطقة، أول عمل قام به الحاكم الفرنسي هو أنه استدعى الشيخ درويش أبو حبال وهويدي الشلاش شيخ العفادلة آنذاك إلى مقره، بحجة أخذ إحصاءات سكانية للعشيرة وعندما قابله الشيخ، مد الحاكم الفرنسي يده للمصافحة إلا أن شيخ العفادلة لف كفه بردن ثوبه، ومدها للحاكم كي لا يمس يده، وعندما سأل المترجم عن هذا التصرف قال له الشيخ هذا أجنبي خنزير نجس غاصب محتل، وأنا عربي مسلم نظيف القلب والجسد، فلا أريده أن ينجسني بقذراته، غضب الحاكم الفرنسي وأخذ في كل الأمور ينكل بالعفادلة ويحرض عليهم الفدعان، كانت الورقة الفرنسية ضد أهل الرقة(أهل الريف طبعا) وعلى رأسهم العفادلة هي الفدعان، إن الفرنسيين يستعملونها للضغط على القبائل المستقرة، لأن هذه القبائل لا تساوم على القضية الوطنية، وهذا ما كان يدركه الشيخ محمد الهويدي أيضاً الرجل الوطني المعروف، وجميع مشيخة عشائر البو شعبان أينما وجدوا. من المشلب والولده والبو عبان وسواهم. ولاننسى المجاهد: محمد الجربوع القناص والذي لا تخطىء له طلقة.

حيث إن الفرنسيين يحرضون الفدعان على العفادلة والعفادلة على الفدعان كنوع من سياستهم البشعة سياسة:"فرق تسد" الشيخ محمد الهويدي هو الذي قاد الحملة

حضرة الاخ [illegible] الى الحكم

تحية وسلام أولاً نهنئكم بالفوز الذي
احرزته الكتلة الوطنية ومن الفوز بالاستقلال
الذي هو غاية كل رجل يريد الحرية للبلاد
انا نحن واياكم [illegible] نطلب من الله تعالى الفوز
ومعاضدة من تسلموا زمام الحكم
لكي يسيروا ويحكموا ويديروا البلاد
والحكم بما يرضي [illegible] ابن [illegible]
امين

اما بعد كنا نود ان نحظى [illegible]
[illegible] حسب امكان [illegible]
[illegible] الرحمن بعد الله [illegible]
[illegible] ولله الحمد [illegible]
وارجوا ان يكون [illegible] ولكم الشكر

العشائرية التي استعان رمضان الشلاش بها لنجدة دير الزور، والواقع أن الحملة كانت آنذاك من كافة الفئات، لكن أغلبيتهم من العفادلة لذا أختير محمد الـهويدي لقيادتها، قد اجتمعت مع من كان من رجال هذه الحملة وتحدثت مع أحدهم، والذي قال لي إن فرسه قتلت في المعركة من نيران الرشاشات التي ركزت فوق الثكنة، "فشاهد العيان أكثر مصداقية" وهناك من يقول:" لو تكلم الموتى لكان التاريخ أسطورة سخيفة".

في ٤ تموز عام ١٩٤١ وعندما دب الخلاف ما بين الديغوليين والفيشيين، هجم العفادلة على بلدة الرقة وعلى الثكنات العسكرية، وأحرقوا ودمروا وحصلوا على السلاح والعتاد بثورة غاضبة.

وقد استطاع الفرنسيون إخمادها، واعتقلوا بشير الهويدي شيخ العفادلة، ونقلوه إلى منطقة تل أبيض ورموه بالرصاص، لكنه نجا بأعجوبة حيث مزق الرصاص ثيابه وربطوه إلى شجرة في بستان، إلا أن ثلاثة من رجال عشيرة البو عساف الشعبانية الزبيدية خلصوه وجاؤوا به إلى مضافة "البيجات".

كان متعباً وقد أخذ منه التعب والإعياء، فطلب منهم أن ينقلوه إلى أهله في قرية المشلب، قرب مدينة الرقة التي أصبحت أحد أحياء المدينة اليوم، وفعلا جاؤوا به على عربة تجرها الخيول، وفي طريقهم من تل أبيض إلى الرقة صادفهم "عبيد بن غبين" العنزي يركب سيارة فحمله إلى بيته..

قبل ٤ تموز ١٩٤١ وتحديداً عام ١٩٣٩، حرض الفرنسيون الندعان على العفادلة، لإدراكهم أن هذه القبيلة هي القوة التي تقف ضدهم فلا يضاهيها القوة غير الفدعان، وحصلت موقعة بين الطرفين واستطاع العفادلة أن يهزموا الفدعان بالرغم من وجود المصفحات الفرنسية وذهب نتيجتها عدد من القتلى والجرحى، وتسمى هذه الموقعة في تراث الرقة"يوم الخفية"واعتقل الفرنسيون جاسم الـهويدي شقيق الشيخين محمد وبشير الهويدي، لأنه عقيد العفادلة أثناء المعركة وقتل أثناء هذه الموقعة وعقيد الفدعان"ابن ضبيب". كان ذلك بتحريض فرنسا للطرفين.

وعند اعتقال جاسم الهويدي حصل شجار عنيف بين "دنجلييه" الحاكم العسكري والشيخ محمد الهويدي حيث رفع محمد الهويدي إصبعيه إلى عيني "دنجلييه" وقال له "اقلع عينيك بإصبعي هذه إن لم تكف عن فتنتك وتحريضك للفدعان علينا نحن أخوة وأنت كافر أجنبي تحتل بلادنا طامعاً بخيراتها وفوق ذلك تحرض أهل النفوس المريضة الذين لايدركون مقاصدك للأسف همهم المال فقط ويعني بعض الفئات الموالية لفرنسا، واقتيد جاسم الهويدي إلى معتقل(سجن) في دير الزور.

واحتدم الصراع بين القبائل بتحريض من الفرنسيين وناضلت القبائل الشعبانية الزبيدية بالرقة ضد الاحتلال بأساليبه المتعددة، وفي واقع الأمر كان يدير سياسة القبائل الوطنية هذه الشيخ(محمد الهويدي) لأنه كان يدرك معنى الأرض والوطن، إلا أن الفرنسيين لم يتوقفوا عن مؤامراتهم الدنيئة، وقاموا بأبشع جريمة في تاريخ الرقة الحديث، وهو أنهم حرضوا بعض القبائل العربية على عشيرة الولدة في آب ١٩٤١ وحدثت مجزرة استعملت فيها الرشاشات الفيشية الحديثة ضد الولدة آنذاك، وذهب ضحيتها الكثير من القتلى من الطرفين، وهو مايسمى في تراث الرقة"ذبحة الولدة"، ورغم أن قتلى الطرف المعتدي كان الأكثر، إلا أن المفاجأة كانت أثقل على الولدة، فهب البو شعبان للوقوف إلى جانب الولدة غير أن الفرنسيين أخذوا جاهدين بتهدئة الأوضاع، لكن العفادلة لم يسكتوا فقاطعوا الفرنسيين وسجن الكثير منهم في السجون، وأرادوا الانتقام من القبائل العربية، وحصلت مناوشات عديدة دائماً كان العفادلة هم المسيطرون. وحاول الفرنسيون جاهدين كسر شوكة العفادلة لكنهم لم يفلحوا فقد ظل هاجسهم الوحيد حتى الانسحاب والاستقلال. ويذكر(الشغيبي من المجادمة حيث أسقط طائرة فرنسية).

ففي عام ١٩٤٥ مهد الفرنسيون لضرب العفادلة وكسرهم عن طريق تلك القبائل، وحشدوا الحشود لمعركة فاصلة فاجتمعت جموع العفادلة مما أرعب الفرنسيين، فوقفوا بمصفحاتهم بين الطرفين والواقع أدركوا أن العاقبة وخيمة، كان الشيخ بشير الهويدي شيخ العفادلة آنذاك، لكنه كان طاعناً بالسن فكانت قيادة

العشيرة يتشاطرها أبناؤه مجحم وعلي البشير وابن أخيه فيصل بن محمد الهويدي، وهؤلاء جميعاً تخرجوا من مدرسة محمد الهويدي الذي كان أعداؤه يسمونه بـ داهية البو شعبان وقد توفي في نيسان ١٩٣٤.

أدرك شيوخ العفادلة لعبة الفرنسيين، فحشدوا أكبر عدد من رجالهم وانضم إليهم من عشيرة الولدة قسم كبير يقوده الشيخ شواخ الأحمد البورسان، لمواجهة الوضع، عندها أدرك الفرنسيون الهزيمة وحاولوا جاهدين فك الاشتباك المنتظر وعملوا بالمثل القائل "يقتل القتيل ويمشي في جنازته".

فقد حرضوا الفدعان على القتال، ثم حذروهم بعد فترة قصيرة من مواجهة العفادلة لأنه لا قدرة لهم على مواجهة هذه الجموع، وهذه صيغة استفزاز لمعرفتهم أن تلك القبائل كان لديها نوعٌ من الغطرسة والتعالي وهذا ما يهمهم أو ما يريدون أن يصلوا إليه لتحقيق سياستهم بالقضاء على الفئتين المتصارعتين(العفادلة والفدعان) معاً فهم يظهرون المودة والمساندة للفدعان ظاهرياً، أما باطنياً خطتهم القضاء عليهم وعلى العفادلة بتحريضهم بعضهم على بعض، إذ قالوا للفدعان أخيراً: سنسحب قواتنا ونترككم لوحدكم في الميدان فهل تستطيعون الصمود وهذا تحريض نهائي مبطن، وبالفعل سحبوا اثنتي عشرة مصفحة وتركوا الجمعين المتقابلين للأقدار، وفي النهاية تدخلت العناية الإلهية وانسحب الفدعان فتواروا بعيداً إلى منطقة البقارة، ثم عبروا الفرات إلى طرف الشامية.

هذه الحشود التي اجتمعت للمعركة الفاصلة يسمونها الدشاقية دامت المواجهة حوالي ٥٧ يوماً وكان من الأسباب الأخرى للسياسة الفرنسية أهل المنطقة، بعدها الاستقلال الوطني وأصبحوا جميعاً إخواناً.

من الجدير أنه تشكلت حكومة بالرقة من أبنائها دعيت بحكومة:"غفُان" وهو من العفادله لم تدم أياماً.

لابد أن نذكر أيضاً أن العيَّاف من البو عساف هم الذين أنقذوا بشير الهويدي من الفرنسيين وأوصله عبيد بن غبين بسيارته إلى أهله.

أما حادثة الرجال الذين عقلوا أنفسهم فكانوا ثلاثين رجلاً ضد الفرنسيين كانوا من: العبد الحي والعلوش والعساف والعلوان.

يضاف إلى أسماء الرجال الوطنيين والمناضلين في الرقة: كل من الأسماء التالية: محمد إبراهيم الشيخ من البريج. والحاج بليخ. وحسن المحمد الحسن . وهلال إبراهيم الشيخ وهلال.. ويوسف الذيب والهطليس من البريج. وعبد الهادي الغريب من البريج.

كذلك فإن البنات اللواتي تعرض لهن الفرنسيون بسجن أهلهن فقام محمد الفرج الدندن وانقذهن من السجن الفرنسي، وأقسمت إحداهن أن لاتقص جدائلها إلا حين يتوفى محمد الفرج، وحضر إليها فصدق يمينها وقص بعض شعرها لكي لاتحنث بيمينها مع ذلك لأنه لبى النخوة من الفتيات فكان بحق بطلاً من الأبطال المناضلين ضد الفرنسيين.

ولابد أن نذكر أنه بتاريخ ٤ تموز ١٩٤١ عندما شب الحريق الهائل في دار الحكومة بالرقة حيث هبَّ لإطفاء الحريق وإحضار المناضلين الأشداء لإخماد النيران أثناء حرقها من قبل الفرنسيين ـ كان المناضل الوطني الجسور:"أحمد الحمود المهنا ومصطفى العيد وجبر الشواخ ومصطفى الحمود والعلي الظاهر حيث كان لهم الدور البطولي والجريء في إخماد الحريق وتهدئة الأحوال، حيث على أثرها حضرت السلطات الأجنبية من حلب والوقوف عن كثب على ملابسات الحادث ـ انظر الوثيقة المرفقة.

المرجع: الحياة البشرية في الرقة للباحث الأستاذ: محمود الذخيره.

المناضل: شواخ البورسان

شيخ عشائر الولده والمستعمر الفرنسي

الزمان ٢٧ نيسان عام ١٩٢٣ المكان منطقة شمس الدين من الرقة على الفرات وتحديداً على جبل السن، وفي أجواء محمومة من المظالم وفرض الضرائب وإرهاق المواطنين بالمطالب والجباية وأخذ القطعان والمواشي عنوة من الناس.

ثارت القبائل العربية بما فيها قبيلة الولده بزعامة شيخها الشجاع شواخ البورسان. حيث كان قد اعتمد على أسلوب الغارات والهجوم على المواقع الفرنسية على مشارف الرقة وفي دير الزور والتعاون التام بينه وبين المناضلين والمجاهدين من أهالي دير الزور وحلب، حيث كانت غنائمهم من السلاح الفرنسي والمؤن والذخيرة، مما أفقد الفرنسيين صوابهم فشكلوا عدة حملات لتطويق جبل السن الذي كان يحتمي به ثوار اللدة بقيادة المجاهد شواخ البورسان، فما كانوا إلا أن اصطدموا بشجاعة فائقة وبطولة نادرة وخاصة في منعه نهر الفرات الذي كان الثوار يحتمون به حين يطوقهم الفرنسيون، ولطالما طال القصف الفرنسي بالطائرات والقنابل والمدرعات قرية شمس الدين ولمرات عديدة، مما اضطرهم لأن يصدروا أربعة إعدامات للشيخ شواخ البورسان ومن الجدير بالذكر أنهم قتلوا في موقعة واحدة عشرة من فرسان الولدة شهداء على مذبح الحرية لنيل الاستقلال على يد الكولونيل الفرنسي لاكروا. وكذلك فإن حملة الشيخ شواخ البورسان على جرابلس ورفع العلم العربي بدل العلم الفرنسي على الموقع هناك، على أثرها أرسل الضابط الفرنسي لاكروا كتاباً شديد اللهجة إلى الشيخ شواخ قائلاً له: يا شيخ شواخ البورسان إذا كنت تظن بأنك تستطيع أن تكسر شوكة فرنسا بحفنة من العشائر البدوية العزلاء فإنك مخطىء، وسوف نوجه لك ضربة لم تكن تتوقعها وإني سوف أحطمك أنت ومن معك. ولم يأبه الشيخ شواخ لهذا التهديد بل ازداد إصراراً وعناداً وفعلاً تم تنظيم قوات العشائر حيث انضمت إلى عشائر العقيدات والبوسرايا حيث لجأت إلى أسلوب الحرب خدعة، فرفعت القبعات على العصي مما يوحي للفرنسيين بأن هذه القبعات للقوى النظامية للعشائر حيث كان الهواء يحرك القبعات فيظن الجنود الفرنسيون بأنهم مطوقون بقوى الثوار في جبل السن، فحاصرت جبل السن قرب قرية شمس الدين، لكنهم خسروا وخاب فألهم بل ومن عدة جهات منبج وجرابلس وعين العرب، إلا أن الثوار كانوا سفناً لقطع نهر الفرات على الشط الآخر مما ألجأهم إلى "مجزرة الجتا" فقتلوا ثلاثة عشر رجلاً من مجاهدي الشيخ شواخ

البورسان، وهكذا دامت فترة النضال مع هذا المجاهد الكبير إلى أن ولــت فرنسـا، وأحرزت سوريا الاستقلال بقيادة أولئك المجاهدين الأبطال.



الشيخ المجاهد شواخ البورسان

شهداء الجتا[١]

الاسم	
عبود العلي المحمود	من الناصر صلاخي
جمعة اللهيبي	من اللهيب
خلف اللهيبي	من اللهيب
محمد الكردي	من عين العرب من الجعابات
علي الصياح	من الولدة من الجعابات
أحمد الصياح	من الولدة من الجعابات
حنفيش النايف	من الناصر وقد نجا من القتل
خلف الصلال	من الناصر وقد نجا من القتل

بعض النقاط المضيئة من شخصية المناضل شواخ البورسان شـيخ عشيرة الولده والناصر الجزيرة:

كان الشيخ شواخ البورسان من أبرز الوجوه الوطنية في منطقة الرقـة إذ كـان يقوم بقيادة مجموعة من المناضلين بشن هجوم على القوافل التي تحمل الإمـدادات من تموين وذخيرة المتهجة إلى دير الزور والحسكة، ويتم هـذا برسـالة يرسـلها الزعيم إبراهيم هنانو إلى المجوعات الوطنية عن طريق عبدو المصري، وكثيراً مـا كانت هذه الغارات تحقق غايتها إذ يقتل عناصر القافلة، ويقوم الثوار بسلب الأسـلحة والمؤن التموينية ـــ ومن النقاط المضيئة: أن قوات العشائر حاصرت مدينـة ديـر

[١] - الجتا: كلمة تركية وتعني المتمردين من الثوار.

الزور، ودخلت الثكنة العسكرية فطردت الكابتن "كارير" تاريخ ١١ كانون الأول عام ١٩١٩ في صباح ذلك اليوم صهلت خيول الفرسان من كافة العشائر ولمعت السيوف بأيديهم، فاتجهوا إلى مدينة دير الزور، وكان التواجد كالتالي عشيرة الولده والناصر وقسم من عشائر العفادلة وعشائر العقيدات والبوسرايا وعشائر البقارة، وكان على رأس كل عشيرة شيخها وكان الشيخ شواخ البورسان على رأس قبيلة الناصر والولده، وعند وصوله قرب الثكنة العسكرية من الجهة الجنوبية الغربية ترجل عن جواده الملقب(أبو ريشة) وصاح في أفراد عشيرته(حرشان اليوم يومكم ـــ عز الولداويات ـــ من صمد عاش ومن صد مات اليوم يوم الرجال الثأر للوطن) وتشاور مع أفراد عشيرته على خطة الهجوم واتفقت العشائر للهجوم على الثكنة العسكرية مباشرة وتزاحم الرجال وهم يحدون للعرب والعروبة وأزير الرصاص يعزف لحن الانتصار، وقد تم احتلال الثكنة وتطهيرها من القوات الإنكليزية(احتلال المخفر الفرنسي بقرية العريمة قرب الباب(وهو أيضاً من بطولات المجاهد شواخ البورسان). حيث كان السرجان الذي يسير أمور مخفر العريمة قاسياً في معاملة العرب وقد أرهقهم بالتعذيب والنهب، مما جعل سكان أهل القرية يستنجدون بالشيخ شواخ البورسان وكيف لايستنجدون به وهو المعروف بالمواقف الوطنية، وعلى الفور شكل الشيخ شواخ مجموعة من فرسانه وترأسهم إلى مخفر العريمة وطوقه من الجهة الغربية والشمالية ودخلوا المخفر، واعتقلوا كل من فيه وتقدم أحد الفرسان وهو المدعو(خنفيش النايف مستلا خنجره ليغمده في صدر السرجان، إلا أن الأخير استجار بالشيخ شواخ فأجاره وهذه من شيم العرب، وقد شارك في هذه الموقعة كل من الفرسان التالية أسماؤهم:

مبروك الملا علي، جاجان المفتاح، عبد العكر ، محمد المطر، حجيج من فخذ الحويدات، حمد الكجي، وفور مغادرتهم المخفر اتصل قائد المخفر بالباب ومنبج، فجاءت قوة تقارب ١٣٠ خيالاً وحاولت أسر الثوار لكنهم فشلوا وعادوا خائبين. علماً بأن تاريخ الحوادث بين عام ١٩١٨ ـــ ١٩٤١ م.

ومما يدل على الدور البارز الذي كان يقوم به الشيخ شواخ التفاف العشيرة حوله. وكونه كان يشكل خطراً كبيراً على الفرنسيين. لجأ ضابط فرنسي إلى التعزيز بأحد عناصر الدرك بالمال وترقيته رتبة أعلى على أن يقاتل الشيخ شواخ، وفعلاً بدأ هذا الدركي يراقب الشيخ شواخ ولما سنحت له الفرصة أطلق عليه النار فأصابته طلقتان في فكه وجبينه. لكنه ظل رابط الجأش قوي العزيمة فأمر فرسانه بالقبض عليه وعدم قتله وتسليمه إلى ضابط من بيت سويدان، وقرية هذا الضابط إما قارة أو حسيا

على طريق حمص دمشق. وبعد ثلاثة أيام ورد النبأ إلى الشيخ شواخ بأن ذلك الدركي قتل بأمر من ذلك الضابط الوطني وكان الشيخ شواخ آنذاك، يعالج في مشفى الدكتور أنطنيان، وكان الدكتور إيطالي الجنسية وقد أقسم بشرفه بأن لايوشي به للسلطات الفرنسية.

الشيخ محمد الفرج السلامة الدندن:

هو شيخ عشيرة الولدة كان من الرجال الوطنيين مشهوراً بكرمه ووطنيته، وهو شقيق الشيخ أحمد الفرج الذائع الصيت، لقد رفض مساعدة الفرنسيين في جباية الميرة من عشيرة الولدة فحكموا عليه بالنفي لعدم مساعدته إياهم، ونفي مع الشيخ دهام الهادي إلى جزيرة قمران، وكان من أعلام النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، وقد حكم على الكثير من عشيرة الناصر فخذ الدندن بأحكام من قبل الفرنسيين لمقارعتهم الاحتلال الفرنسي ومنهم بركات الأحمد الفرج ابن الشيخ أحمد الفرج المشهور بكرمه الحاتمي وإبراهيم الشيخ موسى وحاج عبد الشيخ موسى وعمر الخمري وصالح الخمري ومحمود الخمري وإبراهيم العبد العال وسطام الشيخ موسى وبصراوي الشيوخ، وقد شاركوا في كثير من المواقع بين الولدة والفرنسيين وكانوا في مقدمة من شارك بتحرير دير الزور. ومن وجوه النضال من العشائر الأخرى من عشيرة العفادلة: عبد الهادي الذيب من فخذ البريك وأقاربه.

القصف الفرنسي على قرية شمس الدين "وموقعة الحوش"

في عام ١٩٢٣ تم قصف قرية شمس الدين بالمدفعية والطيران الكولونيل لاكروا ولابد من الإشارة الهامة إلى السرجان صالح المغربي الذي أعلم بعض الوطنيين الشرفاء من أهل القرية، وعلى رأسهم المجاهد شواخ البورسان، وكان السرجان صالح المغربي مثالاً للرجولة والشهامة العربية الأصيلة والنخوة والحمية والغيرية العربية، حيث أنقذ عشيرة الولدة من مجزرة رهيبة وإنّ السرجان صالح المغربي هو من الرماة الماهرين للمدفعية الفرنسية.

وفي عام ١٩٣٧ في شهر نيسان قامت السلطة الفرنسية باتباع سياسة(فرق تسد) فأوغرت صدور قبيلة عترة على جيرانهم من قبيلة الولدة حيث استطاعت القوات الفرنسية أن تستميل بعض وجهاء عتره إلى جانبها، وكان لها ما أرادت، ويذكر أن مدير ناحية المريبط كان عميلاً لفرنسا وهو من دير الزور، وكان دائماً يشكل ضغوطاً كبيرة على عشيرة الولدة ويمتثل لأوامر بعض وجهاء عتره من المتعاونين مع فرنسا، إلا أن وجهاء الولدة الناصر كانوا يأبون على أنفسهم الظلم أو الضيم، وقاموا بخطة ذكية بالتعاون مع بعض العساكر المليس الذين كان البعض منهم من المغاربة والمسلمين وبعض الوطنيين الشرفاء أمثال إسماعيل السطم من عشائر ديو الزور"من السياد فخذ الراويين "وقد هجموا جميعاً بقيادة شواخ البورسان على الناحية المذكورة فحاصروها وفتحوا النيران. وأوعز لعساكر الناحية بتسليم أنفسهم وسلاحهم والذخيرة التي بحوزتهم وقد ساعدهم العسكري إسماعيل السطم حيث رفض أوامر مدير الناحية وأعلن العصيان على الأوامر.

وبهذه الحالة انتصر الثوار واحتلوا المخفر والأسلحة والذخيرة وفر العساكر ومدير الناحية، ولا بد من ذكر أسماء الذين طوقوا المخفر والمجاهدين الأبطال وهم: الشيخ شواخ البورسان وحمود الحمد الخكري وصالح الخمري وعمر الخمري وأحمد السليمان ومبروك السليمان وجيجان المفتاح وعبد العسكر وكلهم من عشيرة الولدة الناصرة.

وفي يوم الجمعة ٢٩ آب ١٩٤١ وبعد فشل القوات الفرنسية في كسر هيبة عشيرة الولدة. قامت الحامية الفرنسية وقواتها النظامية بالتعاون مع بعض عملائها من عشيرة عتره بالتخطيط لهجوم كبير بعد أن أمدت عملاءها بالذخيرة والسلاح والأموال والمنصب والجاه، وخططت بعد ذلك مكيدة رهيبة. إذ أعطت وثيقة لعملائها من بعض قبيلة عتره بترحيلهم للشامية، وذلك لتنطلي هذه الحيلة وهذه الخدعة على قبيلة الولدة الناصر وكانت الخطة على الشكل التالي ـ حيث تتوجه قبيلة عتره منطقة جب العلى باتجاه حلب والجيش الفرنسي يتلوها المشاة والخيالة والمصفحات والتي كانت تدعى آ، أ:" بالشنازات". وفي هذه الحالة كانت قبيلة الولدة في مزارعها وبيوتها، ومنذ أن أصبحت قبيلة عتره والقوات الفرنسية قبالة"جعبر"من قرى الناصر"فرع الملا عيسى" إذ هجمت القوات الفرنسية على البيوت الآمنة. حيث فتحوا نيران المصفحات والرشاشات والبنادق الآلية ومعهم العملاء من قبيلة عتره إلى أن وصلوا إلى قرية الحويش وقد التقى الأطراف بوقعة تلول الحليب الشيخ شواخ بقيادة ابن أخيه أنور السعيد وابن عمه عيسى الصلال الملقب:"أبو الهيس" وحاج حسن العيسى وعلي المفتاح، وكان عددهم لايتجاوز الثلاثين رجلاً من الناصر والولدة فتصدوا للهجوم ثلاث مرات فصدوه بقوة الرجال الأشداء فانكسرت شوكة الأعداء والعملاء، وبعد ذلك تراجع العملاء والأعداء نحو الغرب دون أن يراهم أحد لأنه كان بينهم تلول الصواوين، وقد استشهد في هذه الموقعة ١١٧ شخصاً ما بين رجل وامرأة وطفل، وكان الدافع الذي حدا بالعملاء أن يكونون مع القوات الفرنسية هو أن تطرد قبيلة الولدة من الفرات وتوطن قبيلة عتره على شواطىء الفرات إلا أن الروح الوطنية والغيرية العربية والاصرار على سحق الأعداء طردهم من البلاد مدحورين وإلى غير رجعة فكان لهم النصر يتوج هاماتهم، أما بالنسبة للأعداء الفرنسيين وعملائهم المتخاذلين كان بذهنهم خطة أخرى حيث قاموا بنصب ثلاثة مدافع قرب جبل عردوه من الجهة الشمالية. وخاصة بعد فشل القوات الإنكليزية والفرنسية معا بالقبض على الشيخ: شواخ

البورسان ورجاله الأشداء الأقوياء بالله وحب الأوطان، فما كان من القوات الفرنسية إلا وأصدرت حكماً بالإعدام على الشيخ شواخ البورسان وتدمير قريته الصامدة قرية شمس الدين وتوابعها فجاءت بعد ذلك بقوات فرنسية من حلب، وحين وصول هذه القوات إلى قرية البابيري الفوقاني أي:"المشيرفة" قام أحد العساكر الفرنسيين ويدعى صالح المغربي بحجة أنه سوف يمر إلى أحد بيوت قرية البابيري ليشرب ماء وحين مروره بأحد بيوت القرية طلب الماء من صاحب البيت فأخبره بأن هذه القوات ذاهبة لتدمير قرية شمس الدين ومن فيها وشكره هذا الرجل وأسرع على ظهر حصانه باتجاه قرية محمد الغنام. وأخبر الشيخ شواخ بهذه الخطة الجديدة لتدمير القرية وقتل الثوار، ويذكر بأن أهل هذه القرية هم من "البومسرة" وذهب الرجل إلى الشيخ محمد الغنام كذلك وأخبره حيث عبروا نهر الفرات بواسطة "الجربان" وحين وصولهم إلى الشيخ شواخ أعلموه بالخطة فقام الشيخ شواخ بإخلاء القرى من أهلها ووضعهم في الأدغال الكثيفة المحاذية لأطراف نهر الفرات ووضع لهم حراسة للنساء والأطفال، وفي اليوم التالي وعند طلوع الشمس، كانت القوات قد حاصرت قرية شمس الدين وتوابعها لأن الفرنسيين سيقومون بقصفها قصفاً تدميرياً، وحين إطلاقات صالح المغربي للمدفعية كان القائد الفرنسي المشرف على التدمير قد شك بصالح المغربي إلا أنه لاذ بالفرار ليلاً إلى القرى المجاورة ليلتقي بالشيخ شواخ ويدرب رجاله على الأسلحة التي غنموها سابقاً من القوات الفرنسية، وهكذا تكون أخوة الدم والدين موجودة في كل مكان، وبعد أن دمرت عدة قرى بما فيها شمس الدين وحرق حقول الذرة البيضاء على شاطئ الفرات ومن جهة الشامية كذلك حرق المزارع في كل من مزرعة الوردات والبو صلاح وقرية عرودة. وكان الثوار ينتقلون عبر الفرات على السفن اليدوية المصنوعة من القصب والبردي وبقرية الجسرة وسكانها من آل هويدي. ومن عشيرة البو صلاح، بيد أن أعوان الفرنسيين من بعض قبيلة عتره كانوا قد توجهوا إلى قبائل الردن لينضموا إلى الجيش الإنكليزي بقيادة غلوب باشا الملقب "أبو حنيك" وهكذا وبعد مدة من الزمن تعاونت قبائل الولدة والبوشعبان وسواها من القبائل

العربية الأخرى بطرد الفرنسيين وإلى غير رجعة وعادت الحرية والاستقلال. وستذكر الأجيال للأجيال مآثر هؤلاء الأبطال على مر الزمان وبعد زمن من اندحار الاستعمارين الفرنسي والإنكليزي توسطت وجوه الخير بالصلح بين قبيلة عتره والولدة حيث أن الولدة لاقت من قبيلة عترة الكثير من القسوة، وذلك بسبب تعاون بعض رجال عتره مع الفرنسيين أو الإنكليز، وعلى العموم فها هما الآن أخوة وأحباب ويداً واحدة وقلباً واحداً ضد كل أعداء العرب والإسلام.

الشيخ راغب البشير والمستعمر الفرنسي

يعتبر الشيخ راغب البشير من كبار مشايخ سوريا وهو رئيس عشيرة البقارة قاطبة في عموم سوريا وخارجها. ومشهود له بالشجاعة حيث يخشى الله لومة لائم. كذلك مشهود له بالتقوى فهو رجل صالح ويخشى الله في قومه لذلك فهو يجمع بين الدين والدنيا معاً وهذه اختصه الله بها من بين أقرانه.

وعموماً فإن بيت البشير هو من أكبر البيوت العربية الحسينية الأصيلة بمعنى أنهم عدنانيون من أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبرز منهم الكثير الكثير ولامجال لذكرهم،حيث إنني أتحدث عن فترة النضال ضد فرنسا ومن قبيل العرفان بالجميل هو أن يذكر الفضل لأهل الفضل تجاه البطولات الكبيرة والتضحيات العظيمة ضد الاستعمار الفرنسي البغيض. حيث حاولت السلطات الفرنسية بكل وسائلها ودسائسها المغرضة والفتن الذميمة أن توقع بين أبناء القبيلة الواحدة من منطلق سياستها الغاشمة في اتباع أسلوب وسياسة "فرق تسد" فحاولت مع الشيخ المجاهد بل كان ينظر لهم بأن "الكفر ملة واحدة" فضايقهم هو وقبيلة في عدة مواقع حيث قتلوا العديد من العساكر الفرنسيين ونهبوا مؤونتهم العسكرية وبعض مستودعاتهم للذخيرة إزاء كل هذه الأعمال والتعدي على هيبة فرنسا آنذاك قامت فرنسا بفرض حصار شامل على قبيلة المناضل الشيخ راغب البشير فمنعتهم من العبور من معابر وجسر دير الزور ومنعتهم من التزود بالمواد التموينية

وفرضوا عليهم عشرة آلاف ليرة ذهبية وألف بندقية وعدة آلاف مخزن رصاص.

بتاريخ ٤ تموز ١٩٤١ شبّ حريق هائل في دار الحكومة بالرقة فهب المناضلون الأشداء لإخماد الحريق الذي أشعله الفرنسيون وكان على رأسهم المناضل الوطني الجسور: أحمد الحمود المهنا ومصطفى العيد وجبر الشواخ ومصطفى الحمود العلي الظاهر حيث على أثرها حضرت السلطات الانكليزية من حلب للوقوف على هذه الفعله انظر الوثيقة المرفقة . وهكذا كان المناضلون المجاهدون لتذكرهم الأجيال.



الشيخ راغب البشير من أوائل الوطنيين الشرفاء في الجزيرة والفرات

ولم تكتف بهذا بل قامت بنفي الشيخ راغب البشير وحسن الغنام من كبار البقارة إلى السلمية. حيث بقوا فيها فترة من الزمن ثم قاما باللجوء إلى إمارة شرقي الأردن حيث استقبلهم الأمير عبد الله امير شرقي الأردن فأحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم. ومكثوا في ضيافته بضعة أيام فقام الأمير عبد الله فأهداه صرة من الذهب فردها عليه الشيخ راغب شاكراً اياه على هذه الهدية فرد عليه الأمير عبد الله ممازحاً إنها هدية ليست صدقة يا ابن العم، فعلت ضحكاتهما وسط البلاط الهاشمي، إلا أن الشيخ راغب أخبره بأن السلطات الفرنسية تفرض حصاراً شاملاً على قبيلته هناك على ضفاف الفرات حتى حدود حلب حيث تنتشر مضارب البقارة فتوسط له الأمير عبد الله مع السلطات الإنكليزية لفك الحصار، وتم له ذلك فعلاً حيث عاد إلى قبيلته عودة الأبطال الظافرين المنتصرين وهكذا حسبت له فرنسا ألف حساب رحم الله الشيخ المجاهد راغب البشير فهو حفيد حيدرة الكرار في الشجاعة وهو تلميذ جده رسول الله في التقوى.

حقاً لقد كان الشيخ راغب البشير مناضلاً عنيداً فريداً ولا أدري هل نسي المؤرخون أم تناسوا بطولات أولئك الأبطال الذين صنعوا لسوريا الحرية والاستقلال.

أولئك الرجال العظام عبر الأجيال، والأزمان وما هذه العجالة إلا غيض من فيض وإنه دين بأعناقنا نحن الأجيال الناهضة أن نعيد الاعتبار عبرة وتذكاراً لهذا الجيل بل لكل الأجيال.

حيث نذكر الفضل لأهل الفضل.

والله نسأل أن نقتدي بهم لأنهم مضرب الأمثال في الشجاعة والقدوة الحسنة عبر الأجيال وعسى أن نكون نحن خير خلف لخير سلف وعسى الذكرى تنفع المؤمنين.

الملحق رقم ٢٩

نداء الضباط الوطنيين إلى حامية الرقة

إلى قواد وجيوش حامية الرقة البواسل:

أبناءنا وأخواننا الأعزاء: لابد وأن يكون بلغ مسامعكم وحرض من حماسكم ونخوتكم ما قام به أخواننا في الحاميات والثكنات العسكرية من البطولة والشجاعة والتضحية لإنقاذ وطنهم المقدس وإحياء تراث ومجد آبائهم لقد غادر أخوانكم مراكزهم والتحقوا بالجيش الوطني السوري أفراداً وجماعات بأسلحتهم ورشاشاتهم وكامل معداتهم فاستقبلتهم الأمة والشعب بالترحيب والاعزاز والتكريم أينما ساروا وحيثما حلوا، .انه لمن المؤلم أن تكونوا أنتم يا أخواننا الأبرار بمعزل عنا لاتشاركونا في هذا الجهاد المقدس والفخر الأمجد وأنتم الغر الميامين والشجعان الأباة، ولكن نعلم أكيداً أن الذي حال بيننا هو قائدكم الخائن(جرمانوس) المسيطر المغرور والمتزلف الخائن لوطنه وبلاده، ولا عجب في ذلك فأنتم تعلمون أن لاصلة بينه وبين وطنكم العربي السوري، إنه مجنس بالجنسية الفرنسية الخادعة الماكرة، ويعلم هو يقينا أنه ليس له في هذا الوطن السوري العربي مربط عنز أو حبل بعير إذا غادر أسياده البلاد، وهذا مما لاشك فيه وهو بديهي ووشيك والساعة آذنت بالنصر النهائي وسترون بأعينكم كيف يغادر هذا الوطن جاراً أذيال الخزي والعار.

يا أخواننا الأوفياء: إننا لا نريد أن تكونوا آلة صماء أو لعبة طفل بيد هذا الخائن الذي يجعل منكم سلماً لبلوغ مآربه الدنيئة القذرة وقرباناً يقدمكم على مذبح شهواته الخبيثة وهذا مما لانرضاه لكم ولا يمكننا السكوت عنه مهما كلفنا من ثمن.

•••

الفصل الخامس

الأوضاع الداخلية في الجزيرة السورية

تقسيم الجزيرة إلى ثلاثة أقسام:

إن المنطقة المعروفة عند العرب باسم الجزيرة تشمل الأراضي الممتدة من منابع دجلة والفرات من أرمينية حتى جنوب الموصل، وكانت الجزيرة في عداد المناطق التي فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، ثم دخلت في حكم الأتراك، وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام بعد الحرب العالمية الأولى فالقسم الأعلى من الجزيرة بقي ضمن الأراضي التركية، والقسم الأوسط ألحق بالدولة السورية، والقسم الأسفل ألحق بدوله العراق. كان القسم الذي ألحق بسوريا سنة ١٩٢٢ موطناً لعشائر سيارة، وكان موقع مدينة الحسكة أرضاً لاعمران فيها سوى ثكنة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد فوق تل مشرف على نهر الخابور تقيم فيها قوة عسكرية للمحافظة على إقرار الأمن بين العشائر، وكان أول ما ضم إلى سوريا منطقة الحسكة ورأس العين وقضاء مركزه الحسكة وألحقت هذه المواقع بمتصرفية دير الزور.

الفوضى والاضطرابات في محافظة الجزيرة:

كانت الاضطرابات والفوضى ضاربة أطنابها في منطقة الجزيرة، وكان البدو قد ألفوا حياة الاستقلال عن الفرنسيين فهم يفصلون بحد السيف ما يقع بينهم من نزاعات وقد حدا ذلك بالسلطات الفرنسية منذ عام ١٩٢١ أن تعمل على إقرار الأمن والنظام في تلك الصحارى، ولم يكن استئصال العادات من العشائر بالأمر السهل خاصة وأنهم يعلمون أن الفرنسيين دخلاء في أرضهم وأنيطت المهمة بكتيبتي الهجانة اللتين أنشأتا في عام ١٩٢١ إحداهما في تدمر والأخرى في ديـر

الزور، وكانت كتيبة الهجانة في قرية الحميدية وعلى رأسها الكابتن مولر فهاجمها رجال من عشيرة شمر على مقربة من الحدود التركية واشتبكت مع المهاجمين وتمكن الثوار من مؤخرتها.

أحداث قضاء كرو في منطقة الجزيرة:

لم تتقطع الاضطرابات في منطقة الجزيرة وبقيت الأحوال كذلك حتى سنة ١٩٢٥ حيث قامت حملة عسكرية فرنسية من الحسكة نحو الشمال واستقرت في القبور البيض، وجعلت مركزها في موقع يدعى تل قرو وأسست هناك قضاء سمي قضاء كرونسبة إلى التل المذكور، ثم انتقلت الحملة الفرنسية إلى موقع القامشلي اليوم وشرعت بتخطيطه وبقي اسمه قضاء كرو مدة من الزمن ثم غلب عليه اسم القامشلي، وهذا الاسم لفظة تركية معناها القصبة أو الأرض الكثيرة القصب سميت بذلك لكثرة ما كان ينبت من القصب على ضفاف نهر الجغجغ إذاك، وكان هذا الموضع أرض بادية ليس فيها سوى طاحونة مائية بناها على نهر الجغجغ أحد وجهاء نصيبين، ولما استقر الأمن أخذت جماعات من سكان الجبال القريبة تنزح من أرضها إلى السهل الخصب، وكان من النازحين السريان والأرمن والأكراد ومن ماردين وديار بكر وغيرها فنشط العمران في البقاع المحاذية للحدود التركية لسهولة المواصلات ثم امتد نحو الشرق والجنوب والغرب.

تخطيط الحدود بين سوريا وتركية:

وفي سنة ١٩٢٨ م جرى تخطيط الحدود بين سوريا وتركية فألحق بسوريا القسم الواقع في أقصى الشمال الشرقي للجزيرة، وكان لايزال يمر حتى ذلك الحين داخل الأراضي التركية ثم جعل قضاء سمي عين ديوار.

أحداث متصرفية الجزيرة:

وفي سنة ١٩٣٠ م أحدثت محافظة الجزيرة وانفصلت هذه المنطقة عن محافظة دير الزور واتخذت الحسكة قاعدة لها وهي محافظة تتألف تشكيلاتها الإدارية من

ثلاث مناطق: الحسكة، القامشلي، المالكية وأكثرها عمراناً وازدهاراً هي القامشلي وبتاريخ ١ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ عين نسيب الأيوبي محافظاً للحسكة، ولد بدمشق سنة ١٨٩٣ وتخرج منالكلية العلمية في الاستانة وشغل قائمقام حاصبيا وراشيا وأنطاكية وبعلبك، وانفك عنها بنهاية نيسان سنة ١٩٣٦، وفي أواخر عهده وقعت القلاقل والفتن في منطقة الجزيرة وكان خبيراً في تحديد الحدود العراقية والسورية سنة ١٩٣٢ ثم نقل إلى محافظة درعا وأحيل إلى التقاعد في ١٦ تشرين الأول سنة ١٩٣٧ وكانت وفاته يوم الأحد في ١٢ مايس سنة ١٩٦٣م.

الاضطرابات في محافظة الجزيرة:

في ٢٨ شباط سنة ١٩٣٦ وجه المفوض السامي الكونت مارتيل دعوة إلى رجال الكتلة الوطنية للتفاوض في بيروت، فتم الاتفاق على التفاوض في باريس، وفي آذار سنة ١٩٣٦ تم تشكيل أعضاء الوفد وسافر إلى باريس، وبدأت المفاوضات بين الجانبين السوري والفرنسي في أوائل شهر نيسان سنة ١٩٣٦، مكث الوفد في باريس عدة أشهر، وعقد معاهدة مع فرنسة عرفت بمعاهدة ١٩٣٦، ثم عاد الوفد إلى دمشق، وفي ٢١ كانون الأول سنة ١٩٣٦ اجتمع المجلس النيابي السوري وصادق مبدئياً على المعاهدة، غير أن فرنسة ماطلت في تصديقها فقد كانت وعودها اشاعات تترامى إلى الشعب السوري بصورة متضاربة، وكان الشعب متفائلاً ومتشائماً في آن واحد، وبدأت الأخبار تبلبل الأفكار، وقد عكرت صفو الجو، بسبب القضايا التي وقفت عثرة في سبيل تحقيق الأماني القومية.

ابتداع مشكلة الأقليات:

إن ابتداع نغمة الأقليات الممقوته ليست حديثة يستثمرها المستعمر الدخيل في كل مناسبة للدس والتفرقة، والتي قد تحدث عن كثير من الحوادث التي كان مصدرها أنشودة الأقليات التي لا مجال لاستعراض وقائعها الآن، لقد أمعن الأتراك في إثارة النعرات الدينية فكانوا يشجعون الطوائف الإسلامية على خنق حريات الطوائف

الأخرى فأدى ذلك إلى قيام الثورات الداخلية سلاحاً فتاكاً لنفسه، ثم جاء الفرنسيون إلى البلاد السورية لتطبيق صك الانتداب ولحماية المسيحيين من المسلمين على حد تعبيرهم. لكن المصالح الاستعمارية كانت غايتها القضاء على الروح الوطنية والعمل على بث الانحلال القومي كما وقع في ثورة الجزيرة عام ١٩٣٦.

الثورة المضادة في منطقة الجزيرة:

من حسنات التاريخ أنه يفضح ما خفي من السيئات مهما طال أمدها، ويميط اللثام عن أسرار غامضة من الحقائق. وهذا الحديث عن طريق الاستنباط في إظهار الوقائع لأن ما وقع في منطقة الجزيرة من الحوادث يعرفه الناس كلهم . أجمعين ، وعندما قامت المظاهرات في المدن السورية تسلمت السلطة العسكرية والأمن واستدعى الجنرال هرتز نجر أعيان مدينة دمشق وأطلعهم على بيان المفوض السامي، وأفهمهم أنه استلم الأمن ليعيد السكون إلى البلاد، ولهذه التدابير العسكرية ارتباط بما وقع في محافظة الحسكة من شغب وقلاقل وإخلال بالأمن، حركتها أيدي الفرنسيين.

ولما ذهب الوفد السوري إلى باريس لعقد المعاهدة الفرنسية السورية قامت بعض الفئات الرجعية في الحسكة بالثورة كان المحرك الأول فيها المستشار بالونديل للتدليل أمام عصبة الأمم بأن المعاهدة الفرنسية السورية المعقودة لا أهمية لها مادامت بعض المناطق السورية لاتوافق على عقد هذه المعاهدة ولاترى بديلاً عن الانتداب الفرنسي،وكان نشاط فئة قليلة جداً ومنبوذة جداً من كافة طوائف الشعب نترفع عن ذكر أسمائها حرصاً على وحدة الصف في هذا العهد الميمون، وقد بلغ أشده على رأس الحركة رجل يفرض عليه مركزه أن يكون بعيداً عن السياسة وفي عام ١٩٣٧ عين السيد بهجت الشهابي محافظاً للجزيرة، وفي عهده حدثت الاضطرابات وأخذت تتسع وتتطور، وقد لقي من التحدي والاستفزاز ما لايطاق فآثر الانسحاب من محافظة الحسكة والعودة إلى دمشق.

تعيين حيدر مردم بك محافظاً للحسكة:

لقد اهتمت الحكومة المركزية لما يقع في منطقة محافظة الحسكة، فأوفدت السيد حيدر مردم بك محافظاً، وأرفقته من دمشق إلى الحسكة بقوة من جنود الدرك تقلت بسيارتين كبيرتين فوصل الحسكة بتاريخ ١٢ آذار ١٩٣٨ ولقي من بعض الشعب ما لقي سلفه من قبله، فاضطر للانسحاب من الحسكة والبقاء في دير الزور مدة ثلاثة أشهر ثم عاد دمشق شهر ايلول سنة ١٩٣٨.

مقتل محمد نوري بن دامة زكريا مصطفى قائد فصيلة الحسكة السيارة ١٩٠٢ ـ ١٩٤٤

لقد اجتمعت لدينا معلومات موثوقة عن هذا الشهيد، وإن الأوسمة الكثيرة التي نالها عن جدارة واستحقاق تثبيت على أنه كان آية في بطولاته الخارقة، ولد هذا الشهيد الباسل في منبج عام ١٩٠٢ وانتظم بسلك الدرك سنة ١٩٣٤، وبفضل ما أبداه من شجاعة وإقدام حاز مرتب الترفيع وكان قائد فصيل وقائمقاماً بالوكالة في ديريك وهي أخطر منطقة في عهد ثورة الجزيرة نقل إليها بعد مقتل فريق من رجال الدرك فيها سنة ١٩٤١ وكان شوكة دامية في أعين الفرنسيين المستعمرين، فلم تلن له قناة حيال تهديداتهم وقد خابر قائد موقع ديريك الفرنسي وأعلمه بأن المدعو كبران رزقو من الكومبالي رقم ٣ يشتم الحكومة ورجالها في المقاهي والطرقات، وأنه يهيج ويحرك ضد الأديان والطائفية، وأنه لم يقف عند حده سيكون مصيره القتل مهما كانت العواقب. لما اشتدت أعمال الارهاب في الحسكة رأت القيادة العامة للدرك ضرورة نقله إلى الحسكة، وقد أجمع رفاقه ومعارفه بأنه كان ذا بأس شديد وبسالة فائقة ومخلصاً لوطنه وفي خلاف مستمر مع السلطة الفرنسية بدليل كثرة التنقلات التي تعرض لها في فترات متقاربة في أخطر المناطق التي تكثر فيها المشاكل والصدامات والحوادث الدامية وكان يحاول دائماً إبراز الوجه الوطني المستقل للحكومة وللجمهورية السورية.

استشهاده:

لقد وقعت اشتباكات دامية بين عشائر البكارة والأكراد،وبصفتـــه قـــائد فصيلـــة الحسكة السيارة فإن من اختصاصه التدخل بين العشائر المتقاتلة وتفريقها فـــامتطى سيارات الدرك وأخذ معه قوة من الجند وأنذر العشائر المشتبكة بالقتال بالانســـحاب والابتعاد عن بعضها، ولكنها استمرت بالقتال وأصيب عدد مـــن الجنـــود الـــدرك فاضطر لاستعمال الرشاش فقتله فريق من المقاتلين برصاصه قاتلة وكان استشـــهاده يوم الأحد في ٣ ايلول عام ١٩٤٤.

تعيين توفيق شامية محافظ دير الزور محافظاً للحسكة بالوكالة واختطافه من قبل الرجعيين

ازدادت حوادث الحسكة خطورة في هذه الفترة، واختل الأمن بشكل أدى لمقتـــل بعض الأفراد من جنود الدرك، وبعد انسحاب حيدر مردم بـــك محـــافظ الحســـكة، أناطت وزارة الداخلية بالسيد توفيق شامية محافظ دير الزور إدارة محافظة الحسكة بالوكالة فكان يمضي في دير الزور خمسة عشر يوماً ومثلها في الحسكة، واســـتمر بالوكالة مدة شهرين وفي خلالها اختطفه رجال من المرتزقـــة وســـلموه للمستشـــار الفرنسي بلونديل الذي وضعه بشكل حقير في قرية طوبس التابعـــة لعـــامودة وقـــد استمر اختطافه مدة خمسة عشر يوماً.

المفوضية تضطر إلى اختطاف المحافظ توفيق شامية:

كان لحادث اختطاف السيد توفيق شامية محافظ الحسكة بالوكالة رد فعل شـــديد بين الحكومة والمفوضية العليا صاحبة الوحي في قيام الاضطرابـــات فـــي منطقـــة الجزيرة، فالحكومة السورية وقفت واجمة لأنها رأت من الحكمة عـــدم اتخـــاذ أي تدبير لإطفاء هذه الفتنة بالقوة تفادياً من وقوع حوادث طارئة قد تؤدي إلـــى اتســـاع نطاق هذه الفتنة، والسلطات الفرنسية اعتقدت بأن الحكومة السورية اختطفت محافظ الحسكة واتهمت الشيخ جميل المسلط باختطافه عند قرية الدغيرات مقـــابل طابـــان

قرية الشيخ جميل، وذلك لإحراج الفرنسيين أمام الرأي العام العالمي، وفـــي هـــذه الفترة اتصل بالمفوضية العليا فأمرت المستشار بلونديل أن يطلـــق ســـراحه فـــوراً فانصاع للأمر، وكان ذلك في عهد المفوض السامي الكونت دومارتيل.

لقد كانت قرية طوبس التابعة لعامودة مقر اجتماع لعصابـــات رأت أن تســـتغل الثورة، لنقص وعيها الثقافي، إلا أن الوطني الجريء سعيد اسحق نائب الجزيرة فـــي البرلمان قال: بإن الحركة كانت بإيعاز من المندوبية الفرنسية في بيروت لإحـــراج الحكومة ووفدها المفاوض في باريس. لكن الشيخ جميل المســـلط فنـــد مزاعمـــهم الكاذبة، وكذلك رجال الكتلة الوطنية التي قـــامت بتوعيـــة المنـــاضلين والوطنييـــن الشرفاء من ألاعيب ودسائس فرنسا المغرضة حتى إلى غير رجعة.



السيد توفيق شامية محافظ دير الزور في فترة الثلاثينات

اشتباك مسلح بين الدرك والقوات الفرنسية في الحسكة:

في شهر مايس عام ١٩٤٣ تصدت القوات الفرنسية المرابطة في الثكنة العسكرية لاعتداء وقع على رجال الدرك الذين يحرسون دار حكومة الحسكة وتبعد الثكنة العسكرية زهاء مائتي متر عن دار الحكومة، وأدى إطلاق النار من الساعة الخامسة قبل الغروب واستمر ست ساعات دون انقطاع، وكانت المدينة في ظلام دامس والغاية من هذا الهجوم هو إنزال العلم السوري عن سارية دار الحكومة، وقد استأسد رجال الدرك بالدفاع عن العلم السوري المفدى وعن أرواحهم، وكانوا في كل لحظة يتعرضون للهلاك المحتم، وقد حضر قائد موقع دير الزور الفرنسي إلى الحسكة واجتمع بالمحافظ وتم حل المشكلة ببقاء العلم السوري على سارية دار الحكومة، وإن ماأبداه رجال الدرك في الحسكة من البسالة الفائقة يدعو للتقدير والإعجاب.

الاعتداءات في الحسكة:

في منتصف شهر حزيران سنة ١٩٤٥ وقعت اعتداءات متواصلة في الحسكة وقد انسحبت عوائل الجند من الحسكة، إلى الثكنة العسكرية فيها، ووقفت القوات الفرنسية المرابطة في الثكنة العسكرية تنفذ أعمال العدوان، كان المقدم موسى من أسرة اليازجي الشهيرة في مرمريتا والملازم فريد على اتصال بضباط الدرك السوري وأظهرا كل حماس فسجل لهما التاريخ وطنيتهما بحروف من نور.

العدوان الفرنسي في محافظة الحسكة:

لما وقع العدوان الفرنسي في البلاد السورية بأواخر شهر مايس سنة ١٩٤٥ كانت الثكنة العسكرية الفرنسية الموجودة في محافظة الحسكة هي مناطق الحسكة والقامشلي وديريك تعج بالجنود وبأنواع الأسلحة النارية والذخائر، كان الذين نزحوا إلى محافظة الحسكة بقصد التجارة والزراعة من حلبيين وشاميين وحمويين وحمصيين وغيرهم يسيرون باتجاه واحد من العشائر الوطنية ضد الفرنسيين وأشياعهم وهم الذين حاصروا الثكنات العسكرية الفرنسية وهاجموها بشكل عنيف حتى استسلمت.

مواقف بطولية في المالكية:

أكد لي الأستاذ شمعون شمعون مدرس اللغة العربية في مدينة الحسكة أنه كان يافعاً عام ١٩٤٣ حيث كان بين المتظاهرين ضد الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي حيث كانت شوارع المالكية وكانت تسمى آنذاك(ديريك) تكتظ بالمظاهرات العارمة فاختلطت الهتافات بالرصاص من العساكر الأجانب. يقول: وبعد لحظات وقع إلى جانبي شاب كان قد أصيب في قدمه برصاصة، وسالت الدماء من قدمه، وحملناه على الاكتاف باتجاه أقرب نقطة طبية، ولن أنسى ما عشت حيّاً اسم شكري يعقوب ذلك الشاب الذي مزقت قدمه رصاصة الأجنبي وبقيت حالة النضال قائمة إلى أن ولت فرنسا الأدبار وإلى غير رجعة. حيث نالت سوريا الاستقلال. ويذكر أنه في عام ١٩٤١ جرت معركة بين أهالي قرية حنيويه بمنطقة المالكية وبين جنود الاستعمار الفرنسي، وبسبب عدم التكافؤ بالعتاد والعدد قام الجنود الفرنسيون بحرق القرية واستشهد خلال المعركة عدة أشخاص بينهم واحد من آل كورو.

الشيخ جميل المسلط والوطنيين في الجزيرة السورية

كان الشيخ جميل المسلط يقود أكبر قبيلة عربية في الجزيرة السورية فكلما ذكر الشيخ جميل المسلط يذكر الوطن وتذكر الهيبة الوطنية والنخوة والحمية، فما زالت صورته ماثلة في أذهان الضباط الفرنسيين والذي كان من ألقابه "أبو جناه" فقد كان منذ نعومة أظفاره جريئاً مقداماً وشجاعاً جسوراً، بل كان عسكرياً بالفطرة حيث خلف والده بزعامة القبيلة حيث كان لايخشى في الله لومة لائم لأنه احتمى بالحق فناصر المظلوم ولم يسل سيفه إلا لنصرة الضعيف وإغاثة الملهوف.

وأهم ما يذكر فيه أنه كان أول من عمل بالدين بدل العرف القبلي. حاولت فرنسا ترويضه بواسطة المنصب والجاه العريض والسلاح والمال لكنها لم تفلح، فطاردته هو ورجاله في عدة مواقع في الخابور والبادية حتى ألجأته مراراً إلى العراق ومنعت عليه وعلى رجاله العبور من جسر الحسكة الخشبي حين يريدون التزود

بالتموين لهم ولقبيلتهم. وكثيراً ما أرهقوهم بالضرائب والجباية على مواشي وقطعان قبيلته الجبور الممتدة من حدود القامشلي قبيلة طيء حتى الشيخ حمد وحدود محافظة دير الزور. كذلك فقد قتل الفرنسيون الكثير من رجاله وأقاربه. ورغم كل هذا يزداد قوة وعنفواناً وصلابة، بل كان مضيفه"المتوسع" وجمعاً لكافة القوى الوطنية بما فيها الكتلة الوطنية والمنفيين إلى الجزيرة من المحافظات الأخرى من بينهم أسماء الذين نفوا من السويداء إلى الجزيرة وهم:

١ ــ برجس الحمود وعلي الأطرش وعلى عبيد ويوسف الأطرش وذلك عام ١٩٢٣. ولابد أن نذكر رجال الكتلة الوطنية من الزعماء البارزين الذين نفوا إلى الجزيرة حيث نظموا صفوف التلاحم الوطني والنضالي بين كافة المحافظات وهم:

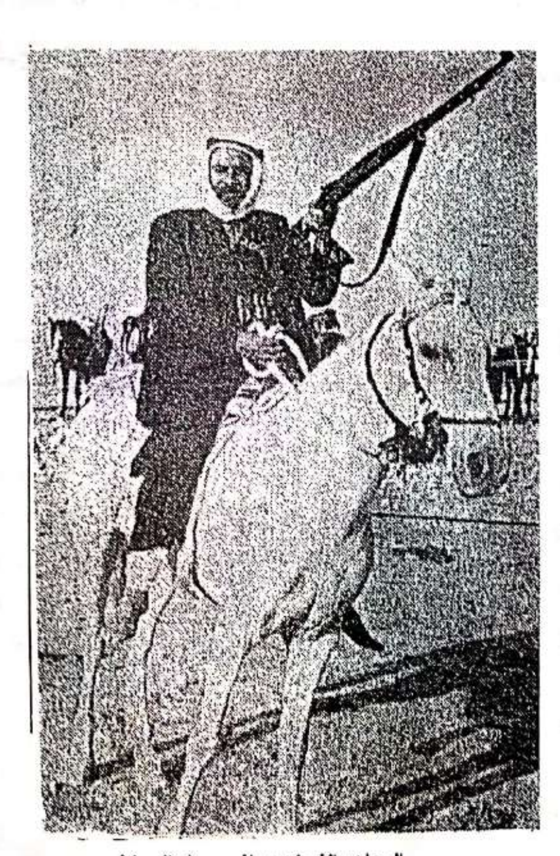
سعد الله الجابري وفوزي الغزي وفارس الخوري وجميل مردم وسواهم.

فرنسا تساوم جميل المسلط على ولده هواش:

حين فقدت فرنسا حيلتها في ترويض الشيخ جميل المسلط عرضت عليه أن يكون هو ضدها ويكون الشيخ هواش معهم أجابهم بكل سخرية واستهزاء: "هل تعلمون أن صاحب الاثنين خائن". فما كان منهم إلا أن أثاروا بعض أقاربه ضده، وذلك من قبيل الفتنة وسياستها الاستعمارية القائمة آنذاك على مبدأ:"فرق تسد" وحققت جانباً من مراميها، لكنها فوجئت برجال الشيخ جميل المسلط في دار الحكومة "السرايا" حيث يوصلون الطعام إلى الدرك السوري المطوقين من قبل القوات الفرنسية عبر نهر الخابور المحاذي للسرايا. فجن جنون الضباط الفرنسيين حيث اعتقلوا بعض رجال الشيخ جميل المسلط ونفوهم إلى بيروت نذكر منهم: عيسى الجزيرات وخلوي الكندار وصلك المحيل وآخرين.

الشيخ جميل المسلط: من أبرز وجوه النضال الوطني في الجزيرة السوري وهو عضو الكتلة الوطنية في سوريا



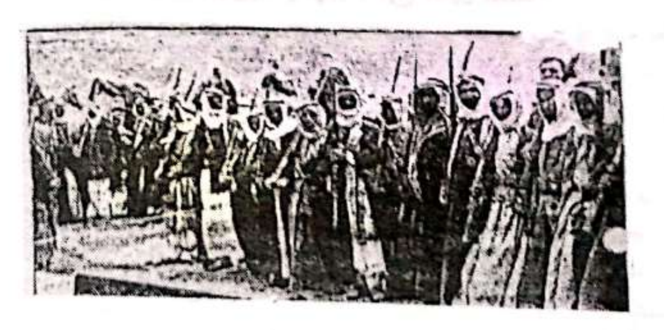


المجاهد الشيخ: هواش جميل المسلط

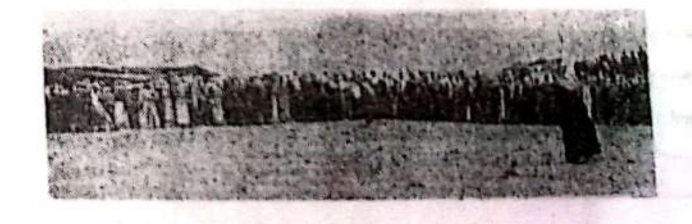
إبان الاستعمار الفرنسي عام ١٩٣٧ من أوائل الوطنيين في الجزيرة كان دائماً بصحبة والده الوطني الشيخ جميل المسلط.

خطف محافظ الجزيرة واتهام الشيخ جميل بخطفه:

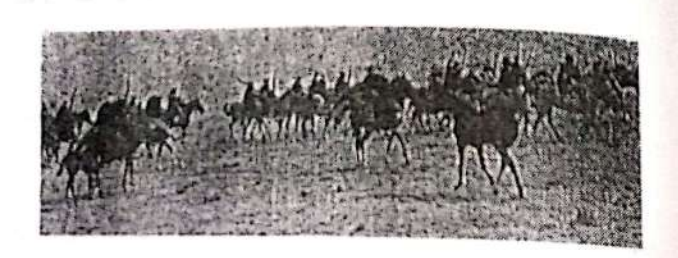
لم تهدأ فرنسا ولم تكف عن مكائدها عبر أعوانها في الجزيرة، وذلك للضغط على المناضلين والثوار وذلك بالصاق التهم، ومنها أنه حين تم تعيين توفيق شامية محافظاً للجزيرة وحين وصول موكبه إلى موقع قبالة قرية الشيخ جميل ويقال له موقع(الدغيرات) تعرض الموكب لكمين من عناصر العملاء واختطفوه إلى مكان مجهول واتهموا الشيخ جميل ورجاله بخطف المحافظ الجديد، وذلك لخلق بلبله بين أعضاء الكتلة الوطنية بعضها ببعض لكن الشيخ جميل واجههم بحقيقة الأمر حيث قال لهم: إنني أبعد من دسائسكم المغرضة، وإن الذي خطف عطوفة المحافظ هو أنتم وجواسيسكم و عملاؤكم المغرضون. على أثرها شكلوا محكمة صورية للشيخ جميل وقاموا بعدها بهدم بيته في مدينة الحسكة. وفي هذا السياق لابد أن نذكر من رفاق النضال للشيخ جميل المسلط في الجزيرة والفرات. سعيد آغا الدقوري ومحمد الطائي ودهام الهادي وعبد الباقي نظام الدين والمطران قرياقس ورجال الدين أحمد الخزنوي بشير الحامدي وأحمد القادري وعيسى العبد الكريم العيسى وعليوي السليمان والحاج سعدون وعيسى القطنة وطاهر آغا وحسين الأسعد وسواهم من الجزيرة أما من الفرات فلابد أن نذكر من أبطال الفرات: رمضان الشلاش وحمود الحمادي ومحمد الفتيح وفرحان الفياض ومحمد الناصر ومحمد سعيد العرفي ومحمد الفراتي والشهيد طايس والشمتير رشيد وياسين العبوش وأبطال ثورة البو عمر والعنابزة والبوخابور وحمود العربيد ومحمد العايش وسواهم. وكذلك لاننسى أن نذكر كل من عبد الباقي نظام الدين والحاج عمر الداوي(أبو صالح) وعبد الكريم العيسى والحاج سعدون وزهدي حماد بك الملحم وعلي الزوبع وشيخموس هسو والمناضل السياسي سعيد إسحق وحميد السلومي وعليوي السليمان وسواهم من الرجال الذين بذلوا النفس في سبيل حرية واستقلال سوريا كاملة وغير منقوصة، إنهم بحق أصحاب الفضل الكبير علينا نحن الأجيال الناهضة، ولابد أن نذكر الفضل لأهل الفضل على مر الزمان.



جانب من اجتماعات القبائل في مضيف الشيخ: جميل المسلط مع الكتلة الوطنية



بعض من المقاتلين ضد المستعمر الفرنسي من رجال الشيخ جميل المسلط



رجالات الشيخ جميل المسلط يشهدون أوج الثورة ضد الفرنسيين ١٩٣٧



فرسان المجاهد الشيخ جميل المسلط يطاردون خيول الفرنسيين ويتقدمهم ولده الشيخ هواش ١٩٢٣

التاجر ديمتري من أبناء الحسكة يرفض اغتيال جميل المسلط:

التاجر ديمتري هو واحد من تجار الحسكة والذين غالبهم كانوا يقطنون قرية طابان(قرية الشيخ جميل)على نهر الخابور، وكانوا يعملون بالتجارة حيث كانوا يجوبون بتجارتهم على ظهر الدواب بين القرى أو ما يدعى(حواج).

وحين علمت القوات الفرنسية بعلاقة هذا التاجر بالشيخ جميل حيث أغروه بالمال على أن يغتال الشيخ جميل إلا أنه قال لهم: (أنا لأخون الخبز والملح) وكان البعض من المسيحين يتعاملون سراً مع بعض الوطنيين الشرفاء ومنهم آل حداد وآل نعمة وآل راهب وآل القس الياس وسواهم.

ومن الجدير بالذكر أن كثيرين من المسيحين الوافدين من تركية مازالت قيودهم في مديرية الأحوال المدنية بالحسكة مسجلة بقرية طابان وهي قرية الشيخ جميل المسلط.

من وجوه النضال من رفاق الشيخ جميل

وكان على رأسهم الفارس المغوار: سطام الحريث وكان لقبه الذئب الأجرد والفارس العنيد: أحمد الحسين الظاهر(أبو عفته) ومنهم أيضاً: خلوي الكندار وصلك المحيل وعيسى الجزيرات وسليم الزريف وحمود السليم وغيرهم كثر. لقد كانوا بحق رجالاً شجعاناً وفرساناً أشداء و مناضلين وطنيين شرفاء، ستذكرهم الأجيال وعلى مر الزمان ولا ننسى محمد حسين المشيح من البو مانع.

محمد الفكاك ورشيد البراك:

رشيد البراك مراسل الشيخ جميل إلى أعضاء الكتلة الوطنية في دير الزور ومنهم محمد الفتيح حمود العطا الله ومحمد العايش، وكان يكلف أيضاً بنقل المضابط وإيصالها إلى دير الزور لإيصالها إلى دمشق عبر دير الزور رحم الله محمد الفكاك لقد كان من الفرسان الشرفاء. أما رشيد البراك فكان صلة الوصل بين الوطنيين في الجزيرة والعراق جميل المدفعي وعبد الحميد الدبوني. كذلك مقابلته مع الشيخ جميل

والتوسط لدى الفرنسيين لإطلاق سراح الشيخ دهام الهادي وإعادته من المنفى في جزيرة قمران بالبحر الأحمر.

من ذاكرة بعض المناضلين:

حين يذكر النضال، لابد أن نذكر بعض الأسماء، رغم كثرتهم، ولكن ليس تقليلاً من شأن الذين لم نذكرهم، وأرجو المعذرة ممن لم أذكر اسمه، فهم كثيرون جداً، ووفق ما أسعفت الذاكرة زملاء نضالهم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: من الحريث يذكر: سطام الحريث "الذئب الأجرد" حين طارد فلولهم على طريق دير الزور وكذلك منهم: الشهيدين مربد وحمد والذي لقبه أبو فيس حيث كان يضع على رأسه قبعة حمراء وكلاهما قتلاً على يد الأتراك أحدهما يدعى المهلهل، حيث كان يزغرد لشدة فرحه بملاقاة عدوه. كذلك من الفاضل: مصلح "أخو نايله"، فهو من المناضلين الشجعان حيث أسر بعض عسكر الأتراك، واستولى على أربع بنادق منهم ومازال مضرب الأمثال في البطولة والفداء. ولا بد أن نذكر بكثير من الاعتزاز والفخر المناضل البطل: أحمد الحسين الظاهر"أبو عفته" والذي كان الساعد الأيمن للشيخ جميل المسلط حيث قاوم الفرنسيين في عدة مواقع، وغنم من الفرنسيين الأسلحة والذخائر وبعض تموين الجيش الفرنسي، والذي هو عبارة عن مصادرات مواسم الحبوب وقطعان الأغنام لتموين الجيش الفرنسي. لابد أن نذكر كذلك من رفاق نضاله: حسين وخلوي الكندار وصلك المحيل وعيسى وباقيز الجزيرات، الذين هشموا بعض المدرعات الإنكليزية بما لديهم من أسلحة غنموها من الجيش الفرنسي والإنكليزي المنتشرة على الحدود الشرقية. وكذلك لابد أن نذكر من وجوه النضال والوطنية من آل الشيخ، كل من السيد عبد المجيد وشقيقه اللذين قتلا على يد الأتراك وذلك أثناء ثورة العنابرة على الفرات حيث استشهدوا فداء للوطن على مذبح الحرية والاستقلال.



أحمد الحسين الظاهر أبو عفته من الأبطال والوطنيين الشرفاء

الميرة الفرنسية تصادر من آل الجلعوط موسم الحنطة لتموين الجيش الفرنسي

حين كان مرور الدورية الفرنسية بقيادة السزجانت "أندريه" وهي تفتش عن الحبوب في مضارب القبائل صادف مرورها قرب بيت "الجلعوط" في قرية عجاجة حيث نشبت مشادة عنيفة انتهت بمشاجرة، وحين علم الشيخ عبد الحميد الدحام بالمشاجرة حضر فوراً وطرد الدورية، وضرب رئيسها وألقى بقبعته على الأرض مما شكل إهانة للدورية الفرنسية، وعلى أثرها انصرف رئيس الدورية وهو يتهدد ويتوعد الشيخ عبد الحميد الدحام الذي أهان شرف فرنسا، وبعد أيام تم القبض على الشيخ عبد الحميد الدحام وأوقف لبضعة أيام في دار السرايا "دار الحكومة حالياً" وكانت هذه ضريبة التضحية الوطنية والغيرية العربية.

الحاج سليم الزريف

تروي ذكريات المناضلين والوطنيين الشرفاء: كان الشيخ سليم الزريف المرافق الشخصي للمناضل الشيخ جميل المسلط وللأمانة التاريخية حدثنا قائلاً:

كان الوطنيون الشرفاء يعقدون جلسات ما بين العلنية والسريعة والمضابط التوكيلية في بعض بيوت الحسكة مثل بيت آل محشوش، وحين تتكشف بعض

أمورهم ينتقلون إلى بيت آخر ومنها بيت آل عليوي السليمان وبعضها الآخر في بيت توفيق الجيسي وبعض البيوت الأخرى وأكثرها في بيت حماد بك السلطان، كما إنه من الجدير بالذكر أنه كان من أوائل المستشارين للشيخ جميل المسلط كل من جلود الصليبي وسيد علي الخليف ورشيد البراك وسيد أحمد النامس.

وكان لهم باع طويل في النضال والوطنية ضد أعداء الوطن من الفرنسيين والعملاء، ولا بد أن نذكر أنه ظهر فرسان شجعان من قبيلة الجبور وقفوا صفاً واحداً بوجه فرنسا المتغطرسة حيث قطعوا على أنفسهم إلا أن يكونوا ضد فرنسا، ولطالما قطعوا الطريق على تموين الجيش الفرنسي على الطريق الواصل ما بين الحسكة ودير الزور وغنموا الكثير من الأسلحة، ولطالما هشموا بعض المدرعات الفرنسية والإنكليزية بالبلطات وببعض الأسلحة التي غنموها منهم والبعض منها على الحدود ما بين العراق وسوريا ضد الإنكليز، وكذلك على الصعيد المحلي فقد كلف البعض منهم بتخريب بعض منشآت الجيش والسلطة الفرنسية بالحسكة ومنها العبور ليلاً عبر نهر الخابور والتسلل إلى دار الحكومة المحاذية للنهر وبجانبها السجن وإيصال الطعام إلى الدرك السوري حين تطويقهم من قبل القوات الفرنسية، وفتحوا بعض الحفر والطاقات بجدار السجن لتهريب بعض الثوار، وألقي القبض على البعض منهم وتم نفي البعض منهم إلى بيروت، أما فتح بعض الفجوات في جدار السجن فالذي فعلها سليم الزريف، أما الذي شارك بها فكان أحد المناضلين من آل النحاس وهم من الديريين القاطنين قرب السجن آنذاك.

الحاج سليم الزريف وإيصال الرسائل إلى داخل الحسكة

كان الحاج سليم الزريف المرافق الشخصي للشيخ جميل المسلط حيث كان مكلفاً بنقل الرسائل إلى بعض الشخصيات الوطنية داخل مدينة الحسكة التي كان الفرنسيون يبسطون عليها كامل نفوذهم حيث عزلوا مدينة الحسكة شمالها عن جنوبها بواسطة جسر خشبي لايعبره سوى المشاة والخيالة إلا أنهم كانوا يمنعون أهل الجنوب من رجال الشيخ جميل الدخول إلى الحسكة لجلب موادهم التموينية.

لكن الحاج سليم كان يضع الرسائل عبر أكوام الحشائش التي تعبر بها النساء جسر الحسكة، وهذه من مشاركات المرأة في الجزيرة السورية بالنضال عبر إيصال الرسائل لأعضاء الكتلة الوطنية بين بعضهم البعض حين منعتهم السلطات الفرنسية من العبور الخشبي على نهر الخابور آنذاك.

المناضل حماد بك السلطان

ذلك الشاب المثقف.. البهي القامة.. كان كالرمح الرديني.. سمهري الطباع.. حلو الشمائل.. رائع الخصال.. تعلم ودرس، فتثقّف في "استانبول" كان من مشاهير الرجال بين الجبور والقبائل الأخرى.. شغل مناصب عديدة.. من بينها:

أنه كان قائمقام أقضية عديدة في الجزيرة ودير الزور والقرنة وعانة وراوه والإحساء والقطيف، ثم تعين في الأربعينيات ممثلاً عن الجزيرة في مجلس المبعوثان" نواة البرلمان السوري". كما أنه كان واحداً من أوائل الضباط العرب أمثال: عزيز علي المصري ورمضان الشلاش وسواهم.

كما أنه كان له أكبر الأثر في عدم فصل الجزيرة عن سوريا، إضافة إلى تلك المناصب، كان من أبرز أعضاء الكتلة الوطنية في سوريا الحرة مع سعد الله الجابري وفارس الخوري وفوزي الغزي وشكري القوتلي رحم الله حماد بك السلطان لقد كان من أبرز رجال الجزيرة ومن أوائل الوطنيين الشرفاء والمناضلين الأشداء. لابد أن تذكره الأجيال وعلى مر الزمان.

المناضل الشيخ علي الزوبع

كان من أوائل المناضلين الشرفاء والذين دافعوا عن حرية الوطن الكرامة والاستقلال، حيث كان الشيخ علي الزوبع من أوائل أبناء القبائل العربية الذين تلقوا علومهم الأولى في استانبول بتركية إذ أتقن اللغة التركية إلى جانب اللغة العربية، وكان يمتاز بالذكاء والحنكة والدهاء حيث كان الشيخ جميل المسلط يستشيره في كافة الأمور الدبلوماسية والسياسية مع الفرنسيين والأتراك ومن الهام ذكره بأنه

حين قطعت تركية مياه نهر"الجغجغ"عن الجزيرة جاءه المستشار الفرنسي حين علم من عملائه وجواسيسه بأن الشيخ علي الزوبع يحظى بمكانة هامة لدى الأتراك حيث بدأوا معه بالمساومة على المنصب والجاه والمال، لكنه أبى واستنكر هذه المساومة على سلامة الوطن والمساس بحرية واستقلال وكرامة الناس في بلده، فما كان منه إلا أن ذهب إلى دمشق ودير الزور .

حيث كانت له اتصالات سريعة مع أعضاء الكتلة الوطنية، حيث أعلم بأن الفرنسيين أصدروا أمراً بإبعاد قبيلتهم قبيلة الجبور ٥٠ كم خمسين كيلو متراً إلى الجنوب والشرق من الجزيرة، إذ وقف كالطود الشامخ بوجه هذه المؤامرة الخسيسة والدنيئة من قبل فرنسا وأعوان فرنسا.

الشيخ علي الزوبع يطالب الكتلة الوطنية بإنشاء جيش وطني قوي يحقق الاستقلال لسوريا. حيث كان الشيخ علي الزوبع من أوائل الوطنيين الشرفاء إذ راحت عبارته المشهورة تتردد على كل شفة ولسان وبالحرف الواحد:

" نحن بلا جيش قوي لا نسوي قشرة بصلة ".

على أثر ذلك وبعد فترة من الزمن تم اختيار الشيخ علي الزوبع عضواً في البرلمان السوري بفترة الأربعينيات ممثلاً عن الجزيرة رحم الله الشيخ علي الزوبع، لقد كان من الدهاة الحكماء والوطنيين الشرفاء ستذكرهم الأجيال بكل فخر واعتزاز.



الوطني الجسور الشيخ علي الزوبع

لمحة من تاريخ عامودة ونضالاتها

عامودة كانت عامرة في القرن التاسع عشر حيث ذكرها العلامة محمود الألوسي في رحلته التي سماها " نشوة المدام في العودة إلى دار السلام" عام ١٢٦٧ هـ وبين أنها قرية عدد بيوتها ٧٠ منزلاً وفيها مسجد جامع، وكان إمام الجامع يدعى الملا سليمان ومازال أحفاده موجودين في عامودة يعرفون بآل الخوجة، وكان يخترقها نهر جار في الشتاء والربيع.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن يزداد العمران وعدد السكان. دخلت القوات الفرنسية عامودة في عام ١٩٢٤ وبنت ثكنة في شمالها وكانت تعرف بالقشلة ولم

يتعامل أهالي عامودة الأصلاء مع الاستعمار الفرنسي رغم أنه حاول شراء الذمم وبث الفتن وإثارة النعرات العشائرية والطائفية والعائلية، ولما عجز عن تحقيق أهدافه بتلك الوسائل لجأ لاستخدام القوة بضرب الوطنيين في عامودة وذلك في سنة ١٩٣٧ وتعرف هذه الحادثة بطوشة عامودة، قبل حادثة الطوشة أغارت عدة طائرات على القرى التالية:

بريفا وتل حبش وسنجق خليل وتل خنزير(وقره قوب) تحتاني واستشهد بعض المواطنين والحقت أضرار اقتصادية وحرق بعض المنازل، وقد فر كل أهالي عامودة إلى تركيا منطقة الحدود وقسم من الوطنيين هاجروا إلى العراق عن طريق تركيا وقسم عن طريق شمر(دهام الهادي) وهم: سعيد آغا الدقوري وعبد الهادي الدقوري وعبد الرحمن الدقوري وشكري الدقوري). والأسباب المباشرة لضرب عامودة والقرى المجاورة هي تحطيم إرادة الوطنيين ودعم أعوانهم من أجل إحكام السيطرة التامة واستمرت العمليات القتالية مدة ثلاثة أيام، أحرقت خلالها منازل كثيرة بفعل أشخاص متواطئين مع الاستعمار الفرنسي، وبعد أن أخليت عامودة من سكانها تعرضت للنهب والسلب من قبل الاستعمار وأعوانه. وقتل خلوزند بالشي وملا دادود وخليل العلي.

وقد تمكن الوطنيون في قرية بريفا القريبة من عامودة من حجز المستشار الفرنسي مدة من الزمن ثم ترك، وعلى أثر ذلك تم اعتقال مجيد شيخموس وسليمان عبدو أحمد مدة أربع سنوات في سجن القلعة بدمشق.

واشترطت حكومة الانتداب على عودة أهالي عامودة إلى المنازل بتقديم بندقية حربية من كل فرد مجاناً للحكومة الفرنسية جزاء لموقفهم المناهض لفرنسا، ولم يهادن أهالي عامودة الوطنيون الاستعمار حتى تم جلاؤه في عام ١٩٤٦.

عن مقال للأستاذ الباحث: الشيخ سليم الحسيني

ثورة عامودة يرويها المجاهد خليل دقوري

نعلم أن الاحتلال الفرنسي كان في سنة ١٩٢٠ وذلك بعد استشهاد البطل يوسف العظمة في معركة ميسلون مع مجموعة من المجاهدين وترتب على ذلك احتلال فرنسا لسوريا ودخولهم العاصمة دمشق، ومن ثم امتد الاحتلال الفرنسي إلى بقية أجزاء سوريّا حتى الجزيرة السورية(العليا) التي لم تسلم من الاحتلال وفي مدينة عامودا من أكبر مدن الجزيرة في ذلك الوقت تنبه السكان إلى ما سيلحق بهم من ذلة إذا تم للمستعمر الفرنسي ذلك، ففي سنة ١٩٢٢ تقدم الفرنسيون في محاولة منهم لترسيخ وجودهم في المدينة لكنهم ردوا على أعقابهم، وتقدموا مرة ثانية بحجة بناء مخفر للدرك السوري وافق سكان عامودا على ذلك شريطة أن يكون الدرك من السوريين حصراً وتم لسكان عامودا ذلك.

وفي العام ١٩٢٤ تم مقتل روكان الضابط الفرنسي في معركة بياندور من قبل ثلة الاشيتية وثلة من العرب من طيء كان مقتل روكان إيذاناً بهروب القوات الفرنسية من القامشلي(في ذلك الوقت إلى الحسكة أو ربما إلى دير الزور). ولما كان سكان عامودا المتمثلة بعشائر الدقورية وسواهم يشتهون الحرية شهوة ويكرهون الاحتلال بغضاً تشكلت نواة حركة وطنية بقيادة زعيم عشائر الدقورية المجاهد سعيد آغا الدقوري هذه الحركة ما لبثت أن اتصلت بزعماء الكتلة الوطنية في دمشق أمثال المجاهد القوتلي، جميل مردم وسعد الله وفخري البارودي وجرى تنسيق بين الحركة الوطنية في مدينة عامودا، وانضمت إليها عشائر الكيكية بقيادة المجاهد عيسى الرستام(عيسى القطنة) وعشائر الملية بقيادة المجاهد عيسى العبد الكريم وعشيرة التمكة بقيادة المجاهد حسين الأسعد والكتلة الوطنية في دمشق وذلك من خلال الأسفار العديدة التي قام بها المجاهد سعيد الدقوري إلى دمشق، وكان السفر في ذلك الوقت صعباً جداً لأن عيون الفرنسيين وأزلامهم كانت ترصد حركات المجاهد سعيد الدقوري أينما ذهب وحل.

عاد الاحتلال ليثبت أقدامه مرة أخرى في بلدان ومدن الجزيرة ففي نيسان

١٩٢٦ وكان شهر رمضان والناس بطبيعة الحال كانوا صائمين، شكلت فرنسا جيشاً بقيادة بعض وجهاء العشائر المجاورة يتقدمهم ثلاثمائة من رجال الحرس الفرنسي(الهجانة).

وعلى مشارف مدينة عامودا وفي مسافة بين قرى تل حبش وجولي وذو الفقار دارت رحى معركة شديدة بدأت قبل السحور بقليل، وانتهت صباحاً بهزيمة الهجانة الفرنسية مع المتعاونين معها، وقد استشهد في هذه المعركة ١٢ ثائراً من عشيرته و٦ من عائلة وأحد العملاء و٦ من أهالي عامودا بينهم عبدي حاج يونس وعلي حاج قاسم وشيخو بن سعدي وشيخو بن محمد الهتو وسليمان العيشو ومي بن حسو المحمد.

ولمزيد من المعلومات كان الثوار بقيادة سعيد الدقوري قد تنبهوا لهذا الهجوم ورصدوا حركته بعد أن أعلمتهم استطلاعاتهم وكمنوا بشكل جيد لهذا الجيش وكانت النتيجة فشل فرنسا والعشائر المتعاونة معها، بقي علينا أن نذكر أن الوحدة الوطنية كانت راسخة بشكل قوي جداً بكل مدن الجزيرة وخاصة في عامودا حيث إن العربي كان يستشهد إلى جانب أخيه الكردي، لذلك تأكد للسيد المجاهد سعيد الدقوري بأن فرنسا تنوي نية سيئة له ولأخوته، وذلك من خلال محاولة فرنسا إقناع بعض النفوس المريضة من أبناء العشائر وتم لها ذلك. رأى المجاهد سعيد الدقوري إلى نقل حركة المقاومة من عامودا إلى تل عامودا(شمالي عامودا بمسافة ٣ كم) الذي كان قد أصبح تحت الاحتلال التركي نتيجة اتفاقية(سايكس بيكو) ففي عام ١٩٢٧ انتقل الزعيم المجاهد سعيد الدقوري وأخوانه وبعض من أفراد عشيرته إلى تركيا واستمر مكوثه في تركيا أربع سنوات وخلال فترة المكوث هذه جرت معارك واستنزاف ضد الفرنسيين والمتعاونين معه مما حدا بالسلطات الفرنسية أن تطلب من تركيا، إبعاد الزعيم المجاهد وأخوانه مسافة ١٠٠ كم عن الحدود ووافقت تركيا على ذلك وأبعدت الثوار إلى قرى من أعمال ديار بكر إلى نهر دجلة.

ولأن تأثير المجاهد سعيد الدقوري كان كبيراً جداً على السكان في عامودا

وقراها وعلى جميع العشائر في الجزيرة بعثت فرنسا مندوبين عنها إلى الزعيم سعيد لمحاولة إقناعه بالقدوم إلى سوريا، وعودة كافة السلطات السابقة إلى الزعيم سعيد الدقوري، وتم ذلك بعد أن أصدرت فرنسا عفواً عاماً عنه وعن أفراد أسرته وعشيرته. عند ذلك وفي العام ١٩٣١ عاد المجاهد سعيد الدقوري وأخوانه وبعض من أفراد عشيرته إلى مقره في مدينة عامودا، وفي هذه الأثناء كانت فرنسا تسعى جاهدة مع عملائها لإقامة شبه دويلة في منطقة الجزيرة فكانت تحرض عملاءها ومسيحيين(من تركيا بتجهيز معظم المسيحيين في تركيا إلى الجزيرة في سوريا) وتقنعهم بضرورة فصل الجزيرة عن سوريا وذلك حتى العام ١٩٣٦ ولما كان المجاهد سعيد الدقوري على دراية تامة بما يخبئه المستعمر الفرنسي من نوايا لذلك رفض وبشكل قوي هذا العرض من المغريات الكثيرة التي كانت تقدم له. وسافر سعيد الدقوري في العام ١٩٣٦ إلى دمشق وقدم عرضاً كاملاً عما تقوم به فرنسا وأعوانها في منطقة الجزيرة، وباركت الكتلة الوطنية موقف زعيم الثورة بعد قدومه من دمشق إلى عاموده زاره في منزله ضابطان فرنسيان مع مترجم اسمه(جاك شملة) عرضا عليه رغبة القيادة الفرنسية في انضمام سعيد الدقوري إلى موقف فرنسا وأعوانها لكنه رفض عرض القيادة الفرنسية قائلاً إني رجل سوري ووطني فكان رد الضابطين الفرنسيين إن سعيد رجل شقي وسوف ترى في الأيام القادمة ما سيحدث لك وفي العام ١٩٣٧ سافر الزعيم سعيد الدقوري برفقة الحاج شيخموس يونس الحسو وسليمان حاج السعدون إلى دمشق لشراء سيارات جديدة من نوع(فورد) موديل ١٩٣٧ وأثناء عودتهم ووصولهم إلى دير الزور أخذوا قسطاً من الراحة، إلا أنهم أعلموا من قبل الأهالي في دير الزور بأن عامودا تغلي، وهناك فتنة أشعلها المستعمر الفرنسي ثورة في تلك الأثناء كانت فرنسا قد تمكنت من زرع الشقاق والفرقة بين أبناء البلد الواحد وذلك خلال وتر حساس في مدينة عامودا" كان في تلك الفترة ترجمان يدعى"ملكوف" اتفق هذا الأخير مع بعض المسيحيين الذين باعوا أنفسهم للفرنسي بأنني أي ملكوف سأذهب إلى حارة الإسلام، وعند وصولي

هناك ستطلقون بعض العيارات النارية، وفي هذه الحالة سيشاع بأن المسيحيين قتلوا الإسلام، وهكذا سيبدأ الصراع وستدخل فرنسا لنجدة المتواطئين معهم بحجة الدفاع عنهم، ومن ثم يتم القبض على زعيم الثورة السيد سعيد آغا الدقوري ويقتل هو ومن معه ". نرجع إلى دير الزور ولنتعرف كيف وصل سعيد ورفاقه إلى عامودا. لم يسيروا في الطريق الرئيسي بل ساروا في طريق صحراوي من دير الزور إلى الخابور، وتم عبورهم من معبر أم الدبس بمساعدة بعض الأخوة من العشائر العربية حتى أن وصلوا إلى قرية الجوهرية غربي عامودا بـ ٤ كم ومن قرية الجوهرية تمكنوا من الوصول إلى عامودا وعندما تساءل عن سبب حدوث هذه الثورة علم من مقربين بأن فرنسا هي التي أشعلت نار الفتنة بعد أن أوعزت لعملائها بالبطش مما أدى إلى ضحايا كثر. عندئذ تذكر سعيد الدقوري للحاق بالضابطين الفرنسيين الذين توعداه بالانتقام وفي الثامن والعشرين من تموز عام ١٩٣٧ بدأت المعركة في مدينة عامودا بين الحي المدعوم بالقوات الفرنسية والعملاء والحي الوطني، وذلك بعمليات قنص أحياناً وقتال شوارع أحياناً أخرى، إلى أن تمكن الثوار من الوطنيين من دحر الفرنسيين وعملائهم وفي اليوم الثاني من المعركة بدأت الطائرات الفرنسية هجومها على قرى الدقورية فقصفت قرية تل حبش، وبلغ عدد القتلى ٣٢ اثنين وثلاثين شخصاً استشهدوا في تلك الغارة، وقصفت الطائرات أيضاً قرية قره قوب واستشهد مختار القرية البطل محمود هدو وقصفت الطائرات قرية تل خنزير وديكية وقرى عديدة أخرى كثيرة، وفي اليوم الثالث قصفت الطائرات مدينة عامودا وكانت الخسائر المادية والبشرية كبيرة جداً استشهد من الثوار وعائلاتهم مالا يقل عن مائة وخمسين فرداً، أما الأضرار المادية فكانت كثيرة حيث دمرت أغلب مباني عامودا وأصبحت أنقاضاً(سميت طوشه عامودا) ورغم الدفاع المستميت لأهالي عامودا إلا أنهم لم يستطيعوا أن يصمدوا في وجه القنابل والطائرات والمدرعات لأن البنادق والشجاعة لم تجدِ نفعاً أمام القوة الخارقة.

التجأ أهالي عامودا ومن بينهم سعيد آغا الدقوري إلى تركيا إلا أن الأتراك

وبحيلة قبيحة قالوا:

إنهم يسمحوا لهم باللجوء شريطة تسليم كافة الأسلحة التي لديهم، وعندما تم تسليم الأسلحة للأتراك فكروا بما قالوا سابقاً ولم يسمحوا لهم قط بدخول الأراضي التركية عندئذ فكر سعيد الدقوري وأخوانه بأنه لا مجال لهم في سوريا، وأن فرنسا لا تطلب سوى سعيد الدقوري، لذلك قرر الانطلاق إلى العراق هو وجميع أهله وذلك في سيارتين.

لم تتنبه سوريا أول الأمر عندما رفضت قبول سعيد آغا وأهله ورفاقه كلاجئين إلى تركيا وأعادت إلى الأذهان أن تركيا لم توافق على قبول سعيد الدقوري ورفاقه إلى تركيا، وذلك بعد أن علمت تركيا بوجود الثائر محمد جميل باشا، وبذلك تتخلص فرنسا من سعيد الدقوري وتتخلص تركيا من محمد جميل باشا إلا أن سعيد بمقدرته الفائقة في التنبؤ علم أن تركيا تريد استبداله بمحمد جميل باشا، وقال لن ألجأ إلى تركيا بل إلى العراق وبذلك التجأ إلى العراق هو وأفراد أسرته وإخوانه وبعض من عشيرته(قلة) وذلك في الخامس من آب ١٩٣٧

ودامت فترة مكوثهم في العراق فترة خمس سنوات قاسوا فيها الفقر والهوان ليعود سعيد الدقوري في سنة ١٩٤٢ إلى الوطن عزيزاً مكرماً، وذلك بعد توسط أفراد عشائر الدقورية في كل من الجزيرة ودمشق بزعامة آل شمدين آغا الدقوري وليتم انتخاب السيد سعيد آغا الدقوري ممثلاً عن الجزيرة في البرلمان في خريف دورة ١٩٤٣ النيابية.هذه المعلومات منقولة حرفياً عن المجاهد خليل دقوري شقيق المجاهد سعيد آغا الدقوري.

من سيرة الوطنيين الشرفاء في الجزيرة السورية المناضل والمجاهد: سعيد آغا الدقوري.



المجاهد: سعيد آغا الدقوري من أوائل المناضلين الوطنيين الشرفاء

الوقوف ضد تقسيم وفصل الجزيرة عن سوريا

من أبرز المناضلين الشرفاء والمجاهدين الشجعان والوطنيين النبلاء في الجزيرة السورية.

كان سعيد آغا الدقوري رحمه الله لايخشى في الله لومة لائم. انتسب إلى الكتلة الوطنية في الأربعينات وكان عضواً مهما فيها حيث امتاز بالسياسة والحنكة والدهاء. وكثيراً ما حاولت فرنسا وطغمتها العميلة استمالتها له بالجاه والمنصب والسلاح والأموال لكنه كان الطود الأشم الشامخ ما لانت ولا وهنت له عزيمة حتى ولت فرنسا الأدبار إلى غير رجعة.

سيرة النضال:

حاولت فرنسا بكل دسائسها المغرضة الرخيصة والدنيئة غرس بذور الشر والفتنة بين الوطنيين بعضهم البعض والعملاء الآخرين وذلك باتباعها سياسة (فرق تسد) علماً بأن العلاقات والوشائج والروابط تربط هؤلاء بعضهم ببعض عبر التاريخ حيث المودة والمحبة والنسب والمصاهرة أنهم كالجسد الواحد.

النضال ضد الأتراك:

في فترة الحكم التركي كانت الخلافات على أشدها بين الأتراك والعرب ضد تركيا التي أرهقت الناس بالضرائب والتعسف والجهل والفقر والمرض، فما كان من أولئك إلا أن توحدوا للخلاص من المستعمر التركي بأي شكل كان وبنتيجة هذه المصادمات المسلحة قتل من أسرة المناضل سعيد آغا الدقوري كل من خليل آغا وفرحان وهما في ريعان الشباب. إنها ضريبة التضحية ضريبة الروح الوطنية العارمة.

كان المجاهد سعيد آغا الدقوري يحب سوريا حباً شديداً لا حدود له، لذلك وقف وقفة الرجولة والعز والكرامة من مؤامرة خسيسة ودنيئة تبغي فصل الجزيرة عن سوريا لكنهم خسروا وخاب فألهم هم وأعوانهم من العملاء والمتخاذلين. وضرب الوطنيون أروع الأمثلة في الغيرية والتضحية والبطولة والفداء والروح الوطنية الشريفة والصادقة في سبيل أن تبقى سوريا حرة أبية والجزيرة ابنتها المعطاء الوفية حفاظاً على روح المودة الأخوية والوطنية.

قصة التجاء المناضل سعيد آغا الدقوري إلى العراق:

لقد كان لأعمال المجاهد سعيد آغا الدقوري ورفاقه من الوطنيين الأحرار أكبر الأثر في التأثير على القوات الفرنسية في مناطق عامودا والدرباسية ورأس العين والجزيرة عموماً فأغضب ذلك القوات الفرنسية وحاولوا قتله مراراً كما حاولوا إغراءه بالمال والمنصب والجاه، لكنه لم يرضخ لهم وبقي مضرب الأمثال في الروح الوطنية الكفاحية هو وبقية القبائل الأخرى.

حيث حكم عليه بالإعدام وصودرت ممتلكاته وأعطيت للمتعاونين معهم من الأعوان والمتخاذلين. فأودع السجن هو وخليل وعبد الهادي وبدرخان من أقاربه الذين يمتازون بالروح الكفاحية العالية.

وبعدها قاموا بأعمال بطولية أخرى فازداد غضب فرنسا عليهم أكثر فأكثر فجندت عملاءها وحاولت القضاء عليهم، لكنهم التجأوا إلى قبيلة طيء وشمر بالهول والخاتونية دخلوا الحدود العراقية حيث بقوا أعواماً هناك نتيجة للمطاردات الفرنسية والمضايقات الشديدة التي تعرضوا لها، فعاودوا الكرة وعاد خفية إلى وطنه الأم الجزيرة في سوريا.

ونظم قواته على شكل ميليشيات رغم أن أسلحتهم بدائية، يستخدمون الخيول في مواجهة القوات الفرنسية والسلاح الأبيض وهكذا دوخوا فرنسا بمهاجمتهم المتكررة على مراكز تموين الجيش الفرنسي والتي هي من قوت عيالهم بالذات حيث سنين المحل والجفاف والغلاء وأرهقوا المواطنين بالجباية والضرائب والتعسف والبطش والإرهاب.

قصف عاموده وقراها بالطيران الفرنسي

وهكذا شعرت فرنسا بالخطر عليها وعلى قواتها من هجمات الثوار في كافة المواقع وأصبح هناك تنسيق بين كافة القوى الوطنية فتعاون المناضل سعيد آغا الدقوري ورفاقه وقبائل الملية كافة والقبائل الأخرى متمثلة بالشيخ جميل المسلط ودهام الهادي ومحمد الطائي وعيسى آغا العبد الكريم زعيم الملية والحاج سعدون وطاهر حسو وغيرهم من المناضلين الشرفاء. أمثال خليل بلالو من رجال سعيد آغا.على أثر هذه الهجمات قامت فرنسا بقصف عاموده وقراها مثل الأهرام وتل حبش وقزنبوك وغيرها من القرى التي يلتجيء إليها المناضلون والثوار. وكذلك قرية السنجق حيث قتل: خلو زيند باتشي وجرح ملا داود خليل العلي.

جزیره قائممقاملغنه بقی جزیره عشیرتی رئیسی محمد سلطان بکه

[illegible] فارسو محاربه [illegible] ولفاره وصداقته [illegible]

دین و دولته و غیرته کوکسنه [illegible] عشیره سی [illegible] امانه و [illegible] عثمانی [illegible]

[illegible] حکومت عثمانیه [illegible] تحسین [illegible] وطن [illegible] استحلاص

[illegible] عثمانیه [illegible] اعدای دین [illegible] تلطیف [illegible]

ایدی [illegible] غیرت و [illegible] صداقت [illegible]

عالم اسلامی [illegible] محافظه [illegible] اعدای [illegible]

غیرت [illegible] الحق [illegible] موفقیته [illegible]

الجزیره [illegible] ۱۳۴۲ شوال [illegible]

[illegible]

دائرة حاكم الموصل السياسي

عدد ١١٤/ ٥

تاريخ ٧ / تموز ٩٢٤

لحضرة محمد سلطان بك [illegible] السابق

اخذنا كتابكم خطاباً الى الحاكم [illegible] تعترضون على القاء البومبات على قريتكم [illegible]
نحن ليس لنا خبر عن وقوع كذا مسألة ولا [illegible] بعين النظر في ذلك ولو كنتم تعرفونا اسماء [illegible] لسهل الامر

ثم تذكرون في كتابكم انكم تعملون [illegible] باسم الحكومة فليس جلي لدينا الى اي حكومة تنسبون اذا تقصدكم الحكومة السلطانية [illegible] فالواضح اذ ليس لكم وظيفة رسمية عندها لان كانت قد عزلتكم من قائممقامية الجزيرة انكم لا تقدرون ان تعترضوا باسمها واذا تقصدكم شكل الحكومة الغير المشروعة التي قد نصبها مصطفى كمال نظراً الى البيان السلطاني ازاء شرذمة عصاة والفتوى المعطاة ضدها من قبل شيخ الاسلام لا يمكننا ان نستمع اعتراضات

اما طرقكم ومساعيكم مع الـ[illegible] فهي معلومة عندنا جيداً وذلك خاصة من المكاتيب التي استلموها حديثاً الى العشائر النازحة [illegible] تشجعتم عشائر الميران والطيان والكوبان والشرنخ وغيرها بنشاط على تكديس الصفوف [illegible]

ان الحكومة لا يمكنها ان تبقى [illegible] واذا تداومون على تهييج العشاير لا نتوقف في مراجعة رؤساء العسكرية ان يجروا اللازم بواسطة الطيارات او غيرها ضد العشائر المجرمة او الموقع الذي منه ينبعث الفساد ودمتم

حاكم الموصل السياسي
الكولونل نولدر
/ / ١١

من رجالات الوطنية في عاموده:

إضافة لما ذكر من صور لنضال رجالات عامودا وما حولها ماذكره فقيه السادة الحسنيين الشيخ إبراهيم القادري نجل الشيخ ظاهر(شيخ عامودا) م ١٩٥٦ ـ رحمهما الله ـ للسيد محافظ الحسكة الأستاذ حسين حسون عام ١٩٨٥ أثناء زيارته لسماحة الشيخ لتقديم العزاء بوفاة حفيده بعامودا.

ذكر للسيد المحافظ وصحبه: ما قاسى المواطنون والوطنيون في الجزيرة وعاموده أيام الاحتلال الفرنسي، وجهودهم المضنية في تحقيق الوحدة الوطنية وترسيخ التآخي بين الجميع ضد النعرات الطائفية وتسعيرها من قبل الفرنسيين كما ذكر صوراً من النضال الذي جابهوا به الفرنسيين، منها أنه هو وسماحة الشيخ محمد القادري بن الشيخ أحمد القادري الوطني الشهير بالأخضر. كانا يقومان بحماية الدرك الوطني في كل من عامودة وقرية جاغر بازار(حطين) من اعتداءات الفرنسيين وهما يحملان البنادق المتوفرة آنذاك لرد العدوان الغاشم.

من نضالات الدرباسية

حدثني السيد محمد الشلال: "أبو بهجت" من أبناء الدرباسية وكان شاهد عيان على إحداث عاصفة مرت على عامودا تلك البلدة الهادئة الوادعة حيث كانت السلطات الفرنسية قد بنت فيها موقعاً عسكرياً كان يدعى آنذاك بالقشلة ما بين الوادي ومكتب الحبوب حالياً حيث كان هذا الموقع العسكري يحوي على عدد من العساكر الفرنسيين والمرتزقة ومن بينهم الرقيب قاسم من حوران. وكان معروفاً ببطشه وظلمه على أبناء المنطقة حيث كان منتهى الطاعة لأسياده من الفرنسيين وكان من أسماء بعض الفرنسيين : بيير دير الزور وبيير فرانسوا وهذا الأخير كان يجيد العربية ويتابع السيد محمد الشلال أبو بهجت أن والده رجب الشلال قد لاقى من التعذيب الشيء الكثير حيث كان جزاء الوطنيين الشرفاء أن تضعهم السلطات الفرنسية في براميل تحت لهيب الشمس الحارقة التي كانت تشوي أجسادهم بها

وعلى رأسهم كان الوجه الوطني المعروف فرحان آغا العيسى وهو من وجهاء منطقة الدرباسية، كذلك يروي السيد محمد الشلال إن زوجة فرحان آغا العيسى كانت من أوائل النساء اللواتي كن يتحدين السلطات الفرنسية وذلك برفع العلم السوري فوق بيتها ولطالما أخذتها السلطات الفرنسية عنوة للتحقيق"والاستجواب وكانت تجابههم بالعناد والروح الوطنية العارمة.

ويتابع السيد محمد الشلال حديث ذكريات النضال والوطنية قائلاً: كان بيت الملا قردو:"أمير ذيب". من أشهر بيوت النضال الوطنية في الدرباسية وكذلك بيت أبو ملول من بيوت النضال والوطنية المعروفة بالدرباسية ولطالما لاقى هذان المناضلان الوطنيان شتى أنواع المضايقات من قبل السلطات الفرنسية وما يروى أن أحدهما كان يضع فوق داره أنبوب مدفأة بوري أشبه بسبطانة المدفع فقامت دورية فرنسية بمعاقبته ورفع هذا البوري الذي كان يزعجهم وجوده باتجاه ثكنته العسكرية ولطالما يرفعان العلم السوري فوق بيتيهما عنوة ضد الفرنسيين وعملائهم.

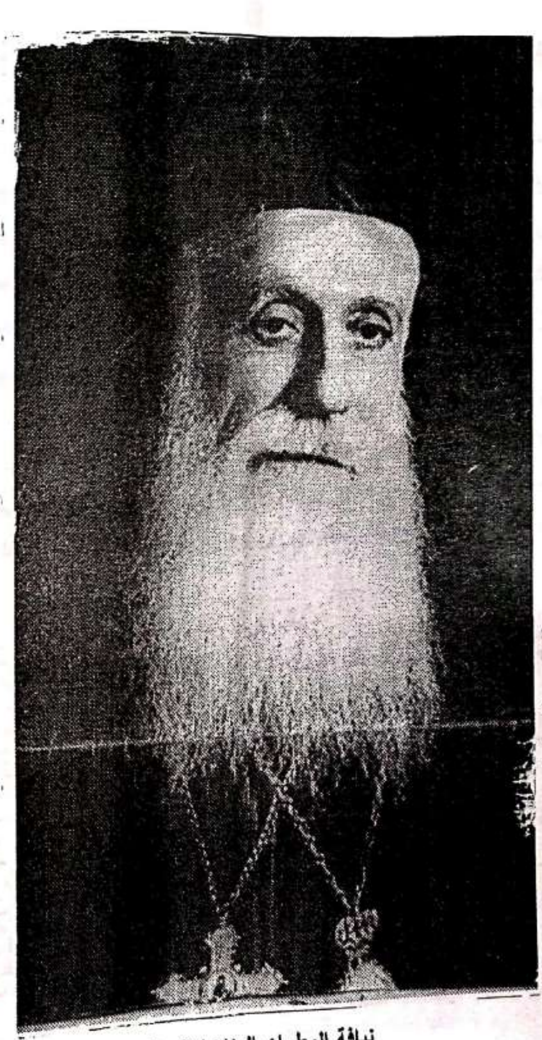
ولابد أن نذكر من رجال النضال من الدرباسية:

شيخو الناصر حيث فرضت فرنسا عليه ٣٦ بندقية وذلك بسبب مواقفه الوطنية الجسورة حيث سجن بسجن دير الزور ثم إلى السويداء بالأعمال الشاقة.

وكذلك المناضل الوطني مجيد عبد القادر أبو ملول مشهور له بالنضال والوطنية بوجه فرنسا.

رحم الله المجاهد سعيد آغا الدقوري. حقاً كان من أوائل الوطنيين الشرفاء والمجاهدين الأشداء، لقد كان مضرب الأمثال في البطولة والشجاعة والتضحية مدافعاً عن قدسية وكرامة الجزيرة السورية كاملة غير منقوصة لقد حسبت له فرنسا ألف حساب ولا بد للأجيال أن تذكره للأبد.

قسم من المعلومات الهامة مأخوذة من المعمر: أحمد محمد سعيد وهو من الوطنيين الشرفاء.



نيافة المطران المناضل(قرياقس)



الوحدة الوطنية: المطران قرياقس والشيخ محمد القادري والشيخ بشير الحامدي والشيخ أحمد الخزنوي والمجاهد طاهر حسو



محافظ الحسكة رفعت زريق يقلد المطران المناضل قرياقس(مطران الجزيرة والحسكة والفرات) وسام الاستحقاق السوري تقديراً لنضاله وخدماته.

وكل الناس هنا يثنون عليه دائماً وأبداً لما له من أياد بيضاء بعزيمة شماء وهمة عالية تطاول الجوزاء في مواصلة الجهاد المشرف في خدمة الجميع ولسان حاله يقول: سأعمل حتى آخر قطرة من زيت في القنديل.

وأينما توجهت تقع عينك على من يذكر خدماته الجليلة وتسمع أذنك الثناء والعرفان له. وكثيراً ما وقف هذا المناضل في وجه سياسة(فرق تسد) وحافظ على الوحدة الوطنية بين القبائل بعضها ببعض وبين الطوائف بعضها ببعض إلا أنه وقف كالطود الشامخ عملاقاً في وجه الدسائس والفتن التي كان يحيكها المستعمر حتى ولت فرنسا إلى غير رجعة حيث عادت إلى سوريا أصالتها واستقلالها بفضل أولئك الرجال الميامين لذلك كان نيافته أول من صلى في الجامع مشاركاً المسلمين مباهج عيد المولد النبوي الشريف، وأشرك بقية الطوائف في هذه البادرة الطيبة،

وأول من دعا رجال الدين الإسلامي لحضور صلوات الأعياد في كنائس المسيحيين وبذلك كان له قصب السبق وأعطى مثل الراعي الصالح مما منحه محبة الناس أجمعين.

ومن أهم أعماله النضالية: أنه أوعز لكل المتطوعين في الجيش الفرنسي الغازي بأن يعودوا إلى وطنهم الأم سوريا العزيزة.

كذلك دعا لجمع الصفوف والمشاركة في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وممن شاركوا فيها آنذاك كثر من أبناء الحسكة ومنهم حبصونو وسواهم.

وقوفه في وجه النعرات الطائفية بكل حزم وقوة وصلابة. لقد كان بحق البطل المجاهد والمناضل الروحاني الكبير والراعي الصالح ولنا في خلفه خير السلف همةً وعلماً وتواضعاً وباعاً طويلاً في التماسك والثبات على خطى أولئك الأفذاذ ليبقى صرح الوحدة الوطنية أمتن بناء وأقوى عزيمة وإلى الأبد.

ولا ننسى الأب: كلو شابو والذي فتح باب السجن بالقامشلي ضارباً أروع الأمثلة في الروح الوطنية والبطولة النادرة.

وكذلك الخوري ملكي من منطقة الملكية أيضاً فقد كان شجاعاً يمتاز بروح وطنية عالية. ونذكر أيضاً وللأمانة التاريخية شمعون لحدو والذي كان محكوماً عليه بالإعدام من تركيا لأنه كان يهوى الحرية ويعشق الاستقلال.

في رثاء المطران المناضل قرياقس "مطران الجزيرة والفرات"

علامة الشرق هل ترقى لــك الخطب ... وهــل لغــيرك تحنــو هامـــة الأدب

يأتــاج حــب علــى الأوطــان علمنــا ... إن القداســة فــي أجوائــها الغضــب

وقد غضبت علــى مــن دنســوا بلــداً ... عشقته وعلى مــن أرضنــا اغتصبــوا

كــم قــد ســموت بتقديــس ومكرمـــة ... وفطنــة ذات شــمس ليــس تحتجــب

مــهما تســامت إلــى عليــاك مادحـــة ... فليــس ترقــى إلــى أفراحنــا رتــب



الضابط الشهيد مختار الأتاسي



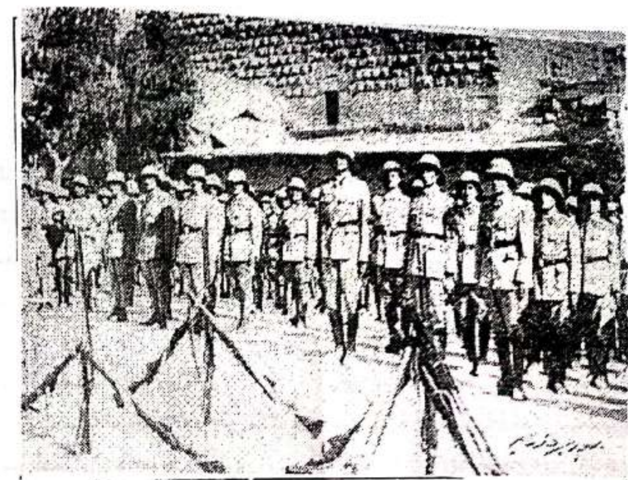
الشهيد الضابط محمد نوري بن دامة

من مذكرة النضال ضد الفرنسيين:

فلقد أكد لي السيد حسين عمرو عضو مجلس الشعب السابق بالحسكة بأن الذين قتلوا الكابتن جريناس في السفح من أعمال منطقة رأس العين هم من آل حاسه من الشاشان، على أثرها عاث الفرنسيون فساداً في تلك القرية ويقال بأنهم أحرقوا منهم شخصاً ثأراً للكابتن جريناس. ونفوا الكثير من أبناء القرية وكذلك أكد لي بأن الشيخ بشير الحامدي والشيخ أحمد القادري والشيخ أحمد الخزنوي قد تصدوا للنضال فكانوا بحق من الوطنيين الأوائل الشرفاء ومن الذين استشهدوا في فترة النضال بناحية عامودا، ولابد أن نذكر بكل الفخر والاعتزاز الشهداء الذين قضوا نحبهم من جراء القصف الوحشي الذي تعرضت له عامودا وقراها ومنهم: ملا فخري سليمان رشو أحمد وزوجته وحسن شندي بنل حبش وعلي حسن خوجة وشيخ نوري وخلف قركجي بقرية قره قوب، وكذلك محمود حج محمد مختار قرية شولي وعمر ججو من قرية تل خنزير وحاج عيدي شمدين. وهذه البطولات إن دلت على شيء فإنما تدل على التلاحم الوطني والنضالي والحرص على وحدة سوريا عامة والجزيرة خاصة. والأمثلة على ذلك التلاحم الوطني كثيرة وكثيرة منها موقعة بياندور والتي شاركت فيها القوى الوطنية من القبائل الوطنية والشريفية المخلصة. ومن الجدير بالذكر أنه بمنطقة القامشلي بقرية هيمو كان طاهر التزه من وجهاء الوطنية كذلك حسين الأسعد وفي نفس الفترة تم حرق بيت طاهر محمود لنضاله الوطني الجسور.

ومن المهم ذكره أن المستشار الفرنسي بالحسكة قام بقتل المناضل طوخو.

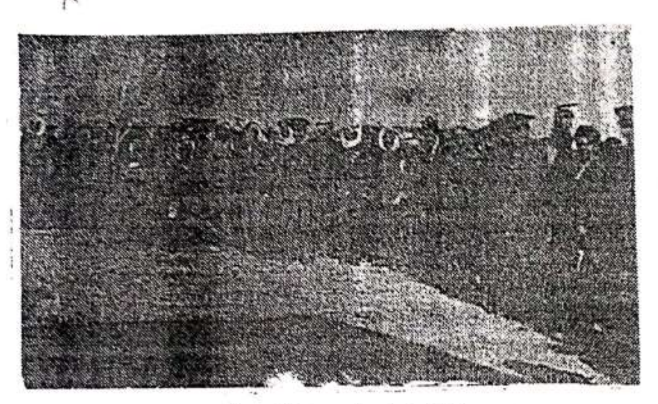
أما على صعيد الدبلوماسية الفرنسية فقد لعبت لعبة قذرة حين حاولت فصل الجزيرة عن سوريا فكانت توحي لأعضاء الكتلة البارزين حيث تنفرد بكل واحد منهم على حدة وتزين له فصل الجزيرة، وأنها سوف تعينه هو بالذات أميراً على الجزيرة من أمثال سعيد آغا الدقوري وجميل المسلط ودهام الهادي ولكنهم كانوا كالطود الشامخ صفاً واحداً وقلباً واحداً.



سوريا تبدأ بتشكيل جيش وطني سوري

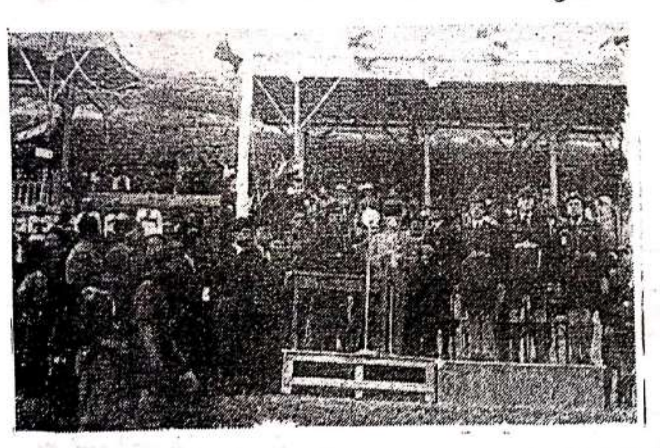


فريق من الدرك السوري يستعد لخوض معركة ضد فرنسا



عدد من أبطال الجلاء في مدينة الحسكة عام ١٩٤٥

الجنود الوطنيون والثوار وأبناء الشعب الذين قاتلوا الفرنسيين حتى تحقق النصر



تشكيل فرق القمصان الحديدية في سوريا بعد معاهدة الاستقلال سنة ١٩٣٦

معركة بياندور:

فماذا عن معركة بياندور. وماذا عن بطولة محافظة الجزيرة..؟؟!!

معركة بياندور جرت في قرية يقال لها/بياندور/ شرق مدينة القامشلي تبعد عنها حوالي عشرين كيلو متراً. وفي شهر تموز ١٩٢٣ استقرت في المخفر القائم على تل بياندور، قوة من الجيش الفرنسي بقيادة الملازمين/روبرتو/ و/كارير/ ثم لحقت بها مفرزة الملازم/موريل/ إلى مخفر بياندور خلال شهر تموز ١٩٢٣ بينما قاد اليوطنان/روغان/ نصف كتيبة الهجانه، وبرفقته روبرتو كارير، متوجهين نحو جزيرة ابن عمر متعقباً الثوار، أما النصف الآخر فقد ظل في بياندور بقيادة الملازم موريل، وقد تعرض المواطنون إلى الذل والإهانات من الفرنسيين المحتلين والعملاء الخونة، وكان اليوطنان روغان يحتقر الأهالي ويستبد بهم. فكان يأمر بحفر الأرض حفراً عديدة بعمق نصف قامة الإنسان. ثم يزرع فيها المواطنين ويردم عليهم التراب. إضافة إلى ظلم العملاء الخونة، وقد كانت ملاحقة اليوطنان روغان وروبرتوا كارير للثوار داخل الأراضي التركية وابتعادهم عن مخفر بياندور فرصة جيدة للقبائل العربية والوطنية الشريفة للثورة على بقية القوات الفرنسية المتمركزة في ثكنة بياندور.

إشعال الثورة:

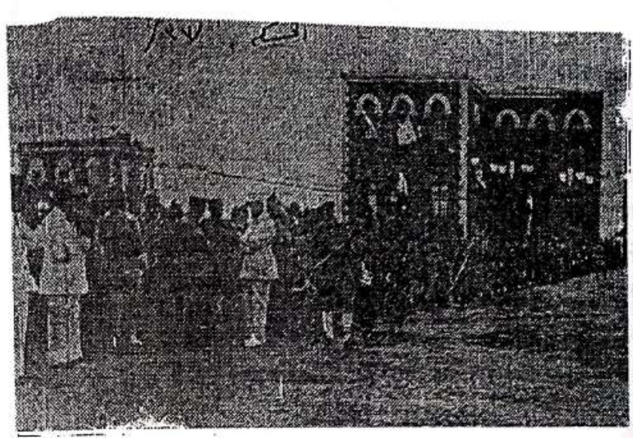
وفي ٢٨ تموز ١٩٢٣ قام الثوار بحملة مسلحة تضم حوالي ألف مقاتل من القبائل الوطنية الشريفة فأحاطوا بمخفر بياندور، وتوالت الهجمات طوال ذلك النهار والليلة التالية، ونهار ٢٩ تموز، تم تسلل أحد الثوار إلى القائمقام العميل المسمى محمد صالح فطعنه، فنقله الفرنسيون بطائرة خاصة إلى حلب، إلا أن هذا العميل قد مات في الطريق ونكل الفرنسيون ببعض المواطنين واستشهد تحت التعذيب اثنان هما عيسى محمد، وخليل علي، وبعد عودة نصف الكتيبة بقيادة روغان ومن معه بعد إنهاء البحث عن الثوار، علم روغان وروبرتو وكارير أن ثكنة بياندور قد أحرقها الثوار، وأن الثوار شددوا عليه الحصار وقطعوا عليها مناهل الماء. عند

ذلك حاولوا أن يفكوا الحصار عن رفاقهم، فقاموا بحركة التفاف حول الثوار من الخلف، فاشتبكوا معهم وقد تزايد عددهم إلى ثلاثة آلاف مقاتل وقاتل الثوار قتال الأبطال، كبدوا الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح والمعدات فقد تمكنوا من قتل الطاغية المستبد روغان والملازم كارير والسرجان آدم وروبرتو والسرجان براما وقتلوا أكثر من ثمانين جندياً وخمسة عشر من الهجانة، وجرحوا منهم ثلاثمائة، كما غنم الثوار من الفرنسيين الإبل والأسلحة الخفيفة، والثقيلة ولم تستطع القوات الفرنسية المتمركزة في منطقة الرد تقديم النجدات للفرنسيين المندحرين في معركة بياندور. لذلك استنجدوا بقوات من موقع دير الزور حيث كانت الحسكة وقتها تابعة إدارياً إلى دير الزور أيضاً واستنجدوا أيضاً بقوات من موقع رأس العين.

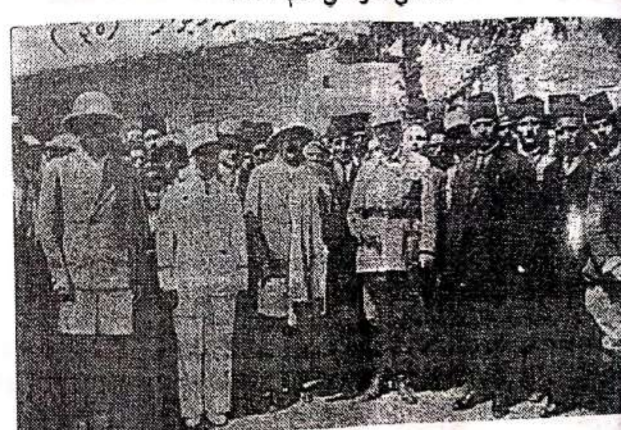
مصرع ظالم آخر:

ولم يكن اليوطنان روغان هو الطاغية المستبد في تاريخ الاحتلال الفرنسي كما عرفه أبناء الجزيرة فحسب، وإنما كان الكابتن جريناس هو الآخر رمزاً للظلم، إلا أن نهايته لم تكن بأفضل من سلفه، وعلى يد الأبطال الذين قتلوا أسلافه. فقبل أن يأفل نجمه عام ١٩٣٦ بستة أيام أو سبعة تعرض الكابتن جريناس وأفراد دوريته لأحد المواطنين الذي كان يقيم في بلدة رأس العين، وسأل الكابتن هذا المواطن عن سبب حمله البارود والمسدس فأجابه المواطن عن السبب. فأهانه الكابتن وانتزع منه البارود وما كان من هذا المواطن وابن أخته الفتى الذي كان يرافقه إلا أن أطلقا النار على الكابتن جريناس الذي لقي مصرعه في الحال، وعلى بقية أفراد الدورية الذين لاذوا بالفرار، ففي ذلك الوقت أقامت السلطات الفرنسية للكابتن المقتول نصباً تذكارياً بين رأس العين والسفح في احتفال مهيب. وهذه لمحة عن بطولة جماهير شعبنا في الجزيرة وأبنائها الشجعان في أيامهم المشرفة من تاريخ الجزيرة النضالي ضد الاستعمار الفرنسي.

عن مقال للأستاذ: حسين العساف.



القوات الفرنسية أما دار الحكومة بالحسكة وكانت المناسبة استقبال المفوض السامي الفرنسي عام ١٩٣٧



صورة تذكارية للكونت دي مارتيل مندوب المفوض السامي الفرنسي في سوريا مع محافظ الجزيرة آنذاك السيد نسيب الأيوبي في منطقة عين ديوار التي زارها في محاولة لتهدئة الثوار والتفاوض معهم

وهذه البطولة إلى جانب بطولة جماهير شعبنا في مدن وقرى وجبال وسواحل هذا القطر هي التي مزقت ظلام الاحتلام وصنعت فجر الاستقلال.

ولابد أن نذكر من رجال الكتلة الوطنيين الذين نفوا إلى الجزيرة وشاركوا في التلاحم النضالي والوطني عبر وحدة وطنية شاملة ومنهم: سعد الله الجابري وفوزي الخوري والدكتور الشهبندر وجميل مردم.

ومن أسماء الذين نفوا من السويداء إلى الحسكة ومنهم: برجس الحمود وحسني صخر وعلي الأطرش ويوسف الأطرش وعلي عبيد وذلك عام ١٩٢٣، وقد ذكر الدكتور المؤرخ: إحسان هندي بأن عدد قتلى بياندور هو ٦٠ قتيلاً وذلك في كتابه: "كفاح الشعب العربي".

ومن الجدير بأنه كان من بين شهداء بياندور السيد. عبد الأحد يوسف الملقب بـ علي الجرو أو القرد.

أبطال موقعة بياندور وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبد الرحمن الطائي وسلومي الحميد شيخ الجوالة

وعباس المصفج وحميد السلومي وعويد الهزاع الحسين وعايد النزال وسليمان العباس وآل يوسف والراشد والبوعاصي وآل الغنام. ومحمد عباس المصطفح.

في صيف عام ١٩٢٣ ألقت القوات الفرنسية القبض على المناضلين الوطنيين الشرفاء حيث لاقوا شتى صنوف العذاب والقسوة لكنها كانت تبحث عن رؤوس النضال والوطنية أمثال عباس المصطفج وحاج سليمان العباس أحد وجهاء ومشايخ عشيرة الشيتيه والشيخ حميد السلومي وعويد الهزاع الحسين وعايد النزال وآل الغنام من وجهاء ومشايخ عشيرة الجوالة والغنامة الطائية.

وبعد أن حاكمت القوات الفرنسية من ألقت القبض عليهم محاكمات صورية، تم التحقيق مع هاتين الشخصيتين في ثكنة بياندور، فلم يعترفا على رفاقهم من أعضاء الكتلة الوطنية آنذاك، وكذلك لم يعترفا بسيادة فرنسا على سوريا، وبالتالي على الجزيرة التي هي جزء لا يتجزأ من سوريا، وهكذا تم القضاء، فاستشهد البطل:

عباس المصطفج بين أيديهم وسلموا جثته إلى عمه الحاج سليمان العباس ولم يكتفوا بهذا، بل ألقوا القبض عليه ثم طالبوا عشيرته الشيتيه بفدية تقدر ٣٠٠ ليرة ذهبية و١٢ رأساً من الخيول العربية الأصيلة، وقام هؤلاء بدفع هذه الدية بمؤازرة جيرانهم من العشائر الطائية المجاورة، كل ذلك كان بفضل التعاون والاتحاد أمام عدو مشترك لايرحم.

وإثر ذلك أفرج عن المناضل سليمان العباس، ولكن بعد أن فقد ابن شقيقه الشهيد عباس المصطفج حيث إن طريقة قتله كانت بشعة للغاية، إذ إنهم كانوا قد هشموا جمجمته بالضرب حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ثم لفوه بعباءته وسلموا جثته لعمه الحاج سليمان وتم دفنه على هيئته كما يدفن الشهداء، وهذه الحقيقة رواها بعض الجنود السنغاليين الذين استسلموا للمجاهدين بعد موقعة بياندور وبعد مقتل الكابتن روغان.

من الجدير بالذكر أنه لولا تكاتف الجهود ورص الصفوف ما بين القبائل الموجودة قرب بياندور لم يتحقق هذا النصر العظيم على يد أولئك الأبطال العظماء.

سلومي بن حميد من أبرز وجوه النضال الوطني في الجزيرة السورية

والحق يقال فإن سلومي بن حميد هو من أوائل رجال النضال البارزين في الجزيرة السورية حيث يمثل الوجاهة والقيادة في قبيلة الجوالة.

اقتاده الأتراك.أسيراً إلى تركيا بسبب رفضه جمع الضرائب والأتاوات من قبيلته وإعطائها لعسكر الأتراك، حيث نفي إلى القفقاس لبضع سنوات وبعد خروج العثمانيين عاد سلومي إلى وطنه الأم لكنه كان أكثر إصراراً وعناداً على مجابهة المستعمر الفرنسي الجديد. فعاد من جديد إلى مقارعتهم، حيث ألقي القبض عليه وأودع في السجن الفرنسي بالحسكة ثم نقل إلى دير الزور حيث حدثنا الشيخ عيسى السليمان العيسى أو عبد الكريم من وجهاء البقارة بأنه كان زميلاً له في السجن للمواقف الوطنية المشرفة المشتركة ثم بعد ذلك أبعد إلى دير الزور حيث كان بضيافة المناضل محمد العايش هناك.

الأعمال البطولية للمناضل: سلومي بن حميد

أثناء موقعة بياندور، يشهد له الجميع بأنه كان أول من لبى نداء الوطن فتقدم على رأس فرسان قبيلته الشرفاء، حيث كان الفرنسيون قد استولوا على المياه ليمنعوا الأهالي من الاقتراب منها، وذلك على مقربة من نهر الجراح، وتدريجياً بدأ يتوسع نطاق المعركة بين القوات الفرنسية وقوات القبائل المحيطة ببياندور" الشيتية والجوالة والطائية "حتى ضيقت الخناق عليهم فتفرقوا وكان انتصاراً ساحقاً على القوات الفرنسية.

ولابد أن نذكر بأن هناك علاقات مصاهرة ووشائج قربى ما بين الشيتية والجوالة، حيث إن عباس السليمان من وجهاء قبيلة الشيتية قد تزوج من الجوالة وحين مقتل عباس السليمان على يد الفرنسيين ثأر سلومي بن حميد له، وكانت موقعة مشهورة سطر فيها الشيتية والجوالة موقعة نضالية هامة ومشرفة مازالت تتذكرها الأجيال وعلى مر الزمان، وهانحن ندونها وللأمانة التاريخية دلالة على التلاحم المصيري بين أبناء الوطن الواحد والذين تربطهم روابط مصيرية، ولكي لاتنساها الأجيال ضمن وحدة وطنية وتلاحم مصيري وإلى الأبد.

أبرز وجوه النضال في منطقة القامشلي

حين يذكر النضال وتذكر القداسة الوطنية فلا بد من القول إن موقعة حامية بياندور تأتي في المقدمة، وبرز فيها نضال الشيتية حيث تحدثنا عنهم في صفحات هذا الكتاب، وهناك موقعة متممة خارج إطار الحامية الفرنسية الآنفة الذكر، وتندرج تحت اسم بياندور أيضاً ألا وهي التطويق والالتفاف على القوة الفرنسية التي غادرت حامية بياندور باتجاه جزيرة ابن عمر بحثا عن الثوار حيث كانت القبائل الأخرى من شيتية وجوالة وطائية وشمر وغنامة وغيرها من القبائل المحيطة بالقامشلي والمالكية.

فلا بد أن نذكر من وجوه النضال الأوائل سلومي بن حميد قائد الجوالة، ثم من القبيلة الطائية وفي المقدمة منهم الشيخ محمد عبد الرحمن الطائي والشيخ عبد

الرزاق النايف والشيخ عبد الرزاق الحسو ومن الغنامة محمد الغنام فهو أيضاً عايد النزال وجدوع الجزعة وصوفي مطوري وسواهم من المناضلين الشرفاء.

شهداء الطماسة ومنبحة ناصران

لابد من ذكر جماعة الطماسة بشيء من الفخر والاعتزاز هم من الجوالة حيث كان بينهم وبين أقاربهم من الجوالة بعض من سوء التفاهم فاستقروا قرب الحدود العراقية إلا أنه حين دعا داعي الجهاد في سبيل الوطن دعاهم الشيخ حميد بن سلومي فلبوا النداء، وحين شاهدتهم الطائرات الفرنسية قصفتهم دون رحمة، فسقط منهم ثلاثة شهداء في سبيل حرية الوطن واستقلاله وهم مطر من البوحبيب وخليف ومحمد الحرو.

كيف يقتل الفرنسيون المناضلين

حين طوق فرسان القبائل الحامية الفرنسية وفلول قواتهم المندحرة أمام هجمات الثوار كان الجنود الفرنسيون يرفعون راية الاستسلام، لكنه باقتراب المناضلين منهم طالبين منهم رفع الأيدي كانوا يتظاهرون بأنهم طعنوا وقد تمددوا على الأرض، وباقتراب المناضلين أكثر يتبين لهم خدعة الجنود الفرنسيين إذ يباغتونهم بالضغط على الزناد، وهكذا قتل العديد من الوطنيين والمناضلين الشرفاء، لكن هذه الحيلة انعكست سلباً على الجنود الفرنسيين فيما بعد، إذ أدى سلوكهم هذا إلى القضاء على العديد من جرحاهم، وذلك بسبب طريقتهم المخادعة هذه.

نضالات منطقة القامشلي

١ ـ تعرضت منطقة القامشلي في الجزيرة والتي كانت تعرف باسم منطقة طي والآشيتية كبقية مناطق سوريا للاحتلال الفرنسي، والذي أسس فيها قاعدة عسكرية في قرية بياندور، وكان قائد هذه القاعدة والمسؤول عنها الاستعمار الفرنسي هو الكابتن روكان والذي يعرف بأخلاقه السيئة وحبه إذلال الناس فقد استدعى سليمان العباس شيخ من شيوخ الآشيتية وطلب منه طلبات تسيء لسمعته وسمعة عشيرته

حيث رفض سليمان طلب روكان ورد عليه الضابط الفرنسي رداً قاسياً أثار غضبه مما جعله يقرر إعدامه ونفذ فيه حكمه فأعدمه في قريته الدوكر أعمال القحطانية، ثم طلب روكان من شيخ طي الشيخ محمد العبد الرحمن أبو فارس أن يؤيده على جريمته هذه، لكن الشيخ أبو فارس رفض هذا الطلب وناصب القائد الفرنسي العداء ووقف بجانب سليمان العباس، مما أدى إلى قيام فرنسا بنفي الشيخ أبو فارس إلى إحدى الجزر التابعة لها في المحيط الهادي بعدها رحل القائد الفرنسي بعساكره متجهاً إلى منطقة الجلة "المالكية" والتي كانت تعرف باسم منطقة آليان وشمر ليستطلع تلك المنطقة ويتعرف عليها ويبني فيها معسكرات في قرية باب الحديد، ثم أسس مطاراً لطائرته وثكنة مدفعية جنوب قرية باب الحديد وحالياً هي قرية الشمام، وفعلاً أثناء غياب القائد الفرنسي قام حاجو وجمع ما لديه من رجال وهجم على القاعدة الفرنسية في بياندور، واغتنم ما فيها وكان من جملة المشاركين في هذا الهجوم المرحوم عبد الله الحامدي أبو غربي والذي عاد بغنائم كثيرة حيث ترك حاجو المنطقة وفر إلى جبال تركيا ومن جراء ما حدث أعدم سليمان العباس ونفي شيخ طي محمد العبد الحمن وتدمير القاعدة في بياندور تولدت لدى سكان المنطقة وهم الجوالة في القحطانية. فكرة وهي تدمير الجيش الفرنسي وقتل قائده وهذه الفكرة كانت إلى آل حميد والجوالة. وتم تحديد زمان ومكان لقاء العدو في الجهة الشرقية من القحطانية كذلك سمع بنبأ تدمير القاعدة في بياندور الشيخ متقال العواصي فقرروا الهجوم على القائد الفرنسي أثناء عودته من الدجلة، وجمع حوله ما يقارب من مئات الرجال فسأله والده العاصي لماذا جمعت الرجال أجابه أريد قتل هذا الخنزير، فقال والده أنت لا تستطيع قتله لأن الرجال الذين حولك ليسوا من أبناء عمومتك ولا يصمدون أمام طلقة واحدة لكن الذين سيبدأون هم الجوالة.

"أخوة الحيزة " إلا أن متقال لم يسمع كلام والده لرجولته وشجاعته ولن يرضى على نفسه أن يقف مكتوف الأيدي أمام الفرنسيين الذين كانوا قادمين من عين ديوار وصمم أخذ رجاله ليقطع الطريق على جيش روكان وانتظرهم في الجهة الغربية لقرية

الشبك أعمال الجوادية، ولما عاد روكان كان يرافقه جيشه قام متقال بإطلاق النار على الجيش الفرنسي إلا أن رجاله الذين كانوا معه فر قسم منهم ومن الذين بقي مع متقال لمحاربة الفرنسيين هو ومطلق الدندل وتابع القائد الفرنسي وجنده السير بخطى حثيثة باتجاه القاعدة حيث كان هذا الجيش مؤلفاً من الكثير من المرتزقة الأفارقة وبعض السكان المحليين.

٢ ـ كانت عناصر الاستطلاع من الجوالة ينتظرون قدوم الجيش الفرنسي، وعندما شاهدوه أسرعوا إلى بيت الحميد يخبرون عن قدومه فاجتمعوا ودار بينهم نقاش ومشاورة حول كيفية مواجهة العدو وكيف يتغلبون عليه وخاصة أنه يمتلك قوة سلاح كبيرة فكيف يواجهونه في البر أم يتركونه حتى يصل النهر.

٣ ـ ولكن فكرة النهر كانت مرفوضة لأنه إذا وصل النهر احتمى فيه ولا يستطيعون الوصول إليه. ثم رأى بعض الرجال وهم عبد الله المطوري وحمزة الجمعة أن التأخير ليس لصالحهم ونادیا بأعلى صوتهما ياالله ويا بخت حميد وركضا جرياً باتجاه العدو وتبعه بعض الرجال مشاة حتى وصلوا إلى شرق محطة المحروقات الشرقية وتبعهم الخيالة مسرعين. وعندما شاهد العدو الهجوم تمترسوا في مرتفع أرضي(خربة) تقع قرب المضخة الألمانية الموجودة الآن على بئر نفط رقم ١١٢ وبدأ يرمي على الرجال من الرشاشات بكثافة نارية كبيرة وبشكل مفاجىء انقسم الخيالة إلى قسمين أحدهما اتجه إلى الجنوب وآخر إلى الشمال فأصبحت منطقة رمي العدو واسعة واستمر الهجوم من الخيالة والمشاة حتى وصلت الخيل من الجهتين إلى القرب من مرابط العدو وأطبقوا عليه فقتلت فرس جمو الحميد وقطع اللجام مع الرسن لفرس صايل المطوري، وكان أول الناس وصولاً إلى الضابط الفرنسي من الخيالة دهيم الحميد ثم تتالى وصول الخيالة.

قتل القائد الفرنسي وعدد من عساكره وتم اغتنام ما لديهم من أسلحة وعتاد وركائب(ذلول وجمال) وكانت الغنائم من نصيب الخيالة، فعلى سبيل المثال تمكن صالح المياح من أخذ ذلول الكابتن الفرنسي روكان المعروفة باسم الزحيمة،

وصايل المطوري الذي اغتنم بعيراً وذلولاً إلى بقية المقاتلين الجوالة الذين حصلوا على الغنائم المتبقية، وبقيت جثة القائد الفرنسي في تلك الخربة في العراء ومع الجثة كانت هناك جثة فرس غير أصيلة وقد استشهد في المعركة من الجوالة ـ طعمة الكرو ـ غثيث الصالح ـ عباس الهنو ـ مطر الحبيب ـ خليف الدندل ـ محمد الحبرو من المريشات ـ محمد العنتر من الراشد: ومن السكان المحليين في صفوف القوات الفرنسية بعض الأكراد إلا أنهم في المعركة أخذتهم النخوة وانقلبوا على الجنود الفرنسيين يقتلونهم، وكان من المعروفين في ذلك رجل معروف يدعى ابن عموكة، وبعد نجاح هذه المعركة والنصر الساحق عاد الرجال إلى ديارهم مزهوين بالنصر ورحلوا بركابهم متجهين نحو الشمال تحسباً من نجدة فرنسية حيث قامت بعد أيام الطائرات الفرنسية بقصف منازل الجوالة وقتلت عدداً كبيراً من مواشي محيلة الكنهو وعبو الورو اشترك في هذه المعركة من الجوالة وبقيادة الحميد وهم: البو حبيب ـ وجماعة عنزي الهبهب ـ والمخلفان ـ والطماسة والبسابسة والبوصلمة والحسين واشترك من العيدان محسن القسو وعايد النزال وغيرهم من العيدان المعروفين بشجاعتهم والمهابيل بقيادة حبش النزال وأيضاً البو رمثة بزعامة جمو الرسم المعروف بشجاعته، والذي كان ينتظر قدوم القائد الفرنسي روكان في قرية الدريجية.

وعلى أثر ذلك تم سجن سلومي الحميد في سجن الحسكة ثم نقل إلى سجن دير الزور ومعه سلومي الحمودي من وجهاء فخذ البو حبيب. وعند وصول نبأ المعركة وقتل القائد الفرنسي إلى حاكم الحسكة أرسل برقية إلى المندوب الفرنسي بدمشق يخبره فيها بما جرى في الجزيرة من معارك وهزيمة الجيش الفرنسي فيها ومقتل القائد الفرنسي(قائد الحامية) ثم يروي الشيخ محمد العبد الرحمن الذي نفي من قبل فرنسا أنه حمل من بيروت على زورق واتجه به إلى جهة لا يعرفها، وبعد سير الزورق مدة يوم لحق بهم زورق آخر بسرعة متناهية واعترض طريقهم وأوقفه. يقول: فأخذوني من الزورق الأول إلى الزورق الثاني، وعادوا بي إلى بيروت،

ونفوني إلى دمشق، وأدخلوني على المندوب الفرنسي، وقال لي تذهب إلى عشيرتك في الجزيرة وتهدىء من ثورتها فهي قامت بقتل الجيش الفرنسي هناك مع قائده انتقاماً لك. فيقول الشيخ ما إن سمعت هذا الكلام حتى قمت من مكاني بدون وعي مني وضربت بيدي على طاولة المندوب الفرنسي منتخياً(المعن) وكان حاضراً هذا الموقف مَحجم بن مهيد فرد قائلاً لشيخ طي ونعم المعن) ثم قال المندوب الفرنسي ماسم عشيرتك فأجابه(طي) قال له لابل ما عشائر طي فعدها الشيخ له حتى وصل إلى اسم الجوالة فقال المندوب نعم هذه هي التي فعلت ذلك فرد عليه الشيخ هذا ظني بهم. ولما وصل الشيخ محمد إلى المنطقة قادماً من المنفى بدأت تتوافد عليه العشائر لتقدم له التهاني بالعودة ومن بينها عشيرة الجوالة حيث عند وصول وفد الجوالة خرج يستقبلهم حافي القدمين وهو معروف بعرجته وهم يعرضون حوله الغنائم التي حصلوا عليها من أسلحة وابل وبعد هذا العرض الجميل جلس الجميع في بيت الشيخ وهم يملأون المكان بالحداء والقصيد والأهازيج والهوسات يتبادلون التهاني ويتذاكرون هذه المفخرة العظيمة قام السيد عبد الله المطوري الدكو وألقى قصيدة شعرية شعبية يمدح فيها شيخ طيء والحميد والجوالة مع العلم أنه تم أسر خمسة عشر من المرتزقة المنضمين في جيش روكان وتم سوقهم إلى بيت الحميد.

شهداء الجوالة في معركة روكان بالقحطانية

مطر الحبيب، غثيث الصالح، طعمة الكرو، عباس الهلو، محمد الحرو، محمد الحرو، محمد العنتر، رجل الرسم، خليف علي الدندل.

الوطنيون الذين اشتركوا في معركة روكان

سلومي الحميد، دهيم الحميد وجمو الحميد، صوفي صوفي، خلف المطوري، حمزة الجمعة، عتري الهبهب، دهيم المخلفكان، جدوع الجزعة عايد النزال محسن القسو، صالح المياح، علي الرجب، أحمد الحسين الحسين، خلف الكحيط، عبد الله الحمادي، حبش النزال، ضحوي مشيعل الدندل، جمو الرسم، علي الكعود.

بعض التفصيلات عن موقعة بياندور:

ـ موقع قرية بياندور، بين القامشلي والقحطانية على الطريق العام الزاوية الشرقية الشمالية من القطر، عدد سكانها يقارب ٩٠٠ نسمة يعمل معظمهم بالزراعة.

ـ دخول الفرنسيين القرية في ٣ أيار عام ١٩٢٢ بعد تأسيس مخفر فرنسي في القرية وكان يتبع المخفر قائمقام وقاضٍ ومركز للتوقيف في الشهر الثاني عشر من عام ١٩٢٢.

ـ كان في القرية دار سكن عائدة للمدعو عبد الله شاهين مؤلفة من خمسين غرفة ذات طابقين في صدر التلة بالقرية وبعد اتصال المذكور بالفرنسيين في نصيبين، حضر قائد فرنسي إلى القرية واستطلع الأمر وفعلاً أسس لهم حامية فرنسية في القرية.

ـ من عناصر المخفر عبد الله صقر ـ حسين قيججلي ـ القائمقام كان يدعى جاسم أفندي أو سالم نوح.

ـ نتيجة الاتصالات بين وجهاء المنطقة وحاجو آغا، قرروا التخلص من الفرنسيين، أرسل حاجو آغا أربعة رجال يزيدية ليلاً وكان القائمقام والعناصر في سهرة بأرض الدار فأطلقوا عليه الرصاص وأردوه جريحاً ثم توفي على أثر الجراح بعد نقله إلى مشفى دير الزور.

ـ أمد القائد الفرنسي في دير الزور الحامية بعناصر أغلبهم كان من منطقة دير الزور بقيادة الكابتن"روغان"الذي كان شديد الحقد والكراهية لأهل المنطقة، استخدم أسلوب البطش بالأهالي وألقى القبض على بعض وجهاء القرية والمنطقة ومنهم يوسف حسو مختار قرية بياندور وأحمد اليوسف مختار السيحة الكبيرة وسلومي بن حميد شيخ الجوالة والشيخ عبد الرزاق نايف الطائي شيخ قبيلة طيء وعبد الرزاق الحسو بغية معرفة قاتل القائمقام.

ـ ثم حفر حفراً في الأرض وزرع فيها عدداً من أهالي القرية وضربهم بالعصي حتى الموت ومنهم عبدو أحمي، خلف يادي، حسن مادو، خليل أحمي،

سليمان عباس وتمت ملاحقة حسين محمد طحلو ولكنه تمكن من التواري عن الأنظار.

ـ ذهب روغان إلى منطقة فش خابور لجلب بعض الآشوريين لتسكينهم بالحسكة، وفي الليل قام الثوار من أهالي القرية بثقب جدار التكنة التي كانوا يسكنون فيها ورشوها بمادة الكاز وأشعلوا النار فيها فاحترق عدد كبير من الجنود الفرنسيين مع أمتعتهم وسلاحهم، وفر من تمكن من الفرار والذين قاموا بهذا العمل الجبار هم: حج طاهر طحلو ومحمد حبوس من أهالي قرية بياندور، عندها قام أحد العناصر الفرنسيين برش الثوار برشاش أوتوماتيك وقتل حينها المدعو يوسف حاجي وجرح حسو وخليل عبدو أحمي وحمورش وزوجته، والطبيب العربي الموجود في القرية، حيث بقي بعض العناصر في غرفة الكابتن روغان في أعلى التلة محاصرين لمدة ثلاثة أيام بلا ماء ولا غذاء وتمكنوا من الفرار منتهزين ظلام الليل للهروب من القرية.

عاد الكابتن روغان من منطقة فش خابور وعند وصوله إلى منطقة خربة قبطلان شرق القحطانية كان الثوار قد تجمعوا في النهر الواقع بالقرب من المنطقة شرقاً وكان يلاحقهم عشائر المنطقة من الشيتية والجوالة(اتفاق بين الثوار من أهالي بياندور والعشائر المجاورة لها) بتوقيت زمني واحد وعندما رأى روغان الناس أمامه وخلفه استغرب وسأل مرافقيه ما هذا ؟

وكان من بينهم "سلو" من أهالي قرية حلوة الشيخ فقال إن أهالي المنطقة افتقدوك وجاءوا لاستقبالك، ولكنه بذكائه ودهائه عرف أنها الثورة فطلب المنظار ونظر إلى القرية بياندور فلم يرَ أثراً للتكنة فتأكد من أنها الثورة في وجهه، فأمر جنوده الذين كانو يمتطون الجمال بإطلاق الرصاص والرشاش الأوتوماتيك الذي كان برفقته، لكنه كان قد أصبح بين نارين، الثوار من الأمام والعناصر المرافقة له من الخلف، عندها أمر قواد الثورة بإطلاق النار والهجوم عليهم وتمكنوا من قتله، ولكن الجنود الفرنسيين كانوا أذكياء إذ كانوا يطالبون برفع أيديهم والتسليم، فكانوا يرفعون أياديهم مع بنادقهم وعندما يطالبون بإنزال البندقية يطلقون النار على الثوار أثناء

إنزالها، حيث فوهتها باتجاه الأمام، وقتل على أثر ذلك أربعة عشر شخصاً من الجوالة وعندها أمر قواد الثورة بإطلاق الرصاص وقتل كل الفرنسيين حتى استسلموا وألقوا السلاح أرضاً، كان ذلك في الأيام الخمس الأولى من شهر حزيران لعام ١٩٢٣، وبعد ذلك جاءت طائرة هليوكوبتر إلى المنطقة المذكورة وحملت جثة الكابتن "روغان" وعادت إلى سماء قرية بياندور، حيث أفرغت شحنتها على أهالي القرية وتابعت مسيرتها إلى منطقة دير الزور، وكان ذلك آخر أيام الثورة التي كانت امتداداً للثورات العربية التي قامت في الوطن ضد الاستعمار الفرنسي، وقد أبى الشعب الذل والضيم والهوان وأبى أن تدنس الأرض العربية في أقصى الشمال الشرقي من القطر بالاستعمار الفرنسي.(علماً بأنه لم يعرف قاتل روغان بشكل مؤكد) ومنهم من يقول كان اسمه على البطي وآخرون يقولون كان اسمه: عباس عموكة وعلى الأغلب قتله أحد رجال الجوالة.



بعض الوجوه الوطنية من آل عليوي السليمان

/ أراء عن موقعة "بياندور" :

نتيجة الاتصالات بين وجهاء المنطقة وحاجو آغا وقرروا التخلص من الفرنسيين. يذكر أن والي البوطان(جزيرة ابن عمر) وكان ذا عاطفة إسلامية وكان يرسل حاجو ليجمع له الأتاوات فأرسل من ماردين وديار بكر وإلى ماردين في طلب حاجوّ، وأبلغه بأنه سيمده بالمال والسلاح على أن يذهب إلى سوريا ويقتل الجنرال الفرنسي روغان وفعلاً نزل حاجو إلى سوريا ونزل في بيت محمد العباس المصطفج، إلا أن حاجو كان شجاعاً وذكياً وبنفس الوقت فقد استطاع أن يكسب رضى الأخرين بنفس الوقت لقد استطاع مساعدة العشائر ضد الفرنسيين بعد معركة بياندور، حيث بعد أن عقدت العشائر العزم على مهاجمة قيادة روغان وحرقها على أن تتوجه كل عشيرة من موقع تمركزها باتجاه الموقع وفي ساعة الصفر زحف كل من موقعه حيث كان حاجو مع رجاله متمركزاً في تل الشعير، وكانت الجوالة من طيء أول فرقة حضرت ودخلت ميدان المعركة في بياندور وهي تلة أقام فيها روغان قصر قيادته حيث كانت التلة تقع غرب القحطانية، أي شرق مدينة القامشلي، إنه تل كبير وعال يتربع على موقع حربي واستراتيجي فهو من ناحية متاخم للحدود السورية، ومن ناحية متوسط القبائل الكردية الطائية والشمرية و"أهل القرية بالذات".

فطوق رجال العشائر تل بياندور، وعندما أحس رجال روغان بأنهم مهاجمون من قبل العشائر ألقوا بعض القنابل وفر جنود روغان تحت زوابع الغبار ومعهم الأشوريون من السلطات الإنكليزية وإسكانهم في سوريا، وعندما كان عائداً علم الشيخ الشمري متقال العواصي بما حصل في بياندور فلاحق روغان ومن معه من الجنود وطارده إلى أن أدخله ديار قبيلة طي، وعندما وصل روغان إلى مرتفع من الأرض بين بلدة القحطانية ومحطة قطار القحطانية حالياً ولما سمع من عساكره الفارين ما حدث لهم طلب من عساكره التوقف وراح يراقب مقر قيادته بالمنظار وأمر من معه وجيشه بالتوقف في المكان، وراحت القوى العشائرية تزحف نحو

روغان وجيشه والعشائر بأسلحتهم البدائية، وكان رجال العشيرة الجوالة في الصفوف الأولى ومنهم المرحوم عايد النوال وجدوع الجزعة وبادي جمعية وعبد الحمادي ومطير العظمي وغضوي بن حنه وأدهم الحميد ومعهم خمسة من عشيرة الراشد وهاجم ستة عشر طائياً استشهد منهم ١٤ وجرح الخامس عشر أما السادس عشر دخل إلى حيث روغان سالماً وبدأت المعركة بالسلاح الأبيض وتم أسر ٢٢ من جيش روغان وقتل روغان ومترجمه الآشوري ومستشاره اليهودي واستولى الثوار على ثلاث جثث:

١ ـ جثة الجنرال روغان.

٢ ـ جثة مستشاره.

٣ ـ جثة مترجمه.

أما الأسرى الـ ٢٢ والعرب فقد تم تسليمهم للشيخ محمد عبد الرحمن الطائي.

أما عن الذي قتل روغان فللأمانة التاريخية هناك روايتان فالرواية العربية تقول:

إن الذي قتل روغان هو أحمد إبراهيم الخليل الكعود(أخو بكره).

والرواية الأخرى تقول: بأن الذي قتل روغان(هو عباس عموكي) من عشيرة الحاج سليمان في قرية حلوة.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار في هذه الثورة وكل الثورات التي قامت ضد الاستعمار الفرنسي والاسرائيلي وغيرهم في سبيل خلاص الأمة العربية من الظلم والاضطهاد والاستغلال.

عن مقال للأستاذ: محمد شريف محمد

ملاحظة: أخذت هذه المعلومات من عدد كبير من الرجال ومن مناطق مختلفة ومن الذين عاصروا الثورة.

١٩٩٧/٣/٢٦

من المواقف المشرفة لقبيلة شمر وللشيخ دهام الهادي:

في عام ١٩٤١ تم إلقاء القبض على شيخ شمر دهام الهادي من قبل السلطات الفرنسية وسلموه لحلفائهم الإنكليز.

ونفي على أثرها لمدة أربع سنوات إلى جزيرة قمران في البحر الأحمر قرب مدينة الحديدة باليمن، وكان بسبب عدم إطاعته وقبوله لشروط الفرنسيين، ورفضه لفكرة تجزئة سوريا واقتطاع الجزيرة منها.

وفي نفس العام ١٩٤١ من شهر شباط تم اعتقال أبناء عمومته: المرحوم الشيخ مثلول العواصي والشيخ المرحوم باشا متعب العواصي ومعهم مجموعة من رجال شمر حيث لجأ المستعمر الفرنسي معهم إلى أساليب الترغيب والترهيب في محاولة لفرض الشروط التالية:

١ ــ الاعتراف بالوجود الشرعي للحكومة الفرنسية في منطقة الجزيرة.

٢ ــ التعهد بعدم اعترافهم بالشيخ دهام الهادي شيخاً جديداً لهم شرط أن يحظى بموافقة السلطات الفرنسية.

٣ ــ أن يتعهد الموقوفون بأن يقدموا العديد من شباب شمر لتطويعهم في الجيش الفرنسي المتواجد هناك بفرقة الهجانة "حرس البادية ".

٤ ــ أن يقدموا إعاشات من قطعان شمر ومزارعهم وذلك لتموين الجيش الفرنسي.

إلا أن الإجابة كانت النفي القاطع من الجميع، ورفضوا حتى مجرد التعهد الشفهي حرصاً منهم على سلامة أوطانهم واستقلالهم من دنس المستعمر الفرنسي المتغطرس.

عن مقال: أحمد نواف العواصي

مقتل الكابتن جريناس على يد البطل عبد المحسن حاسة من الشاشان:

حدثني محمد سعيد بن زوربك أمير لاي. قائلاً: بينما كان الناس صياماً في شهر رمضان المبارك الموافق لشهر كانون الأول عام ١٩٣٣. حيث ذهب عبد العزيز حاسة وابن شقيقه: عبد المحسن وكنيتهما(برسه) وهما من الشاشان وكانت أرضهما قرب تل تمر بقرية العريشة من أعمال السفح بمنطقة رأس العين على مقربة من ناعور على نهر الخابور، وبينما كانا على ظهري فرسيهما، وبينما هما على الطريق تعرضت لهما سيارة الكابتن جريناس وهو قادم من السفح باتجاه منطقة رأس العين، وكان بحوزتهما بندقية حربية فاستوقفهما الكابتن جريناس وكان بصحبته السائق ومرافقه، ويذكر أن الكابتن جريناس كان من طبقة النبلاء في فرنسا، أي أنه من عليه القوم وليس من الكوسيك أي من طبقة الرعاع. حيث طلب منهما الكابتن جريناس تسليم السلاح الذي بحوزتهما فأخبراه بأن البندقية مرخصة وموثقة باسمه ــ فحاول الكابتن تخليصه البندقية لكنه لم يستطع تخليصها منهما البندقية لابن شقيقه عبد المحسن وفي هذه الحال قام الكابتن بتعذيبه تعذيباً وحشياً ركلا بقدميه ولطماً بيديه حتى كاد أن يرديه قتيلاً فصاح عبد العزيز بابن شقيقه عبد المحسن. "قتلني ابن الحرام". فما كان من ابن شقيقه إلا أن ابتعد قليلاً وصوب بندقيته صوب الكابتن جريناس فأطلق عليه ثلاث عيارات نارية ــ أردت الكابتن جريناس قتيلاً على أثرها لاذ سائقه ومرافقه بالفرار فتجمهر الفلاحون من القرى المجاورة أثر سماعهما صوت إطلاق النار، وما كان من عبد العزيز وابن شقيقه عبد المحسن إلا أن لاذا بالفرار شمالاً باتجاه تركيا، وهكذا وصلت الأخبار للقوات الفرنسية وبعد ساعات حضرت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال جاكو فطوقت المكان بالمدرعات والجنود من دير الزور، حيث ساقوا الأهالي من قرى الشاشان من السفح باتجاه رأس العين، وقاموا بحرق القرى والمزارع، وحين وصول الأهالي إلى رأس العين انضم إليهم آل البزرة وعلى الفور قاموا بأعمال وحشية بالأهالي بالتعذيب والتنكيل، إضافة إلى كل هذه الأعمال والفضائح قامت السلطات

الفرنسية بطلب غرامة كبيرة من الأهالي تقدر بخمسمائة بندقية حربية وألف مشط معبأة بالرصاص وكل مابحوزتهم من الليرات الذهبية. فقامت قبيلة الجاجان بتجميع هذه الغرامات من القبائل المجاورة، وحين وصولهم إلى مضارب قبيلة الجبور قام أحدهم من الوطنيين الشرفاء والذين يمتازون بالنخوة والشهامة حيث أعطى كل بنت من بناته مقابل بندقية تعطى للشاشان، أما عن الفدية فكانت تركيا ترفض تسليم كل رجل منهم إلا بعشرة رجال، وحين أصبحوا بحوزة السلطات الفرنسية قامت بزجهم في سجن الرملة بيروت، وجرت لهما محاكمة في سياق المحاكم المختلطة حيث استنطقه المحامي بأن يعطي إفادته بأن يقول أن الذي قتله هو عمي وكان صغيراً في السن بمعنى أنه حدث ليكون بحكم جنايات الأحداث فيخفف عنه الحكم، وفعلاً تم ذلك حيث أودعا بسجن في حلب يقال له سجن اسطنبول وهو سجن عسكري. ومكثا في السجن سبعة أعوام وبعدها تم إرسالهم إلى سجن دير الزور وحين جلاء القوات الفرنسية عن دير الزور بحكم كونها من الأراضي الواقعة تحت الانتداب البريطاني. أعفت عنهما السلطات الفرنسية ثم عادا إلى قريتهم السفح برأس العين ــ وهكذا تكون البطولة وهكذا تكون التضحية، وهكذا يكون الفداء العظيم للوطن العظيم سوريا الحبيبة حرة ومستقلة بجبهتها الداخلية المتماسكة كالبنيان المرصوص وحتى يومنا هذا وإلى أبد الآبدين.

الشيخ دهام الهادي والاستعمار الفرنسي:

حين يذكر الشيخ دهام الهادي تذكر المهابة والذكاء والاتزان والوقار إنه بحق شيخ مشايخ شمر باعتراف الجميع ــ لفت الأنظار إليه في صباه حين كان الرئيس الفعلي لشمر في فترة جده العاصي. وبحكم تواجد قبائل شمر على الحدود العراقية السورية "شمر الحدود" وكان ميل الإنكليز نحو الشيخ عجيل اليارو شيخ عشائر شمر العراق أكثر من دهام الهادي. قام دهام الهادي بمنازعة الإنكليز عدة مرات وذلك عام ١٩٢٢ فقصفت الطائرات الإنكليزية مضارب شمر، إلا أن الشيخ دهاماً

لم يذعن لبطش الإنكليز حيث أسندوا مشيخة شمر العراق للشيخ عجيل اليارو. بينما هو بقي في أوج عنفوانه وشموخه فانضم إلى الكتلة الوطنية في دمشق حين أزعجه الفرنسيون بكثرة الضرائب والجباية على قطعان وأملاك شمر، مما اضطره إلى مقاومتهم فلاحقوه وعلى أثرها التجأ إلى العراق وبقي فيها زمناً ثم عاد لمواصلة النضال ضد الفرنسيين، مما اضطرهم إلى نفيه إلى جزيرة قمران في البحر الأحمر قرب اليمن، ومن الجدير بالذكر أن شمر كانت من القبائل التي تعتز بالسلاح وتشتريه لتبقى ذات شوكة ومهابة، وهكذا حسبت له فرنسا ألف حساب.

حقاً لقد كان المناضل والمجاهد الشيخ دهام الهادي من الوطنيين البارزين في الجزيرة السورية إن لم نقل في سوريا عامة فقد كان علماً من أعلام النضال والبطولة ضد الاستعمار بكافة أشكاله بدءاً بالاستعمار العثماني فالانكليزي ثم الفرنسي. والشيخ دهام مهما كتب عنه فهو من الشيوخ البارزين في سياق قبائل سوريا وعامة الوطن العربي.



الشيخ دهام الهادي

المجاهد الوطني الشريف مثقال العواصي:

كان مثقال العواصي رحمه الله من أبرز الوجوه الوطنية الشريفة في الجزيرة السورية وهذا ما شهدت به كافة القبائل العربية آنذاك وبقية الوطنيين الشرفاء لما له من أياد بيضاء في تلبية نداء الواجب الجهادي ضد القائد الفرنسي روغان حين موقعة بيانور وموقعة مقتل روغان حيث كان أول من شارك مع فرسانه من قبيلة شمر حيث قتل العديد من فرسانه وبضعة خيول بما فيها فرسه هو بالذات ـ حقاً لقد كان المجاهد مثقال العواصي واحداً من أبرز وجوه النضال الوطني المشرف في الجزيرة السورة وخاصة في القطر العربي السوري عامه رحم الله المجاهد مثقال العواصي وسيذكره التاريخ والأجيال على مر الزمان.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ دهام الهادي كان ممثلاً عن قبيلة شمر في البرلمان السوري عام ١٩٤٦ وبقي ممثلها حتى وقت غير بعيد وله صولات وجولات أعطى من خلالها المكانة والمهابة لقبيلة شمر في السياسة والحنكة والدهاء ومازال وسيبقى صيته ذائعاً عبر الأجيال.

المجاهد زهدي حماد بك السلطان:

هو نجل القائمقام حماد بك السلطان والذي تخرج من المدرسة العسكرية للضباط، حيث إن والده تعين قائمقام لعدة مناطق داخل القطر وخارجه إبان الحكم العثماني، حيث تم تعيينه قائمقاماً في مابين ماردين ونصيبين والحسكة ودير الزور وخارج القطر في القرنة والإحساء والقطيف. ثم كان عضواً في مجلس المبعوثان ممثلاً عن الجزيرة في أربعينات هذا القرن.

كذلك ولده زهدي أيضاً عسكرياً من الطراز الأول، ومن أهم الواجبات التي أوكلت إليه حين كان ضابطاً برتبة ملازم في حامية دير الزور، أوفدته الكتلة الوطنية على رأس قيادة فصيل إلى الحسكة حين ساءت الأحوال وطوقت القوات الفرنسية دار الحكومة في الحسكة وحاصرت بداخلها قوات الدرك السوري، أوفدت

الملازم زهدي حماد بك السلطان على رأس قوة عسكرية لفك الحصار داخل دار الحكومة، ومن مواقفه الجريئة والشجاعة. إنه كان لليوطنان الفرنسي في ثكنة الحسكة كلب حراسة من الكلاب المدربة حيث شكت أسر الجند الذين كانت بيوتهم قرب الثكنة الحالية أو ما يسمى حتى هذا اليوم "الحارة العسكرية" من كلب الحراسة المدلل على أطفالهم وعلى المارة، فما كان منهم إلى أن عرضوا الوضع على الملازم زهدي حماد بك السلطان قائد فصيل القوة العسكرية في الحسكة، وعرضوا الأمر على الجند فلم يتجرأ أحد على قتل كلب اليوطنان الفرنسي المدلل خشية إغضاب السلطات الفرنسية، وكما هو معلوم محبتهم كبيرة لهذا الكلب ومدى حب اليوطنان له فما كان من الملازم زهدي حماد بك السلطان إلا أن ترصد للكلب الفرنسي فأطلق عليه النار من مسدسه الحربي فقتله، وكانت فرحة أهالي الحي المذكور كبيرة حين علموا بالأمر لكن اليوطنان الفرنسي غضب أشد الغضب لمقتل كلبه المدلل إلا أن الملازم زهدي جاء إلى اليوطنان اليوكنان واعترف له بالأمر ثم انصرف من عنده وحين جمع ضباطه لدراسة الأمر علم قسم الاستخبارات في الحسكة بأن الملازم زهدي عدا كونه ملازماً عسكرياً فهو ابن قبيلة كبيرة سوف تقوم بأعمال لاتحمد عقباها على فرنسا. حيث سكت اليوطنان على مضض حيث إن هذا الكلب يساوي عند اليوطنان عدداً من العساكر الفرنسيين، وهكذا استمرت المضايقات على الملازم زهدي حتى ولت فرنسا وإلى غير رجعة.

حقاً لقد كان للمرحوم المجاهد زهدي حماد بك السلطان مواقف جرأة وشجاعة وكان على رأس الذين ينضمون للتطوع في صفوف النضال الوطني ضد الفرنسيين، كذلك كان من المحاربين القدامى الذين تطوعوا في جيش الإنقاذ في جبهات فلسطين عام ١٩٤٨ ولا ننسَ مواقفه البطولية ضد الإنكليز على الحدود الشرقية.

رحم الله المجاهد زهدي حماد بك السلطان، لقد كان من أوائل مجاهدي الجزيرة السورية وأبطالها المناضلين الشرفاء.



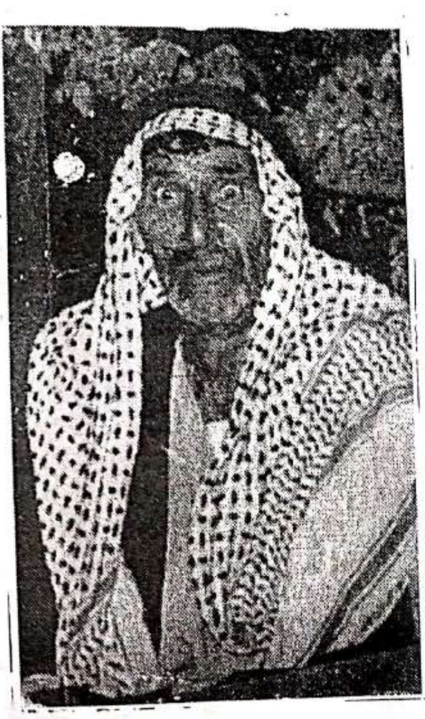
المجاهد زهدي حماد بك السلطان: والذي كان والده المناضل حماد بك السلطان من أوائل مناضلي الجزيرة ضد الفرنسيين



المجاهد زهدي حماد بك السلطان جالساً وعلى اليمين وقوفاً مصطفى الحسن العباس"عريف" وإن لبس البعض منهم لباس المستعمر فقلوبهم تنبض بحب الوطن

المجاهد الوطني عيسى آغا العبد الكريم:

كان المجاهد عيسى العبد الكريم رحمه الله من الرجال الأبطال الذين دافعوا عن استقلال الوطن، والذي امتاز بروح وطنية عالية، بل كان من مؤسسي الكتلة الوطنية لشتى أنواع الضغوط والبطش بل وقصف الفرنسيون قرى كندور وشولي وسنجق بالطائرات.



المجاهد: عيسى عبد الكريم

حاولت فرنسا في البداية استمالته وإغراءه بالمال والمنصب والجاه لكنـــه كـــان كالطود الشامخ حيث حاول بعض المغرضين والعملاء من دس بذور الفتنة والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد، إلا أنهم فوتوا الفرصة عليهم فخاب فألهم، وحـــاولوا مـــرة أخرى إشعال نار الفتنة الطائفية بين المسيحين والإسلام وبين العرب والأكراد وبيـــن

العرب بعضهم ببعض، حيث يقول الكولونيل الفرنسي لأحد مشايخ القبائل شيخ فـــلان هل نسيتم دم فلان؟

ومن الجدير بالذكر أن المجاهد عيسى آغا العبد الكريم قد التجأ إلى العراق عدة مرات من جراء الضغوط الفرنسية وعملائها بالمنطقة، ويذكر أن زعامـــة الكتلـــة الوطنية دعته ورفاقه الوطنيين إلى دمشق داعية إياهم إلى ضبط النفس، حيـــث إن فرنسا لابد أن تنسحب نتيجة الوضع السياسي والدولي العام، إلا أن عملاء فرنســـا أحدثوا قلاقل واضطرابات كي تبقى فرنسا جاثمة على صدورنا في سوريا وحيـــن عاد أعضاء الكتلة الوطنية من دمشق حضروا إلى الثكنة العسكرية بالقامشـــلي، إلا أن الجنود الفرنسيين طوقوهم حين شاهدوا أعضاء الكتلة الوطنية يريدون رفع العلم العربي السوري فوق الثكنة العسكرية بالقامشلي فتصدوا لهم وألقوا القبـــض عليـــهم وأخذوا منهم أسلحتهم وفرضوا عليهم غرامات باهظة من مال وسلاح، وأخيراً تـــم جلاء فرنسا وسحبت قواتها العسكرية من ثكناتها في عاموده الدرباســـية والحســـكة ورأس العين.

كما قامت الطائرات بقصف قرى الوطنيين فقصفت قرى تل حبش وهي كالتـــالي عندما كان سعيد آغا الدقوري وعيسى آغا العبد الكريم يتجولون بسيارة سعيد علـــى القرى والأهالي لتهدئة النفوس وعدم اللجوء إلى المقاومة المسلحة وذلك بناء علـــى توجيهات الكتلة الوطنية بدمشق لاحقتهم إحدى الطائرات الفرنسية فالتجأوا إلى قريـــة تل حبش واحتموا بالمسجد وقاموا بقصف القرية وأعطبوا السيارة.

وقد عقد اجتماع للزعماء الوطنيين بالحسكة لكن قبل هذا الاجتماع كان كلٌ مـــن جميل المسلط ودهام الهادي وعبد الرزاق الحسو وسعيد آغا الدقوري وعيسى آغـــا العبد الكريم قد اجتمعوا في مضارب العيسى العبد الكريم في بكـــو الواقعـــة علـــى طريق عامودا شمال صفيا عشرة كم، واتفقوا على رفع مذكـــرة بـــهذا الخصـــوص بالاستمرار في النضال.

وثيقة مصادرة أسلحة للشيخ الوطني عيسى آغا العبد الكريم
من قبل القوات الفرنسية الغاشمة

كما أن عيسى العبد الكريم عندما حاول اللجوء إلى العراق وبناء على معلومات عيون فرنسا نصبوا له كميناً واعتقلوه ونقلوه إلى مقر القيادة الفرنسية بالحسكة(الثكنة الحالية) وسجنوه في زنزانة وكان حراسه من عرب المغرب وكانوا يقولون له إن وجودك هنا شرف لك وأن في زنزانتك هذه كان يقيم سعد الله الجابري رئيس وزراء سوريا عندما أبعدته فرنسا عن دمشق وحكموا عليه بغرامة ٢٠٠ بارودة وعشرة آلاف طلقة، وكان جباة هذه الغرامات هم أزلام فرنسا وسبب

عزمه على اللجوء إلى العراق بأنه ظل وحيداً في ساحة المعركة، ووجوده وحيداً لايجدي نفعاً وسعيد آغا الدقوري يلجأ إلى العراق وآل إبراهيم آغا وآل محمد آغا لجأوا إلى تركيا فيبقى وحيداً وليس بمقدوره أن يفعل شيئاً بمفرده فحاول اللجوء إلى العراق، ولكنه اعتقل في الطريق واستسلم آخر جندي فرنسي فقام المناضلون من أعضاء الكتلة الوطنية برفع العلم العربي فوق الثكنات العسكرية وتم إنزال العلم الفرنسي. ويذكر أن عبد الرحمن محمد صالح ابن شقيق المجاهد عيسى آغا قد داس العلم الفرنسي وهو طفل صغير على أثر ذلك عمت الأفراح والانتصارات في كل مكان فأقيمت وليمة كبرى في مقهى(كربيس) بمدينة القامشلي حضرها أعضاء الكتلة الوطنية بالجزيرة وعلى رأسهم: الشيخ جميل المسلط ومحمد العبد الرحمن الطائي والشيخ دهام الهادي وعبد الرزاق الحسو وعيسى القطنة وآل نظام الدين ونواف الحسو وسعيد آغا الدقوري.

عن مقال للأستاذ عبد الوهاب المجدل

الشيخ محمد عبد الرحمن الطائي والاستعمار الفرنسي:

قبيلة طيىء من أعرق القبائل العربية القحطانية الزبيدية على المعمورة العربية منذ جدهم حاتم الطائي.

ومادمنا بصدد الطائية التي تعني الكرم المشهود، فالكرم بحد ذاته شجاعة، ومازال هذا الكرم الحاتمي الطائي يسري في عروقهم شجاعة وحمية وأريحية ونخوة ووفاء.

برز الشيخ محمد العبد الرحمن الطائي كما برز أجداده من قبله كواحد من زعماء الجزيرة البارزين في شتى مناحي الحياة بين القبائل الأخرى مما أعطى لطيء مهابة ومقداراً كبيراً ومواصفات عديدة عينت القبيلة الشيخ محمد العبد الرحمن شيخاً لها، وأعيد انتخابه عليها عام ١٩٤٦ أما عن أفعاله ونضاله ضد الفرنسيين فهم قد أرهقوا طيء بالضرائب والجباية كغيرهم من القبائل العربية، فما

كان من الشيخ محمد العبد الرحمن ورجال القبيلة من آل عساف والراشد واليسار وسنبس وحريث والجواله والغنامه إلا أن تنادوا ضد الفرنسيين فحاولوا إغراءهم وبعض أقاربه لكن الحمية الطائية كانت أقوى من كل أحابيل فرنسا وعملائها فأصبحوا الخصوم الألداء لفرنسا وللعملاء أيضاً وللشيخ محمد العبد الرحمن الطائي مواقف مشهودة ومشهورة تتندر بها كل القبائل في الجزيرة وفي سوريا كافة، حيث كان الشيخ محمد العبد الرحمن من الشيوخ الدهاة الذين تحسب لهم فرنسا ألف حساب.

رحم الله محمد العبد الرحمن الطائي سيد قومه بل زعيماً من زعماء الجزيرة السورية وقطباً من أقطاب الثورة السورية لقد كان بحق البطل والمناضل والمجاهد العربي الأصيل.



الشيخ محمد العبد الرحمن الطائي

تسلم زمام مشيخة القبيلة الطائية بعد وفاة شقيقه علي وعبد الرزاق أبناء عبد الرحمن الطائي ولقب شقيقه عبد الرزاق بالاستامبولي لأنه درس باستانبول آنذاك عام ١٩٠٣ كما أنه كان أحد أعضاء "جمعية العربية الفتاة" والتي قامت تركيا بإعدام الكثير من أعضائها بدمشق وبيروت أو مايسمى بشهداء السادس من أيار عام ١٩١٦ إلا أنه أي الشيخ عبد الرزاق لو لم يمت في ريعان صباه لكان واحداً من هؤلاء الشهداء الأبرار.

وإننا حين نعود إلى سيرة المناضل محمد العبد الرحمن الطائي فإنه يذكر عنه الشجاعة والالتزام الشديد وكأنه عسكري الطبع بالفطرة، وكان رحمه الله شديد الكره للأتراك الذين لم يسلم من ظلمهم وجورهم أحد كما أنهم لطالما قتلوا العديد من رجالات طيء ومن بينهم الشيخ ظاهر الحسن عام ١٢٠٠ للهجرة. حيث ورد هذا الخبر في كتاب: "دوحة الوزراء في حديث بغداد والزوراء".

كما وردت في كتب أخرى تروي بطولات ونضال من رجالات طيء أثناء الحكم التركي من بينها أيضاً كتاب: "القصارى في نكبات النصارى" .

وذلك عام ١٨٩٥ حيث جرت مذابح الأرمن في أورفة بتركيا وعلى مرأى من الشيخ عبد الرحمن الحسن وآخرها كانت مذبحة عام ١٩١٥ وتهجير الأرمن حيث كان للشيخ عبد الرحمن الطائي ووالده عبد الرحمن اليد البيضاء لما وقفا مواقف إنسانية رائعة ومشرفة حماية للأرمن وسواهم من أخوتهم العرب من المسيحين.

المواقف المشرفة لقبيلة طيء من الفرنسيين والعثمانيين:

ففي عام ١٩٢٢ دخلت فرنسا منطقة القامشلي حيث رفض الشيخ محمد العبد الرحمن الطائي وشقيقه طلال ونايف هذا المستعمر الجديد بعد العثمانية التي قتلت شيخ رئيس طيء محمد بن حسين من قبل والي الموصل عام ١٦٨٩ وكذلك عام ١٧٢٨ أرسلت السلطنة العثمانية جيشاً لمحاربة عشيرة طيء وذلك لعصيانهم وتمردهم على الدولة العثمانية آنذاك.

أما بالنسبة لفرنسا فقد تمرد عليهم الشيخ محمد العبد الرحمن، فما كان منهم إلا

أن نفوه إلى جزيرة أرواد بالبحر الأبيض المتوسط قبالة طرطوس.

إلا أنه كان على اتصال ومراسلة مع قومه وجيرانه من وجهاء المنطقة فتحالفت قبائل المنطقة وعلى رأسهم قبيلة طيء والجواله وبقية القبائل الأخرى أمثال الراشد والبوعاصي وحرب وبني سبعة، حيث وقعت الموقعة المشهورة (بياتنور) كما تحدثنا عنها في فصل سابق من هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أنه عندما أطلقت فرنسا سراح الشيخ محمد العبد الرحمن، وذلك كي تكف طيء عن محاربة فرنسا وبالمقابل طلبت منه فرنسا رهائن فأرسل لهم أخيه نحام العبد الرحمن وابنه فارس المحمد العبد الرحمن حيث سجنوا بدير الزور ثم أطلق سراحهم بعد ذلك، وفي عام ١٩٢٨ تم إلقاء القبض مرة ثانية على الشيخ محمد العبد الرحمن وأودع السجن وبعد مدة ذهب سلومي الحميد شيخ قبيلة الجوالة إلى المستشار الفرنسي حيث قال له بالحرف الواحد: "إذا لم يطلق سراح الشيخ محمد العبد الرحمن الطائي سيكون شيء غير طيب معكم، فالواقعة الأولى مع روغان والواقعة الثانية ستكون من خلفه. وبعد ذلك اضطرت فرنسا، إطلاق سراح الشيخ محمد العبد الرحمن الطائي صاحب المآثر الوطنية والبطولية النادرة في عقده.

الفارس الثائر الشيخ فارس المحمد العبد الرحمن هو ابن الوطني الشيخ محمد العبد الرحمن الطائي الذي توفي في حادث سير كان الشيخ فارس رحمه الله صعب المراس قوي الشكيمة صلب المواقف خاصة مع فرنسا، حيث كان دائماً يحرض الثوار ضدها مما حدا به إلى تشكيل قوة عسكرية من فرسان طيء حيث كانت تصطدم مع دوريات الفرنسيين بين الحين والآخر فما كان من اليوطنان الفرنسي لمنطقة القامشلي إلا أن استدعاه، وحين مقابلته لليوطنان وبعد المقابلة مد الشيخ فارس يده إلى مسدسه وأطلق الرصاص على اليوطنان فأرداه قتيلاً. وفر هارباً لكن قوة فرسانه كانت بانتظاره على أهبة الاستعداد فتم تبادل إطلاق النار بين فرسانه والفرنسيين قرابة أربع ساعات حيث التجأ إلى حدود تركيا حيث قتل أربعة من

الجنود الفرنسيين وسائق الضابط قائد القوة الفرنسية ويدعى كابو وهو أرمني الأصل وقُتل عدد من فرسان طيء وقتلت فرس مرافق الشيخ فارس ويدعى حماد الحمدون، فطوقه الفرنسيون فأسرع الشيخ فارس لإنقاذه من الفرنسيين، ولكن بعد أن قتلت فرس الشيخ فارس، ومن ثم تم إلقاء القبض على الشيخ فارس فاقتيد إلى سجن الرملة في بيروت حيث حكم عليه بالإعدام فالمؤبد بعد حكم دام تسع سنوات ثم أعيد إلى سجن دير الزور ثم القامشلي ثم أفرج عنه مقابل تخفيض الضغوط على الفرنسيين في مناطق القامشلي وأماكن تواجد قبيلة طيء.

رحم الله الشيخ المناضل والفارس الجسور الشيخ فارس المحمد العبد الرحمن الطائي.

عيسى آغا الرسطام الملقب عيسى القطنة من أوائل الوطنيين الشرفاء بالجزيرة السورية:

كان عيسى آغا الرسطام من أبرز الوجوه الوطنية المعروفة بالجزيرة السورية، وهم أصلاً من سلالة عريقة يقال لهم السياد من(النعيم) ويمثلون بيت رئاسة قبيلة الكيكية كانوا يقطنون: حويجة العبيد بالعراق، إذ تربطهم بقبيلة الجبور رابطة الخؤولة حيث إن قطنه هذه كانت من عشيرة المحاسن من الجبور.

بعد ذلك استقر بهم المطاف بالجزيرة السورية برز عيسى آغا الرسطام بالروح الوطنية العالية حيث انضم إلى الكتلة الوطنية في سوريا فأصبح عضواً من أعضائها الوطنيين الشرفاء الأشداء.

وكانوا يشكلون عصبة النضال الوطني مع وجهاء بقية القبائل الموجودة في الجزيرة، حيث شارك مع سعيد آغا الدقوري في النضال الوطني، ولطالما ألقي عليه القبض وسجن في سجن الحسكة المركزي آنذاك من قبل السلطات الفرنسية، ثم بعد ذلك سجن في دير الزور فترة من الزمن ثم إلى تدمر وذلك عام ١٩٣٧ حيث تعرض إلى شتى أنواع الضغوط و المضايقات، ولطالما قدم لهم المستعمر الفرنسي في فترة سجنهم الماء والملح لأيام عديدة تحت حرارة الشمس اللاهبة.

الجدير بالذكر أن المناضل عيسى آغا الرسطام كان على اتصال دائم مع أعضاء الكتلة الوطنية في الجزيرة أمثال دهام الهادي وجميل المسلط وسواهم كما ورد في بعض الوثائق المرفقة. وكذلك مع أعضاء الكتلة الوطنية في سوريا أمثال شكري القوتلي وجميل مردم وسواهم..

ولاننسىَ أن السلطات الفرنسية كانت قد صادرت بعض ممتلكاته، ومنها أراض زراعية في كل من تل كديش وشيخ منصور، وكذلك صادرت منه ٣٧ سبعاً وثلاثين بارودة حربية.

ولابد أن نذكر أيضاً أن شقيقه عبد الكريم كان قد استدعته القوات الفرنسة لإلقاء القبض عليه وذلك لمواقفه الوطنية الجريئة.

إن هذه الأسرة واحدة من بيوتات الوطنية البارزة في الجزيرة السورية إن لم نقل في سوريا عامة، لقد كان عيسى آغا الرسطام من وجوه النضال الوطني المشرف حيث بقي كالطود الشامخ في وجه الفرنسيين الذين حاولوا إغراءه بالمال والمنصب والجاه العريض لكنه أبى بكل الأنفة والعزة والعنفوان.

حيث كانت فرنسا تنفرد برفاقه المناضلين واحداً بعد الآخر وتسوغ لهم فصل الجزيرة أو تتبع سياسة فرق تسد بين بعضهم البعض، لكن المناضلين الأبطال أمثال عيسى آغا الرسطام كانوا أقوى من مكائد فرنسا وأذنابها الأوغاد.

وهكذا ظل المناضل عيسى آغا الرسطام وجهاً وطنياً نزيهاً وشريفاً لايهادن ولايداهن على كرامة الجزيرة وقدسية الأوطان حتى تحقق النصر والاستقلال.

رحم الله عيسى آغا الرسطام لقد كان من أوائل الوطنيين الشرفاء البارزين سوف تذكرهم الأجيال بكل العزة والفخار وإلى أبد الأبدين.

من أبرز الوطنيين الشرفاء في الجزيرة السورية



المجاهد عيسى آغا الشيخ الرسطام الملقب بالقطنة
قامشلي٢٥ /١/١٩٣٦

الرقم/ ١١٥٦

١ ر٢ — الى مقام مديرية العشـــائر

يسرنا أن ننوه بموقف الجد والنشاط وقفت السيد زهدي الحماد خلال الثورة الاستقلالية الاخيرة وكان معهد اليه فيها بوظيفة ضابط مراقبة البدو وهو فوق النزاهة ورصانة يعترف أحوال المنطقة وعشائرها معرفة تامة وله في نفوس رؤسائها حرمة ومكانة .

فنرجو التكرم باعادة النظر في تفسيته وتعيينه الى احدى الوظائف المناسبة ودمتم .

الحسكة في ٣ ايلول ١٩٤٥ — محافظ الجزيـــرة

التوقيع

صورة كالاصـــل

الرقم/ ١١٥٦

١/١ م/ — الى مقام مديرية العشـــائر

يســـرنا ان ننوه بموقف الجد والنشاط وقفه السيد زهدي الحماد خلال الثورة الاستقلاليـــة الاخيرة وكان معهد اليه بها بوظيفة ضابط مراقبة البدو وهو فوق النزاهة ورصانته يعرف احـــوال المنطقة وعشائرها كل معرفـــة تامة وله في نفوس رؤسائهـــا حرمة ومكانة فنرجو التكرم باعادة النظر في تفسيته وتعيينه الى احدى الوظائف المناسبة ودمتم .

الحسكه في ٣ ايلول ١٩٤٥ — محافظ الجزيـــرة

جناب حضرة الأخ عيسى آغا الشيخموس ــ رئيس عشائر الكيكية الكرام:

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وحضرنا من دير الزور بكمال الصحــة والعافية ووصلنا إلى القامشلي بطريق الجسعه ومن خصوص إعلان نشر المعــاهدة فقد نشرت يوم الخميس الماضي بطاقة البلاد السورية وهي على غاية مايرام مـــن فضل الله، ثم نعرفكم أننا سنتوجه في هذا اليوم إلى أهلنا، وبعد خمسة أيام ســنحضر للقامشلي ونخبركم للحضور لأجل التداول بالأمور العامة والسلام عليكم.

الشيخ دهام الهادي

التوقيع

لحضرة الأكرم عيسى آغا المحترم:

تحية وسلام أولاً نهنئكم بالفوز الذي أحرزتـــه الكتلـــة الوطنيـــة ومـــن الفـــوز بالاستقلال الذي هو غاية كل رجل شريف يريد الحرية لبلاده.

أمثالكم وأمثالنا نطلب من الله تمام الفوز ومعاضدة من يستلموا ويحكموا ويدبـــروا البلاد.. بما يرضيه تعالى إنه السميع المجيب آمين.

الشيخ دهام الهادي

التوقيع

المناضل نايف مصطفى باشا:

رئيس قبيلة الكوشر والتي تمتد مضاربها من حـــدود منطقـــة اليعربيـــة حتـــى حدود"وان" بتركية ومشهود له بالشجاعة الفائقة والكرم الفياض.

حيث إنه وقف وقفة الصمود والتحدي بوجه محاولات فرنسا الدنيئة والخسيســـة والتي حاولت من خلالها الترهيب أو الترغيب.

لكنه لم يرضخ لمطالبها حين ضايقته مرات كثيرة فكان تارة يلجأ إلـــى العـــراق وتارة أخرى يلجأ إلى تركيا. حيث أصبح بين ناري المستعمر الإنكليزي في العـراق والمستعمر الفرنسي في سوريا لكنه كان كالطود الشامخ صموداً وإباء ونضالاً.

وهكذا لم تفلح فرنسا ولا الإنكليز باستمالة هؤلاء الرجال الشجعان، ولم تســـتطع ترويضهم وكسر شوكتهم، ولطالما حاولت مرات عديدة زرع بذور التفرقة والفتنـــة بين قبيلته بعضها ببعض وبين قبيلته والقبائل الأخرى المجاورة.

كان المناضل نايف مصطفى باشا رحمه الله على اتصال دائم مع رجال النضـــال الوطني بالجزيرة ورجال أعضاء الكتلة الوطنية بدمشق حيث بقي كالطود الشـــامخ يواجه المستعمر الفرنسي وأعوانه المتخاذلين والمتواطئين علـــى شـــرف الوطـــن وقدسية الكرامة. وهكذا استعصى نايف مصطفى باشا على فرنسا والإنكلـــيز معـــاً حتى ولت الأدبار وإلى غير رجعة.

إضافة إلى ذلك كله ومن المواقف الوطنية المشهورة أنه كان قد ناصر القضيـــة الفلسطينية أو ما يعرف بحرب فلسطين آنذاك عام ١٩٤٨ حيث إنه تبرع بســـيارته التي لايملك سواها، وذلك لمساعدة ونصرة القضية الفلسطينية، وكان يساهم في كـــل ما من شأنه إعادة الكرامة والحرية والاستقلال للجزيـــرة الســـورية كاملـــة غـــير منقوصة وجزءاً لايتجزأ من سوريا العزيزة على قلوب كـــل المنـــاضلين الشـــرفاء والوطنيين الأوفياء.

رحم الله المناضل مصطفى باشا لقد كان رجلاً من رجالات سوريا الأبرار.



الوطني مصطفى الباشا قبائل الكوشر

المناضل الجسور سعيد اسحق الشخصية الوطنية المعروفة:

ولد سعيد اسحق في العام ١٨٩٩ في قرية قلعة الأمـراء من أعمال ولاية ماردين، وسكانها من السريان، وتلقى أول دروسه في مدرسة الرقبة والتي تابعها في مدرسة دير الزعفران المجاورة، وأتقن اللغتين العربية والسريانية، وألم باللغة التركية. ثم انتقل وهو شاب مع الكثير من بني قومه إلى بلدة عاموده في الجزيرة السورية إثر رسم الحدود بين تركيا وسوريا وإلحاق منطقة ماردين وتوابعها بالدولة التركية.

وبادر مع أقرانه من الشخصيات الواعية إلى تأسيس بلدية عامودا. حيث انتخب رئيساً للبلدية في عام ١٩٢٨ ضد إرادة المحتلين الفرنسيين وفي عام ١٩٢٣ انتخب

نائباً عن الجزيرة في مجلس النواب السوري وانتخب أميناً لسر المجلس النيابي. وتوالى انتخابه نائباً عن محافظة الحسكة خمس دورات انتخابية. كما انتخب نائباً لرئيس المجلس النيابي السوري عدة مرات. كان الفقيد عضواً بارزاً في الكتلة الوطنية التي قادت الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي. وقد شغل مهام أمين سر الكتلة الوطنية بعض الوقت، وقد أبعدته السلطات الفرنسية عن الجزيرة عدة مرات لنشاطه الوطني ضد المستعمرين. وحين حصلت سوريا العزيزة على استقلالها فقد منح وسام الاستحقاق السوري تقديراً لجهوده الوطنية.

في العام ١٩٥١ كان الفقيد يشغل منصب النائب الأول لرئيس المجلس النيابي السوري، وحدث أن نشبت أزمة سياسية ودستورية عصفت بالبلاد حيث استقال رئيس المجلس النيابي من منصبه فتولى السيد اسحق مهامه. وبهذه الصفة تلقى بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٥١ كتاب استقاله رئيس الجمهورية السورية من منصبه، فأصبح السيد سعيد اسحق بحكم الدستور رئيساً للجمهورية السورية بالوكالة خلال المدة من ١٩٥١/١٢/٢ ولغاية ١٩٥١/١٢/١٩ حيث لعب دوراً وطنياً وحكيماً في تهدئة الأوضاع.

ومرة أخرى في شباط ١٩٥٤ وبعد استقالة رئيس الجمهورية ومغادرته البلاد أصبح رئيس المجلس النيابي قائماً بأعمال رئيس الجمهورية في حين تولى نائبه السيد سعيد اسحق رئاسة مجلس النواب.

وفي أجواء أزمة دستورية ووطنية سيطرت على البلاد، اجتمع البرلمان يوم ٢٧ شباط ١٩٥٤ برئاسة السيد سعيد اسحق والذي تمكن بحكمته ودرايته من إقناع النواب بإعلان حل البرلمان لإفساح المجال أمام إجراء انتخابات نيابية جديدة، وبذلك ساهم في تجنيب البلاد مصاعب أزمة قاسية.

فكان بحق السياسي الداهية والمناضل الجسور والمجاهد العنيد، مما أعطى لأسرته عنواناً بارزاً من عناوين الوطنية البارزة في سوريا العزيزة.

لقد كان رجلاً شجاعاً لايهادن ولايحابي على مصلحة الوطن والأمة وكثيراً

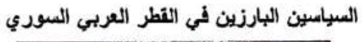
ماوقف كالطود شامخاً بوجه الدسائس والفتن والنعرات الطائفية التي كانت تغذيها فرنسا. وتوصل فيما بعد إلى مراكز عليا في الدولة إبان الكتلة الوطنية حيث كان واحداً من أقطابها الكبار.

رحم الله المناضل سعيد اسحق لقد كان من الوطنيين الشرفاء الذين أوصلوا سوريا إلى الاستقلال والحرية وإعادة الكرامة ولا ننسى موقفه المشرف من مؤتمر طوبس حيث داس على المضبطة بقدميه. وكيف ننسى إقامته الجبرية بحلب ودمشق وما عمله سعيد اسحق مع لجنة تقصي الحقائق حيث أقنع اللجنة بأن من أقاموا الفتنة في الجزيرة هم من الرعاع الغرباء. حيث يقول عن هذه الفتنة الشاعر خليل مردم بك:

يقولون في الجزيرة فتنة — بل في الجزيرة نفط وقار

طيء وتغلب هل نامت فوارسها — ليجول في الميدان حمار وخمار

من لاجيء وابن سابلة — على ظهورهم من سياط الترك آثار



الوطني الجسور سعيد اسحق عضو البرلمان السوري ورئيس الوزراء من السياسين البارزين في القطر العربي السوري





المجاهد مجيد شيخ موسى حسين:

من حق المجاهدين علينا نحن الأجيال الناهضة أن لانبخسهم حقهم وأن نرد لهم بعض الجميل والعرفان لما بذلوا من نفس ونفيس في سبيل الحرية واستقلال هذا الوطن. وعهداً علينا أن نسجل نضالاتهم بسطور من ذهب على صفحات الأمجاد والخلود، وما هذا المجاهد إلا واحدٌ من أولئك المناضلين والمجاهدين الأبطال وكم لاقى من صنوف العذاب في سبيل طرد المستعمر الفرنسي عن أرض الجزيرة الخضراء جزيرة الخير والعطاء لننعم بالأمن والأمان والحرية والاستقلال.

المجاهد مجيد شيخ موسى حسين من قرية بريفا التابعة لناحية عامودا حدثنا المجاهد قائلاً: بدأت في عامودا بعض القلاقل والاضطرابات المفتعلة يوم الثالث من آب عام ألف وتسعمائة وسبعة وثلاثين ١٩٣٧ من أجل التفرقة الطائفية مع أبناء البلد الواحد والمتعايش مع بعضه كأسرة واحدة وفيها مكن المودة والصفاء الشيء الكثير وعاشت على السراء والضراء إلا أن سياسة فرنسا البشعة فرق تسد باءت بالفشل فما كان منها إلا أن أرسلت طائراتها العسكرية بتاريخ الثاني عشر من شهر آب من نفس العام فقامت بقصف عامودا وقراها:

تل خنزير، تل حبش، بريفا، قرقوب تحتاني، على أثرها قدم موكب المستشار الفرنسي من القامشلي لمتابعة الأوضاع والإجهار على نضالات الأشاوس من أبناء عامودا وقراها البطلة، وكان بصحبته أربع ناقلات جنود مدرعة وقمت أنا

والمجاهدين سليمان عبدو وبشار حاج موسى وأحمد علو بإطلاق النار على سيارة المستشار ومرافقه على بعد ثمانية كليو مترات من عامودا، وعلى أثرها فر المرافقون لظنهم بأننا أعداد كبيرة حيث ألقينا القبض على المستشار وأخذناه إلى قريتنا بريفا، وبعد أن أوجعناه ضرباً وركلاً قمنا على أثرها بربطه إلى حصان وعلى مرأى من جميع أهالي قرية بريفا، ولأسباب إنسانية تركناه يهيم على وجهه في المزارع ما بين القرى.

وفي اليوم الثاني جاءت قوة كبيرة فطوقت القرية بحثاً عني وعن بقية الثوار، عندها حاولت الفرار إلى العراق للحاق بالمجاهد سعيد آغا الدقوري، إلا أن بعض عملاء فرنسا ألقوا القبض علي وأخذوني عنوة إلى قائد القوات الفرنسية.

فأودعوني سجن القامشلي لمدة ثلاثة وأربعين يوماً لاقيت شتى صنوف العذاب ومنها قلع أسناني، ثم بعد ذلك أودعوني السجن في دمشق(سجن القلعة) حيث قضيت فيه سنتين ومن ثم إلى سجن دير الزور حتى تاريخ الثاني عشر من آب عام ١٩٤٢ أثر دخول القوات الإنكليزية والديغولية والتي أفرجت عن المحكومين في سجون القوات الفرنسية.

وعدت إلى قريتي مكللاً بالفخر والزهو والانتصار والحمد لله.

عن لقاء أجراه الصحافي اسماعيل طه

•••

الفصل السادس

ماذا في الجزيرة:

صورة المذكرة التي رفعها إلى الحكومة السورية، والمفوضية للجمهورية الفرنسية في سوريا ولبنان. ووزارة الشؤون الخارجية الفرنسية في باريس.

خالد بكداش السكرتير العام للحزب الشيوعي:

ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية ورفع إلى المراجع الفرنسية المسؤولة في سوريا وفرنسا وإلى أحزاب الجبهة الشعبية الفرنسية

ماذا في الجزيرة؟

منذ أوائل تموز عام ١٩٣٧ تجري في شمالي سوريا، وفي أراضي الجزيرة العليا، حوادث هائلة ليس سوى حلقات متتابعة لمؤامرات واسعة يقوم على ترتيبها وتنفيذها، بعض غلاة المستعمرين الفرنسيين أعداء الشعبين السوري والفرنسي، أعداء المعاهدة الفرنسية السورية أعداء الحكم الوطني في سوريا، وأعداء الجبهة الشعبية في فرنسا.

ولم يسمع الرأي العام في سوريا وفرنسا، عن هذه المؤامرات التي لا تزال حلقاتها تتسلسل وتتتابع سوى أخبار مقتضبة، ومشوهة على الغالب نظراً لمنع تسرب هذه الأخبار إلى خارج نطاق منطقة الجزيرة من جهة، ولمنع المطلعين من تنوير الشعب من جهة أخرى.

فلم يسمع الناس عن حوادث الجزيرة سوى أن هناك عصياناً قام به بعض زعماء القبائل، ثم هجوماً على دوائر الحكومة، ثم طرد موظفي الحكومة الوطنية،

ثم استلام الجيش الفرنسي الأمن، ثم إن هناك معارك بين الموالين والعصاة في قرية عامودا، وإن الطيارات دمرت بعض القرى، ثم إن السكون عاد أخيراً إلى نصابه، وإن الاتفاق قد تم بين الحكومة السورية والمفوضية الفرنسية على إنهاء الخلاف وإعادة الأمن إلى نصابه تماماً.

هذا كل ما تمكن الناس من الحصول عليه كمعلومات، من هنا وهناك، أما سبب العصيان وكيفية وقوعه، وكيف تطور، وعلى أي شيء تم الاتفاق بين الحكومة والمفوضية.. الخ، فكل هذه الأسئلة لاتزال باقية بلا أجوبة، ولاتزال تقلق الرأي العام.

وتحاول الصحف الرسمية وشبه الرسمية، ويحاول بعض ممثلي الحكومة في مختلف تصريحاتهم وأحاديثهم تمثيل عصيان الجزيرة كحادث بسيط بل عادي طالما يحدث في شتى البلدان، فلا أهمية له ولا تأثير له لا على العهد الوطني، ولا على مستقبل الصداقة الفرنسية السورية، ولا على المعاهدة ولا على مصالح البلاد الاقتصادية ولا على سيادتها الوطنية.

العصيان في الجزيرة أعظم مؤامرة على العهد الوطني منذ عقد المعاهدة:

أما نحن فلا نعتقد هذا الاعتقاد، بل لدينا من الدلائل والوقائع ما يبرهن على أن العصيان في الجزيرة حادث هام جداً، يفوق كل ما حدث في سوريا منذ عقد المعاهدة من مؤامرات ودسائس وفتن حبكها الرجعيون ضد الحكم الوطني أن يطلع الرأي العام على تفاصيله وأسبابه ونتائجه حتى يعرف ويفهم حتى يفهم أية صعوبة تحيط عهده الوطني الذي انتزعه بنضاله، وأي أخطار تحيط بالمعاهدة التي يأمل من ورائها شيئاً من السكون والهدوء، ونوعاً من الاستقلال والرخاء والرفاه في ظل السيادة الوطنية.

وحتى يعرف من هم أعداؤه الألداء الذين يتربصون به ليل نهار، عاملين على الإيقاع به وحرمانه ثمرات انتصاره الرائع وإرجاعه إلى عهد الظلم والإرهاب البائد.

هل انتهى العصيان في الجزيرة ؟

وسواء صدقت البلاغات عن انتهاء حوادث الجزيرة أو لم تصدق وسواء نجحت المساعي المبذولة للوصول إلى اتفاق بين الحكومة الوطنية والسلطات الفرنسية أم فشلت، فمن الواجب على الكل أن يعرف الشعب الحقيقة كما هي عارية. ولا ريب أن انتهاء الحوادث على الشكل الذي تتحدث عنه الأخبار الرسمية أو شبه الرسمية لا يسمى انتهاء، بل يسمى انتصار العصاة، واندحار للشعب السوري وللديمقراطية الفرنسية نفسها.

يجب أن يعرف الشعب الحقيقة كلها:

لكل هذه الأسباب نرى من واجبنا أن نقول الحقيقة، ونستخلص مرة أخرى الدروس اللازمة طالما استخلصنا من كل الحوادث الماضية. ونقول للشعب كلمتنا في التدابير التي يجب أن يطالب بها ليدافع عن عهده الوطني، ومعاهدته وعن الصداقة الفرنسية السورية العزيزة عليه. نقول معاهدة الشعب، وعهد الشعب الوطني، والصداقة الفرنسية السورية العزيزة على الشعب، ولا نقول معاهدة فلان وفلان، فالمعاهدة، والعهد الوطني والصداقة الفرنسية السورية، هذه كلها ملك الأمة بأجمعها ملك الشعب، فهو الذي انتزعها بنضاله ودمائه، وهو وحده الذي يعرف ويستطيع أن يدافع عنها ويحتفظ بها باتحاده ويقظته.

يجب أن يدافع بعرق الشعب كل شيء، وأن يقول كلمته، لأنها القوة الوحيدة الكبرى التي تستطيع الاحتفاظ بما انتزعته. أما استصغار الشعب، وإخفاء الأمور عنه، وتركه في حيرة وارتباك فكل هذا إنما يؤدي إلى خدمة أعداء وطننا الأجانب الداخلين أعداء سوريا وفرنسا معاً. إذ ان الحكم الوطني وكل هيئة وطنية لاتعتمد على الشعب، وعلى يقظة الشعب، ولا تستمد قوتها في كل حادثة من الشعب، ولا تستند عليه في رد كل بلية وطعنة ومحنة، نعم كل هيئة وطنية تحاول العمل بدون الشعب، فإنها ستصبح بدون حول ولا قوة ولابد أن تتراجع وحدها أمام العدو.

من الذين دبروا مؤامرة الجزيرة وأثاروا العصيان ؟

قالوا: في الجزيرة " ثار المسيحيون على المسلمين "، " ثارت الأقلية المظلومة على الأكثرية الظالمة " ثم قالوا: " الجزيرة كلها " تطالب بحقوقها وبإنقاذها من تعسف القائمين على الإدارة من موظفي الحكومة الوطنية ، ثم قالوا: الجزيرة لاتأمن على مستقبلها وراحتها وحقوقها في ظل الحكم الوطني، وفي ظل المعاهدة ولذلك تمردت فهو "ضعيف مظلوم" ضاقت عليه السبل ودفعه اليأس إلى التمرد والعصيان.

هذا ما قالته صراحة الجرائد الرجعية الاستعمارية، من البشير البيروتية، إلى لـ زيكو ولاكرونيك في دمشق، وهذا ما أحبت أن تشير إليه بعض الجرائد الرجعية المتلونة من طرف خفي: مثل ألف باء الدمشقية وسواها.

ولكن جميعها لم تقل الحقيقة، وإنما عملت على ستر المسؤولين وطمس روح الحركة وإخفاء أسبابها ودوافعها. ويكفي أن تبحث حالة الجزيرة قبل عقد المعاهدة، وكيف كانت الإدارة فيها ثم حالتها بعد المعاهدة ؟، ثم كيف وقع العصيان ومطالب العصاة لنعرف الحقيقة ونصل إلى هذه النتيجة الواضحة وهي:

"لا الإسلام" ولا حركة أقلية تحمي حقوقها من تعدي الأكثرية ولا حركة عفوية جماهيرية، بل مؤامرة مدبرة منذ زمن طويل، قام على ترتيبها وتنظيمها وتسليحها: العناصر الفاشية بين الموظفين الفرنسيين في الجزيرة نفسها وفي غير الجزيرة أيضاً. بل سنرى بوضوح بعد البحث أنه لولا هؤلاء الموظفون الفاشست، أي لولا غلاة الاستعماريين الفرنسيين، سادة العهد البائد، الذين أرهقونا طيلة سبعة عشر عاماً، والذين يكنون عداءً للحكم الوطني، للمعاهدة، للجبهة الشعبية الفرنسية التي عقدت في عهدها المعاهدة، سوف نرى أنه لولا هؤلاء الموظفون الفاشست لما حدث في الجزيرة عصيان على المعاهدة ولما سفكت نقطة دم واحدة، ولما تجرأ زعيم رجعي واحد من زعماء العصيان على رفع رأسه والتمرد على اتفاقية المادية والمعنوية والعسكرية والسياسية.

السياسة الاستعمارية في الجزيرة قبل المعاهدة:

كانت سياسة المستعمرين الفرنسيين في الجزيرة، جزءاً من سياستهم العامة التي طبقها في سوريا طيلة سبعة عشر عاماً، وأهم خطوط هذه السياسة إثارة النعرات الدينية والعرقية وغيرها للتفريق بين السكان فعند وجود اختلاف في الأديان: عملوا على إثارة المسيحين على المسلمين، والمسلمين على المسيحيين، وبين المسليمن أنفسهم عملوا على إثارة النعرات العرقية، وإلقاء بذور العداوة بين العناصر العربية وغير العربية، وبين عشائر العرب أنفسهم، فعملوا على تغذية العداوات القديمة التقليدية بين مختلف العشائر، وكذا الأمر في العشائر غير العربية، أما في العشيرة نفسها، فقد بذلوا جهدهم لإثارة الأحقاد والنزاعات بين مختلف المشايخ.

وكانت الجزيرة طبعاً من أهم المناطق التي نجح فيها المستعمرون في تطبيق هذه السياسة بحذافيرها وذلك لأسباب عديدة أهمها:

أولاً ــ إن الموظفين الاستعماريين كانوا منفردين بالسلطة المباشرة هنا بكل معنى الكلمة.

ثانياً ــ لتأخر المنطقة وجهل السكان وعمل الموظفين الاستعماريين على تغذية التعصب الموروث من عهد السياسة العثمانية.

ثالثاً ــ لعدم وجود أية حركة منظمة مقاومة سياسة التفريق الاستعمارية.

ومن الواضح أن هذه الشروط لم تكن متوفرة بهذا المقدار في بقية مناطق البلاد السورية.

طبيعة الجزيرة العليا أرضها ــ سكانها ــ ثرواتها:

المعروف الآن أن الجزيرة من أغنى مناطق سوريا الزراعية. فهي أرض خصبة، فيها مياه غزيرة (لايستفاد منها إلا قليلاً) وقد اشتهرت خلال السنوات الأخيرة بزراعة القمح على الخصوص، كما تبين أن فيها كميات هائلة من البترول.

قامشلي ١٩٣٦/١/٢٥

جناب حضرة الأخ: عيسى آغا الشيخموس ـ رئيس عشائر الكيكية الأكرم.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد:

حضرنا من دير الزور بكمال الصحة والعافية ووصلنا إلـى القامشـلي بطريـق الحسجة ومن خصوص إعلان المعاهدة فقد نشرت يوم الخميس الماضي بكافـة البـلاد السورية وهي على غاية ما يرام من فضل الله ثم نعرفكم أننا سنتوجه في هذا اليوم إلـى أهلنا وبعد خمسة أيام سنحضر للقامشلي ونخبركم للحضور لأجل التداول بالأمور العامة والسلام عليكم.

الشيخ دهام الهادي

التوقيع

وكان في الجزيرة حركة تجارية نشيطة بسبب كثرة التهريب من تركيا وإليـــها، وقد خفت الحركة التجارية نسبياً عن الأول، بسبب تشديد الحكومة التركية أخيراً في مراقبة الحدود. وكان من نتيجة ذلك أن انصرف الزعماء وكبـــار تجـــار الحبـــوب والصوف والسمن إلى صرف الأموال الطائلة التي جمعوها من النهب إلـــى إحيـــاء الأراضي وإنعاش الزراعة، ويكفي للدلالة على ذلك أن نلاحـــظ أن أكـــثر القـــرى عمراناً وغنى في الجزيرة نفسها الواقعة على الحدود إذ كـــانت مراكـــز مباشـــرة للتهريب، وعندما خف التهريب أصبحت هذه المناطق نفسها الواقعة علـــى الحـــدود مزدهرة من الوجهة الزراعية أيضاً للسبب الذي قدمناه.

أما السكان: فأكثريتهم من السكان الأصليين وهم على الغالب من العرب الرحـل، وقليل من المهاجرين القدماء، ولم يلحظ المرء في الجزيرة إلى عهد الانتداب عـــداءً عرقياً صارخاً أو مذابح دينية بالرغم من الخلافات بيـــن مختلـــف القبـــائل وبيـــن مشايخها، والتي كانت تحل بسهولة بطرق العشائر المألوفة أي العرف العشـــائري. وبعد انتهاء العهد العثماني، أي بعد انتهاء الحرب، ومنذ ابتداء الاحتلال الفرنســـي، أخذت تدخل في الجزيرة بصورة مستمرة تقريباً عنـــاصر جديـــدة مثـــل الأرمـــن والسريان والأكراد النازحين عن تركيا، كما أمها أخيراً بضعة آلاف من الآشـــوريين النازحين عن العراق. وهذا الكلام وبالحرف الواحد منقول عن المذكرة التي رفعـــها خالد بكداش أمين عام الحزب الشيوعي آنذاك والمرفوعة إلى الحكومـــة الســـورية والمفوضية العليا الفرنسية في سوريا ولبنان ووزارة الشؤون الخارجية الفرنسية فـــي باريس.

الأمن في الجزيرة:

تقع تبعة حفظ الأمن في الجزيرة بالدرجة الأولى على الجيش، وتركيبه كما يلـي: القيادة في أيدي ضباط فرنسيين عرفوا بإغراقهم في ميولهم الاستعمارية الرجعيـــة، وأكثرهم من المناصرين لأحزاب اليمين وللأحزاب الفاشية في فرنسا.

وهنالك نفر من الضباط الفرنسيين، أكثرهم من أشر العناصر المعاديـــة للوطـــن السوري والمؤتمرة روحاً وجسماً بأوامر الأولين. أما الجيش فهو مؤلف من "الكـــارد موبيل وليجون سبريان" و الهجانة وكل الجنود تقريباً فـــي كـــل هـــذه الفـــرق مـــن المهاجرين من تركيا: من العناصر غير العربية والمعروفين "بطوغلاركي" ثم مـــن الأشقياء الذين كانوا قبل دخولهم الجيش قطاع طرق ومهربين.

تسليح الأهلين في الجزيرة:

سار الموظفون الاستعماريون في الجزيرة على سياســـة خاصـــة فـــي تســـليح الأهلين، فقد أعطوا رخصاً كثيرةً بحمل السلاح إلى الزعماء الرجعيين من العـــرب والأكراد والسريان وإلى أتباعهم، بينما كانوا يشددون في مصادرة الأســـلحة مـــن الجماعات الأخرى التي لم تكن في نظرهم أمينة، إذ لم تكن موافقة كـــل الموافقـــة على سياسة التفرقة والنهب التي كان يتبعها هؤلاء الموظفون الرجعيون.

وسار الموظفون الفرنسيون الرجعيون على سياسة بغيضة في تقديـــم الزعمـــاء، وتوظيف أعوانهم كمترجمين أو جواسيس لهم فيعينونهم رؤساء بلديات ويمنحونـــهم الأراضي الواسعة والخصبة.

الحكومة في الجزيرة قبل المعاهدة:

كانت السلطة الإدارية في العهد البائد(من المحافظ إلى الدركـــي إلـــى القضـــاء) عبارة عن ملحق بسيط بالموظفين الاستعماريين تأتمر بأمرهم في محاباة الزعمـــاء الرجعيين وإيصالهم إلى جميع مآربهم على حساب بقية السكان، وليـــس مـــن بـــاب الصدفة مثلاً أن نرى الآن أخصب أراضي الجزيرة العائدة لأمـــلاك الدولـــة ملكـــاً لهؤلاء الزعماء الرجعيين (زعماء العصيان الحالي). ولم يكن بين الســـكان شـــعور بوجود سلطتين مختلفتين: سلطة منتدبة وسلطة محلية.

فلم تكن السلطة المحليـــة الإداريـــة والقضائيـــة إلا ظـــلاً لســـلطة الموظفيـــن الاستعماريين(هكذا وردت في وثيقة الحزب الشيوعي السوري).

نتيجتان هامتان:

من هذه النظرة العجلى على تاريخ الجزيرة القريب، وشكل الإدارة فيها، تبين لنا أمران هامان جداً:

أولهما ــ كان الموظفون الاستعماريون الفرنسيون في العهد البائد (وأكثرهم مغرقون في ميولهم الرجعية الفاشيستية) سادة دون معارضة أو مقاومة.

ثانيهما: كان زعماء العصيان آلات وخدماً بين أيدي هؤلاء الموظفين الاستعماريين، ولم يصلوا إلى غناهم ومراكزهم إلا عن طريق التجسس للمستعمرين وخدمتهم. ومن هنا كانت هذه النتيجة.

إن كل ما قام به هؤلاء "الزعماء" من عصيان وتمرد وقتل لايعقل أن يقوموا به بالرغم من إدارة أسيادهم الموظفين الفرنسيين الفاشيست. وهذا عدا البراهين المحسوسة التي قدمها جميع الموظفين في الجزيرة وعدا الاعترافات الكثيرة التي قدمها بعض زعماء الفتنة عن اتصالهم بالموظفين الفرنسيين الفاشيست. ولننظر الآن كيف تطورت الأحوال في الجزيرة بعد عقد المعاهدة.

بعد عقد المعاهدة السورية ضد الفرنسية:

لم تكد ترد الأنباء عن انتهاء المفاوضات في باريس وعقد المعاهدة وقبل أن يصل الوفد المفاوض إلى سوريا، وقبل أن تتألف الحكومة الوطنية، أخذ الموظفون الفرنسيون الفاشست أعداء المعاهدة وأعداء الجبهة الشعبية الفرنسية يثيرون عملاءهم الزعماء الرجعيين على نفس موظفي الحكومة المحلية الذين كانوا إلى الأمس القريب يأتمرون بأمرهم ويتعاونون معهم. وكان قصدهم من ذلك تهيئة جو التمرد على الهيئة الإدارية الحكومية لعلمهم أنها ستنتقل قريباً إلى الحكومة الوطنية. ولم تكد تتألف الحكومة الوطنية، وقبل أن يحصل أي تغيير في الموظفين الإداريين، بدأت تروج في أنحاء الجزيرة شائعات مفادها أن جميع الموظفين الإداريين تلقوا من الحكومة المركزية أوامر بالضغط على خصوم الحكومة الوطنية وعرقلة مصالحهم.

بعد تعيين السيد بهجت الشهابي:

عندما عينت الحكومة الوطنية السيد بهجت الشهابي محافظاً للجزيرة وغيرت بعض الموظفين الإداريين، أخذ الموظفون الفرنسيون الاستعماريون(ذوو الميول الفاشستية) يقومون بعمل مزودج فمن جهة أخذوا يثيرون زعماء العشائر المؤتمرين بأمرهم على موظفي الحكومة الوطنية، ومن جهة أخرى أخذوا يقومون بأعمال مختلفة غايتهم منها التحرش بهؤلاء الموظفين بقصد الاصطدام معهم.

(فمثلاً: كانوا يعاملونهم معاملة فيها كل معاني الاحتقار وعدم المبالاة وعوضاً من مساعدتهم في مهمتهم كانوا يسلكون معهم سلوكاً ينتقص من هيبتهم وكرامتهم أمام الناس وأصحاب المصالح).



السيد بهجت الشهابي محافظ الحسكة الذي عجز عن تأمين الاستقرار في الجزيرة فعاد إلى دمشق

اتهام موظفي الحكومة الوطنية بسوء الإدارة:

في الأيام الأولى بعد استلام الموظفين الجدد وظائفهم، أخذ الزعماء المعروفون برجعيتهم ومناهضتم للحكم الوطني، يكتفون بإظهار الشكوك حول الإصلاحات التي كان المحافظ الجديد ينوي القيام بها. أما بصورة عامة، فكثير من الزعماء المشتركين الآن في العصيان لم يكونوا يتكلمون فقط عن سوء الإدارة، بل كان بينهم من يثنون على المحافظ وإدارته. ولكن قبل بدء الحوادث، أي خلال شهر حزيران، تبلورت تهمة سوء الإدارة ضد الموظفين الجدد، وانقلب كثير من الزعماء انقلاباً فجائياً، فبينما كانوا بالأمس يثنون على المحافظ أخذوا يطعنون فيه طعناً شديداً، وذلك بعد أن تلقوا الأوامر بتهيئة الجو للعصيان، عندما قرر أسيادهم الموظفون الفرنسيون الفاشيست أن الساعة أصبحت ملائمة لإعلان هذا العصيان.

دور المترجمين:

ولعب المترجمون أي مترجمو ضباط الاستخبارات دوراً كبيراً من أعمال التحريض على الموظفين، فقد أشاعوا أن الحكومة التركية أخذت تطلب من المفوضية العليا تسليم النازحين من تركيا إلى الجزيرة، ويفهمون الناس أن هذا الطلب من قبل الحكومة التركية هو نتائج المعاهدة.. الخ.

وقد استعمل المترجمون هذه الدعاية كوسيلة لتهديد البعض الذين كانوا مترددين في الاشتراك بالفتنة، فأفهموهم أنهم إذا أبوا الخضوع ولم يشتركوا في إثارة العصيان فسوف يسلمون للحكومة التركية (التي لم تألف الرحمة بالخائنين).

صلاحيات الموظفين الفرنسيين وصلاحيات موظفي الحكومة الوطنية في دور الانتقال:

وهناك نقطة هامة يجب الإشارة إليها: من المعروف أن الإصلاحات، من الجهة القانونية(لا من الوجهة العملية طبعاً) قبل عقد المعاهدة، كانت مقسمة تبعاً لنصوص النظام الإداري نفسه الذي كان قائماً في ظل الانتداب.

فكانت صلاحيات ضباط الاستخبارات تتلخص قانوناً فيما يلي: الفصل في شؤون العشائر(في قضايا الخلافات والغزو والتسليح.. الخ) ثم مساعدة السلطات الإدارية المحلية على ضبط الأمن عند حدوث اضطرابات.

أما القضايا الإدارية المحلية: مثل قضايا الأراضي، والخلافات الشخصية، وقضايا المياه والحوادث المادية من جرائم وسواها، فكانت حسب نظام الانتداب نفسه، عائدة إلى السلطات الإدارية المحلية.

وبعد عقد المعاهدة، وطبقاً لروح دور الانتقال، أصبح من المفهوم أن يعمل الموظفون الفرنسيون على مساعدة الموظفين الوطنيين لأجل أن تنتقل إليهم كل الصلاحيات التي كانت وقفاً على الموظفين الفرنسيين قديماً.

ولكن ما الذي جرى في الواقع ؟.. جرى عكس ذلك تماماً. فقد أخذ الموظفون الفرنسيون بالتدخل في الأعمال والشؤون العائدة إلى الموظفين بحكم قوانين المعاهدة، فقد حدث مثلاً خلاف في القامشلي بين الأهالي، وكان الخلاف يعود أمر فصله إلى القائمقام أو إلى المراجع الحكومية على كل حال (وذلك حسب النظام السائر في عهد الانتداب نفسه) إلا أن الموظفين الفرنسيين أخذوا يدفعون الناس إلى مراجعتهم ثم يحاولون التأثير على المراجع الحكومية وعلى القائمقام لأجل أن يكون الفصل في المشكلة موافقاً لمآرب من يديرهم ــ هؤلاء الموظفون الفرنسيون ــ لاوفقاً للقانون والعدل والأنظمة المرعية أي عوضاً عن أن يعمل هؤلاء الموظفون الفاشيست على نقل مسؤوليات جديدة إلى موظفي الحكومة الوطنية أخذوا يتدخلون بما لم يكن يدخل في صلاحياتهم حتى حسب قوانين ما قبل المعاهدة هذا هو الجو الذي هيأه المتآمرون لساعة العصيان.

ولاريب أن ذكر أسماء الزعماء فقط يكفي ليتبين أن الحركة ليست حركة (أقلية قومية) ولا حركة دينية مسيحية مثلاً، بل هي مؤامرة على المعاهدة، اشترك فيها نفر من الزعماء الرجعيين الذين لولا تشجيع أسيادهم الموظفين الفرنسيين الفاشيست لكانوا بلا حول ولا قوة، ولما تجرأوا على التحرك من مساكنهم.

الموالون للمعاهدة وللحكومة الوطنية ولفرنسا الديمقراطية:

أما الموالون للحكومة الوطنية، ولفرنسا الديمقراطية، أنصار المعاهدة، فهم أكثرية سكان الجزيرة، بل الأكثرية المطلقة المؤلفة من أكثرية العرب، وأكثرية الأقليات، ونفر من السريان أنفسهم وكثير من الأرمن أيضاً.

وهاك أسماء بعض الزعماء الموالين للحكومة الوطنية وهم: الشيخ جميل المسلط شيخ عشائر الجبور، دهام الهادي(شيخ عشائر شمر) الشيخ عبد الرحمن الطائي، عبد الرزاق الحسو، حسن سليمان، محمد الغنام (طي)، طاهر الآغا الحاج محمود، عيسى العبد الكريم، يونس العبدي، عيسى القطنة، عبد الباقي نظام الدين، سعيد الآغا، أكراد عيسى سليمان شيخ بقارة الجبل، عبد الحميد الدحام، علي الزوبع، علي السلطان (من شيوخ قبائل الجبور)عزت سليم بك، صالح الاتبي (من شيوخ الجيجان)، عبد الرزاق جلبي وزكي جلبي. وآل عباس من زعماء الشيستية وحسين أسعد وجيه التمكن وفرحان العيسى من عشيرة العزيزان.

أما الآشوريون النازحون عن العراق ، فقد رفضوا الاشتراك في العصيان، بعد أن رأوا الويلات من العصيان الذي دفعهم إليه الاستعمار البريطاني في العراق.

وسوف ترى عند سرد الحوادث أن كثيراً من زعماء العصيان أنفسهم لم ينضموا إلى العصاة إلا بالرغم عنهم وتحت تهديد الموظفين الفاشيست الفرنسيين.

المباشرة العملية بتهيئة العصيان:

مؤتمر طوبس:

في أوائل تموز عقد زعماء العصيان المذكورون أو أكثرهم مؤتمراً في طوبس، وقد بحثوا في المؤتمر مسألتين أساستين:

١ ــ كانت الحكومة فكرت في انتخاب نائب رابع عن الجزيرة فقرر المؤتمر الاحتجاج على المحافظ وقائمقام القامشلي وقائد درك الجزيرة متهمين إياهم بتأييد خصمهم عبد الباقي نظام الدين ووقعوا مضبطة بهذا المعنى.

٢ ــ بحث المؤتمر مسألة العصيان، ولكن لم يؤد البحث إلى نتيجة عملية، إذ كان هناك بعض المعارضين أو المتمردين، ثم لم يتمكن المؤتمرون من الاتفاق على شكل العصيان وكيفيته. وانسحب البعض من المؤتمر احتجاجاً لهذا التوجه.

مؤتمر الحسجة:

في الرابع من تموز عام ١٩٣٧ عقد العصاة مؤتمراً آخر في الحسجة بعد أن تم تطبيق المتمردين وأخذ عهد من الآخرين بأن يقفوا على الحياد (وقد انضم هؤلاء أخيراً إلى العصيان تحت ضغط الموظفين الفرنسيين الفاشيست). ويقصد بكلمة العصاة أو العصيان: أي المتمردين أو الثائرين على فرنسا وأعوانها من العملاء. ومنذ أوائل تموز بدأت الأسلحة توزع على العصاة وأنصارهم وأتباعهم.

وقد تقرر في مؤتمر الحسجة مايلي:

١ ــ ابتداء العصيان في صباح اليوم التالي ٥ تموز.

٢ ــ طلب تغيير المحافظ والقائمقام وقائد الدرك ونائب رئيس الجمهورية (لسوء إدارتهم). ويقصد بنائب رئيس الجمهورية: "سعيد اسحق ".

ابتداء العصيان:

في الساعة الرابعة من صباح ٥ تموز، ابتدأ العصاة حركتهم في الحسجة، فأطلق الرصاص من البيوت على السرايا وعلى بيت المحافظ، وهاجم العصاة مخفر الشرطة وجرحوا أربعة من أفراد الشرطة، وهرب الباقون ملتجئين إلى السرايا ونهب العصاة المخفر في يوم ٦ تموز، توقف إطلاق الرصاص.

وفي يوم ٧ تموز، كانت دورية من رجال الدرك تتجول في المدينة وعند مرورها أمام دار (رئيس البلدية أخذ زعماء العصيان إطلاق الرصاص عليها من النوافذ ومن على الأسطح فقتل دركي واعتقل العصاة الستة الباقين ، ونزعوا منهم سلاحهم واقتادوهم، وهناك أتى ضابط الاستخبارات الكابتن توماس بسيارته، فاستلم الدرك المعتقلين من العصاة واقتادهم إلى سرايا الحكومة دون استرداد سلاحهم من العصاة.

وقتل في اليوم نفسه أحد أفراد الدرك بينما كان على درج السرايا وقد أطلق عليه الرصاص من الجهة المقابلة للسرايا، وهكذا أصبح العصاة سادة الموقف في الحسجة، وانقطعت دوريات الدرك والشرطة ومن الموظفين في السرايا.

موقف الجيش:

طلب المحافظ في يوم ٧ تموز بعد قتل رجال الدرك، معونة الجيش فرفضت القيادة النزول عند هذا الطلب مع أن نصوص المعاهدة صريحة في هذا المعنى، فهي تلزم الجيش الفرنسي خصوصاً خلال دور الانتداب بمساعدة المراجع الحكومية الوطنية في حفظ الأمن عندما يطلب ذلك.

ولم يستلم الجيش حفظ الأمن إلا بعد انقضاء خمسة أيام منذ ابتداء العصيان، أي التمرد والثورة ضد الفرنسيين.

الجيش والعصاة يحفظون الأمن معاً:

عندما استلم الجيش الأمن، كان أول ما فعله الضباط منع الشرطة والدرك من التجول بسلاحهم، أما القضاة العصاة فلم يؤخذ أي تدبير ضدهم وكانت الحالة تتلخص عملياً: في أن رجال الجيش والعصاة أخذوا على أنفسهم معاً(حفظ الأمن) وعلى هذا الشكل استمر حصر الموظفين الإداريين، وأخذت تتجول في الحسجة دوريات الجيش، ودوريات العصاة المسلحة في الوقت نفسه.

في المناطق الأخرى:

حدث في القامشلي نفس ما حدث في الحسجة تقريباً، أما في مديريات رأس العين وعين ديوار والمالكية فقد طرد العصاة المسلحون مديري النواحي والدرك الذين التجأوا إلى خيام العرب الرحل المحيطة بالمراكز، وهي كلها موالية للحكومة الوطنية، ولم يحدث في هذه المراكز اصطدام بين الدرك والعصاة، بل اعتقل العصاة الموظفين وطردوهم في بعض المراكز، وأجبروهم على الهرب بالضغط والتهديد المسلح في المراكز الأخرى.

أما في مديرية الدرباسية، فقد حوصر الدرك في المخفر، ولكن لم يحدث أي اصطدام، إذ لايجرؤ العصاة على القيام بهجوم عنيف لقلة عددهم ولأن الدرباسية محاطة من كل أطرافها بقبائل موالية للحكومة وللمعاهدة (ولم يطرد مدير ناحية الدرباسية إلا بعد حوادث عامودا التي سنأتي على ذكرها).

أما من ناحية عامودا التي أكثرية سكانها من الموالين للحكومة الوطنية، فقد قام أهلها بحفظ الأمن ولم يجرؤ العصاة على الإتيان بأية حركة في بادىء الأمر.

ويجب أن نلاحظ أن عامودا والدرباسية اللتين لم يقع فيهما عصيان ولم تسفك الدماء في بادىء الأمر لايوجد فيهما ضباط استخبارات فرنسيون. وفي يوم الخميس، أي بعد استلام الجيش مهمة (المحافظة على الأمن) غادر المحافظ السيد الشهابي مقر وظيفته في الحسجة إلى دمشق.

تنظيم العصيان وتأليف اللجان الإدارية المسلحة:

بعد استلام الجيش (مهمة المحافظة على الأمن) أخذ العصاة في تنظيم حركتهم فألفوا في كل مركز لجنة مسلحة أسموها(لجنة إدارة شؤون الحسجة، أو القامشلي، أو رأس العين أو...) وصنعوا لكل لجنة خاتماً رسمياً للتوقيع على الإنذارات وجوازات المرور وما إلى ذلك. ومنعت اللجان الدخول إلى المناطق المتمردة. فالداخل إلى الحسجة مثلاً يجري تفتيشه من قبل مخفر الجيش عند مدخل المدينة على جسر الخابور، ثم يستلمه العصاة ـ المسلحون ـ ويقتادونه إلى مقر اللجنة. وهناك يفتشونه ويستجوبونه، فإن أعجبهم أطلقوا سراحه، وإن لم يعجبهم طردوه من البلد. ولاتزال هذه حالة الجزيرة منذ ابتداء العصيان إلى الآن.

طلب الانفصال:

ومنذ أن ـ الفت(اللجان الإدارية المسلحة) وانتظم العصيان، أخذت الحركة تكشف وجهها الحقيقي. فقد بدأ العصاة كما ذكرنا بطلب تغيير الموظفين حسب قرارات مؤتمر الحسجة ولكنهم لم يلبثوا أن وضعوا مطالبهم الحقيقية بصورة

أوضح وأكثر صراحة، وأرسلوا هذه المطالب إلى المفوضية والحكومة في برقيات ومضابط رسمية، أما هذه المطالب فتتلخص فيما يلي:

أولاً ـ نظام خاص للجزيرة بموافقة جمعية الأمم.

ثانياً ـ بقاء الجيش الفرنسي في الجزيرة.

ثالثاً ـ بقاء الجزيرة تحت الانتداب الفرنسي.

وقد بدأ العصاة باستثمار الحركة على صور مختلفة، فقالوا إنها احتجاج على اضطهاد الحكومة للأقلية السريانية، وللأقلية القومية (في الجزيرة)، ولكن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن تؤدي إلى خير الأقليات القومية بل هي بالعكس تسبب لها شروراً لا يمكن التكهن بنتائجها السيئة وتطبيق النظم الديمقراطية الصحيحة في ظل المعاهدة هو الذي يؤمن الراحة والطمأنينة في البلاد ويضمن حقوق جميع الأقليات القومية ويفسح لها المجال للتقدم والتطور والرقي والوحدة الوطنية.

ثم توسعوا في القول حتى أخذوا يدعون أن الجزيرة كلها (ثائرة) على الظلم والاضطهاد، وقد اعترفت (له زيكو[1]) صراحة بأن الجزيرة حملت السلاح للدفاع عن مطالبها وأضافت قائلة إن عمل العصاة (مشروع) بكل معنى الكلمة (عدد ١٢ آب من جريدة له زيكو الدمشقية).

الحياة الاقتصادية في الجزيرة خلال العصيان:

كان من نتيجة حركة العصيان أن شلت مصالح الناس وتوقفت الحياة الاقتصادية، وبارت التجارة وعم البؤس والضيق جماهير السكان، وخصوصاً التجار والبدو، فقد نشأ عن حركة العصيان قلق عند الناس وخوف على حياتهم من القتل، وعلى أرزاقهم من النهب، وتعطلت أعمال الحكومة كلها تماماً، ونشأ عن منع الدخول إلى الجزيرة: كساد السوق وانحطاط التجارة في المدن، وتعطيل مبادلات البدو مع المدن ولذلك نرى في كل الجزيرة، وخصوصاً بين البدو والطبقات

[1] ـ له زيكو: صحيفة فرنسية آنذاك.

المتوسطة من صغار التجار والمزارعين، سخطاً كبيراً على هذه الحالة، إن خصب الموسم كان يعد سكان الجزيرة بخيرات كبرى، فأتت حركة العصيان ولم تحمل للجماهير إلا البؤس والضيق. ويحاول العصاة وأسيادهم الموظفون الاستعماريون الفاشيست إلقاء مسؤولية هذه الحالة على الحكومة، وعلى المعاهدة، وعلى الجبهة الشعبية الفرنسية، والمجال أمامهم واسع للقيام بهذه الدعاية إذ إن الحكومة وأنصارها، وأصدقاء فرنسة الديمقراطية والجبهة الشعبية محرومون من كل وسائل العمل ومن إمكان تنوير الشعب هناك، بل إن دخولهم إلى منطقة العصيان ممنوع بعناية القائمين على الأمن أي بعناية دوريات الجيش ولجان العصاة المسلحة.

حوادث عامودا التدمير وتقتيل النساء والأطفال:

بقيت قرية عامودا من القرى الهادئة التي لم يتمكن العصاة من بذر الشقاق والفتنة فيها، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً فقد مد العصاة أصابعهم إلى القرية، واستغلوا حادثة شجار بين مسلم ومسيحي لتحويلها إلى معركة نتج عنها جرح أخ سعيد آغا زعيم ثوار عامودة الموالين للحكومة الوطنية وعندها استفحل الحادث، وقامت معركة قوية بين الفئتين، ولم تتدخل السلطة بادىء الأمر، ثم أخلى المسيحيون القرية بمساعدة أتتهم من الخارج، وعندها أقبلت الطيارات ودمرت عامودا، وألقت قنابلها على الأطفال ونسائهم وشيوخهم، كما أنها دمرت مناطق أخرى مأهولة، وظلت تطارد الهاربين من القبائل حتى ألجأتهم إلى تركيا، ومن ثم دخل العصاة عامودا وأعملوا فيها الحرق والتدمير والنهب حتى أصبحت خراباً خاوياً.

وقد أراد بعض خدم الاستعمار إلقاء تبعة حوادث عامودا على الحكومة الوطنية أيضاً، على الموالين لها، فقالت إن الذي أثار الحوادث هو وفد عامودا الذي أم دمشق برئاسة سعيد آغا معلناً تأييده للحكومة الوطنية، فزعمت أن هذا الوفد بعد رجوعه، دفع إلى الاعتداء على المسيحيين، هذا مع أن الحادثة بدأت قبل وصول الوفد العائد من دمشق إلى عامودا.

وهرب مدير ناحية عامودا السيد عبد النبي مراد إلى دمشق، كما أن مدير ناحية الدرباسية طرده العصاة أيضاً، وهكذا خلت الجزيرة تماماً من موظفي الحكومة الوطنية.

لماذا دمروا عامودا ؟

لاريب أن تدمير عامودا أفظع مراحل العصيان في الجزيرة، بل إن تدمير عامودا وتقتيل الموالين للحكومة والمعاهدة، وحرق بيوتهم، وإلقاء القنابل على الأطفال والنساء والشيوخ ونهب أموال الأهلين بصورة علنية، كل هذه الفظاعة تذكرنا بما فعله فرانكو في مدريد، وبما فعلته قنابل هتلر وموسوليني في غورنيكا وبلبا وسانتاندر.

أما قصد الفاشيست من تقتيل الموالين للحكومة وتدمير عامودا التي رفضت الاشتراك في العصيان فهو واضح.

لقد أرادوا بهذا العمل إرهاب كل القبائل الموالية للحكومة في الجزيرة كان تدمير عامودا وسفك دماء أبنائها نذيراً يوجهه الفاشيست إلى كل الموالين، وإنذاراً رهيباً يبين لهم مصيرهم إذا ظلوا على استنكار العصيان، أو فكروا في المثابرة على مقاومته وعلى تأييد المعاهدة الفرنسية السورية.

ماذا في الجزيرة الآن ؟

ساعة كتابة هذه السطور(في أوائل أيلول) لاتزال الحالة كما هي. فالجزيرة في أيدي العصاة بينما السلطات العسكرية الفرنسية هي القائمة رسمياً على(حفظ الأمن) في الجزيرة الآن. ولا تدري كيف تسمى حالة كهذه (هدوء واستتباب الأمن في الجزيرة)، وإن يقال إن كل شيء عاد إلى حالته الطبيعية في الجزيرة.

كلا ! لا تصح هذه التسمية. بل الصحيح أن يقال: إن العصاة قد انتصروا في الجزيرة، وأما أسيادهم الفاشيست ! فقد نالوا شيئاً لابأس به من مطالبهم: فقد قررت الحكومة تغيير موظفيها الإداريين هناك، أو نقلهم من منطقة إلى منطقة أخرى.

وها هي ليزيكو الدمشقية، تنشر في صدر صفحتها الأولى في ٣٠ آب برقية واردة باسم (طهر المارديني ـ سكرتير اللجنة التنفيذية في الجزيرة)، أي اللجنة التنفيذية للعصيان في الجزيرة وفيها يقول سكرتير العصاة(تطلب الجزيرة محافظاً لها من أبنائها) ! وأبناء الجزيرة هم طبعاً (العصاة) ولايستبعد أن يكون هؤلاء الأبناء الذي تليق به المحافظة (أحد المترجمين) أو (الجواسيس) من خدم الموظفين الفرنسيين الفاشيست! عندها تكون هنالك ضمانة كبرى على أن المعاهدة لن يسري مفعولها المطلوب على الجزيرة! وتبقى خاضعة لنير الموظفين الفرنسيين الفاشيست وعملائهم، أي لنير أعداء سوريا، وتبقى مسرحاً واسعاً للرشوة، والاستثمار، والنهب، ولمؤامرات أعوان هتلر وموسوليني ومساعي دعاتهم وعملائهم.

ولكن ليس هناك ما يضمن أبداً أن يكتفي العصاة بهذا الانتصار وأن لا يسيروا قدماً في طلب تحقيق مطالبهم الأخرى فلا يكتفون بهذا الانفصال العملي عن سوريا الوطنية وعن مفعول المعاهدة، بل يطلبون تدشين هذا الانفصال رسمياً عن سوريا والبقاء تحت الانتداب.

وفي الأنباء أن الذين أشاعوا هذه الأخبار المقلقة السافلة هم كذلك بعض عملاء الموظفين الفرنسيين الفاشيست.

ولماذا لايفعلون ؟ ولماذا لايحاولون إثارة تمرد وعصيان، بمعونة أعوانهم الرجعيين، في دير الزور وبل وفي غيرها أيضاً. ماداموا يرون سهولة هذا العمل في الجزيرة، وعدم تعرض العصاة فيه لأي عقاب أو قمع بل ماداموا يرون بأعينهم (نجاح مؤامراتهم في الجزيرة).

موقف الحكومة الوطنية:

تحاول الدوائر الاستعمارية، والموظفون الاستعماريون في الجزيرة وغيرها، وأحزاب اليمين والأحزاب الفاشية في فرنسا وجرائدها من جوسوي بارتو إلى الإيبوك، أن تلقي الحوادث على المعاهدة.

ويحاول الرجعيون في سوريا، وأعوان المستعمرين الفاشيست وجرائدهم مثل لـه زيكو ولا كرونيك الدمشقيتين، والبشير البيروتية أن يلقوا مسؤولية حوادث الجزيـرة على الحكومة الوطنية مباشرة.

وتحاول جرائد أخرى معروفة بإئتمارها بأوامر بعض العناصر الرجعيـة في المفوضية العليا مثل الأوران في تبرئة الحكومة الوطنيـة علـى أن تلقـي عليها المسؤولية بصورة غير مباشرة وذلك بإلقاء المسؤولية على (سوء إدارة) الموظفيـن الذين عينتهم الحكومة الوطنية في الجزيرة من السيد بهجت الشهابي إلـى القائمقـام وقواد الدرك وسواهم.

أما نحن فمن واجبنا أمام التاريخ وأمام شـعبنا. أن نعلـن بكـل صراحـة: إن المسؤول السياسي عن حوادث الجزيرة غير الحكومة الوطنية، وغير موظفيها الذين عينتهم في الجزيرة.

فقد سعت الحكومة الوطنية للتمهيد لتنفيذ نصوص المعاهدة، فعينت السيد بـهجت الشهابي الإداري المعروف محافظاً للجزيرة، لأجل أن يمهد لنقل المسؤوليات كلـها إلى المراجع الوطنية في الجزيرة حسب القانون والعدل كما صرح الدكتور كيـالي، وزير العدلية والمعارف نفسه (راجع القبس عدد ١٩ آب).

ولكل ذلك لم يرق لبعض غلاة الاستعمارين من الموظفين الفرنسـيين، أنصـار أحزاب اليمين والأحزاب الفاشية، الذين لايريـدون أن تنتقـل الصلاحيـات إلـى الحكومة الوطنية، ولايريدون أن تنجح معاهدة عقدتها حكومـة الجبهـة الشـعبية، فدفعوا أنصارهم وخدمهم ومترجميهم إلى العصيان والتمرد وحموا هذا العصيان بـل قادوه وأداروه.

ومنذ ابتداء العصيان لجأت الحكومة بلسان محافظها السيد بهجت الشهابي، إلـى نصوص المعاهدة فطلبت من الجيش مساعدتها في قمع العصيان بعد أن قتل رجـال الدرك، فرفض الضباط في الجزيرة إجابة الطلب.

فتدخلت الوزارة لدى المفوضية، وطلبت الإيعاز إلى الجيـش بقمـع العصيـان، وعندها قبل الجيش بأخذ مسؤولية(حفظ الأمـن)علـى عاتقـه، فـنزلت القطعـات العسكرية إلى شوارع الحسجة والقامشلي، ولكنها لم تنزع سـلاح العصـاة، ولـم تعتقلهم مع أنهم قتلوا الدرك وأطلقوا الرصاص على الدوائر الحكومية، بل نزعـت سلاح رجال الجندرمة والشرطة.

فسعت الحكومة الوطنية إلى حل المسألة بالمفاوضة مع المراجع الفرنسـية فـي سوريا التي بيدها القوة العسكرية، فلم تجد عندها إقبالاً أو ميلاً إلى اتخـاذ موقـف حازم من العصاة، فشددت في الطلب فأخذت هذه المراجع تتمسك بمختلف الحجـج والأعذار، واستمرت على عدم إظهار أي استعداد للقيام بعمل حازم تجاه العصاة.

وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن تجيب الحكومة الوطنية بعض مطالب العصـاة فتغير موظفيها في الجزيرة، وذلك مقابل وعد صريح من المراجع الفرنسـية فـي سوريا بأن يعود السكون والهدوء إلى الجزيرة وأن يرضى زعماء العصيـان، وأن لايقدموا خلال بحث المعاهدة في البرلمان الفرنسي طلباً يعرقل التصديـق، كطلـب حقوق الأقليات مثلاً.

هذا ماجرى، فعلى من تقع المسؤولية الأساسية، مادام العصاة وأسيادهم، بـدأوا في الاستعداد لحركتهم منذ سماع نبأ عقد المعـاهدة وحتـى قبـل وصـول الوفـد المفاوض من باريس حاملاً معه المعاهدة ؟

بقيت مسألة المعاهدة: فالفاشيست في فرنسـا يرمـون مسـؤولية كـل الفتـن والاضطرابات في سوريا ومنها عصيان الجزيرة على المعـاهدة وعلـى الجبهـة الشعبية الفرنسية التي عقدت في عهدها هذه المعاهدة، بل إن لزيكو الدمشقية نفسـها، تميل دون خجل إلى تبرير مطلب البقاء تحت الانتداب الذي قدمه العصاة، أي أنـها ترمي المسؤولية بصورة غير مباشرة على المعاهدة، وترمي بعد ذلك مـن طـرف خفي إلى أن هذه المعاهدة لا تؤمن حقوق الأقليات (بل تعرض النصارى لاضطـهاد المسلمين). هذا من وجهة نظر ليزيكو الفرنسية الصادرة في دمشق.

ولكن هل طبقت المعاهدة حتى يحكموا هذا الحكم ؟ إن المعاهدة لم تصدق بعد، ومازلنا في أوائل دور الانتقال، والسلطة الحقيقة لاتزال خصوصاً في منطقة الجزيرة، أي في أيدي نفس الذين كانوا قائمين على الحكم قديماً، وأكثرهم من الموظفين الفرنسيين الاستعمارين الفاشيست.

وخدم هؤلاء الموظفون الاستعمارين الفاشيست في الجزيرة، الذين ساعدوهم في الحكم أعواماً طويلة، هم أنفسهم زعماء العصيان الحالي. أما الذين دبروا العصيان وحموا العصاة فهم نفس هؤلاء الذين تطلب ليزيكو في سوريا، وجرائد أسيادهم في باريس، أن تبقى الجزيرة تحت سيطرتهم المباشرة كما هي الآن.

فليجربوا أمراً واحداً: ليستدعوا هؤلاء الموظفين الفاشيست وليطهروا سوريا من كل كبار الموظفين الفرنسيين الذين يحمونهم، وليرسلوا لنا بدلاً منهم موظفين ديمقراطيين حقيقين، مخلصين لفرنسا الحرة الحقيقية لا لمصالح هتلر وموسوليني، مخلصين للجبهة الشعبية التي عقدت في عهدها المعاهدة فيتعاونون بإخلاص ونزاهة مع الحكم الوطني، وعندها سيرون بالتجربة أن المعاهدة ليست مسؤولة وأنها تؤمن(حقوق الأقليات). وأن سوريا أهل لأن تدير نفسها بمساعدة فرنسا الديمقراطية.

موقف المفوضية العليا:

لاريب أن مسؤولية المفوضية العليا في تطبيق المعاهدة هي مثل مسؤولية الحكومة الوطنية بل تفوقها، لأن دعائم السلطة الحقيقة والعسكرية على الخصوص كلها لاتزال في أيديها وهي التي حملت مباشرة مسؤوليات الحكم في البلاد منذ سنين طويلة، أخضعت البلاد لإدارتها كما تود وتشتهي. ولانكون مغالين إذا قلنا إن أكثر من ثلاثة أرباع الجهاز الحكومي السوري نفسه المؤلف من أناس اختارتهم المفوضية بنفسها لمختلف الوظائف. فإذا موقف المفوضية العليا في التعاون مع الحكم الوطني، هو عنصر حاسم يؤثر على كل التطور في هذا الدور الانتقالي.

فماذا كان موقف المفوضية العليا من حوادث الجزيرة ؟.. لم يجب الموظفون الفرنسيون في الجزيرة نداء المحافظ الشهابي عندما طلب معونة الجيش منذ ابتداء العصيان. ثم لم يعترضوا للعصاة ولم يساعدوا في قمع العصيان. ثم ألف العصاة لجاناً مسلحةً وطردوا موظفي الحكومة وقتلوا بعض رجال الدرك فلم يقم هؤلاء الموظفون بأي عمل تجاه العصاة لوقفهم عند حدهم ومعاقبتهم. أفلم يكن في استطاعة المفوضية العليا اتخاذ تدابير حازمة تجاه هذه الحالة ؟

لقد قالت المفوضية بأنها غير راضية عن حوادث الجزيرة، ولكن ما الذي فعلته مما يتفق مع(عدم الرضى) الذي أبدته ؟

وقد يقول البعض كما قال الأستاذ سامي الشمعة في مقال افتتاحي في القبس إن كل هذه المؤامرات ضد المعاهدة والحكم الوطني هي من عمل بعض الشخصيات الفرنسية أو بتشجيعها، لا من عمل المراجع الفرنسية المسؤولة العليا وتشجيعها. ونحن نحب أن تكون مع هذا التقدير. ولكن السؤال على كل حال يبقى كما هو، دون حل. فنحن على كل حال بين أمرين: إما أن تكون هذه المراجع الفرنسية المسؤولة العليا في سوريا راضية عن أعمال بعض موظفيها في الجزيرة وغير الجزيرة، وإنما أنها لاتتمتع بأية سلطة على هؤلاء الموظفين الذين يأبون الخضوع لها. إذ إن هذه المراجع الفرنسية المسؤولة العليا، إذا كانت حقيقة في بلادنا حكومة الجبهة الشعبية التي عقدنا معها المعاهدة، وإذا كانت تغار على المعاهدة وتريد تنفيذها وتطبيقها، أي إذا كانت تعمل بروح الجبهة الشعبية الديمقراطية الفرنسية، فلماذا لاتتخذ التدابير اللازمة تجاه الموظفين الفرنسيين الذين لايعملون بروح العهد الجديد، بل بروح دي لاورك ودوريو وأسيادهم والأحزاب الفاشيستية ويحاربون المعاهدة وفرنسا الديمقراطية، لأنهم ذوو ميول معادية للجبهة الشعبية أي على الأصح لأنهم فاشيست ؟..

يتلخص من كل هذا الأمر واضح لاجدال فيه: اتخذت بعض المراجع الفرنسية في سوريا منذ البداية موقف التساهل مع العصاة ومع مشجيعها وحمايتهم، بل

وعطلت بصورة مباشرة الصحف التي حددت مسؤولية بعض الموظفين الفرنسيين الفاشيست، وبينت أن هؤلاء الموظفين لايمثلون فرنسا الحقيقية الديمقراطية الممثلة في جبهتها الشعبية.

وقد بلغنا أيضاً أنه خلال المفاوضات بين الحكومة الوطنية وبعض رجال المفوضية، طلبت إحدى الشخصيات الكبرى في المفوضية أن تتساهل الحكومة مع العصاة وتجيبهم مطالبهم على الأقل.

وهكذا رأينا في النتيجة أن الميل العام يتجه نحو: تبرير حركة العصيان بإلقاء المسؤولية على (سوء إدارة) الموظفين الوطنيين، وتغطية مسؤولية الموظفين الفرنسيين الذين حموا العصيان بل ودبروه وإجابة بعض مطالب العصاة، وطمس حقيقة المسألة أمام الرأي العام الفرنسي أيضاً.

هذه خلاصة موقف المراجع الفرنسية المسؤولة العليا في سوريا وخلاصة موقف الحكومة الوطنية.

وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى خطأ فادح يتبين في السياسة العامة التي تطبق في بلادنا منذ عقد المعاهدة.

خطأ الحكومة الوطنية:

لقد ارتكبت الحكومة الوطنية في حوادث الجزيرة الخطأ نفسه الذي ارتكبته باستمرار منذ عقد المعاهدة، وهذا الخطأ العظيم هو التساهل مع الموظفين الفرنسيين الفاشيست ومداراة سادتهم وحوارات ساداتهم: أحزاب اليمين في فرنسا، وعدم الإلحاح في تغييرهم وإرسال موظفين ديموقراطيين يتعاونون معهم بنزاهة وبروح الجبهة الشعبية لإجتياز دور الانتقال بسلام.

فلا ريب أن في كل ميادين حياتنا السياسية والفكرية والوطنية والاجتماعية، نقاط ضعف قوية ونقائص كبرى، تركها لها العهد البائد. والفرق كبير بين أن يكون في بلادنا موظفون فرنسيون نزيهون ديمقراطيون يساعدوننا في تلافي هذه النقائص

وفي التغلب على نقاط الضعف وفي نجاح العهد الجديد وتقوية أواصر الصداقة مع فرنسا الديمقراطية، وبين أن يكون في بلادنا موظفون فرنسيون مغرقون في ميولهم الاستعمارية الفاشستية، يستغلون هذه النقائص ضد مصلحة بلادنا، ويستثمرون نقاط الضعف لعرقلة تطبيق المعاهدة ولإثارة القلاقل والفتن وتشويه سمعة فرنسا، وتعكير علاقات الصداقة بيننا وبين فرنسا حقيقة بسيطة واضحة.

وقد أظهرت التجارب والحوادث المؤسفة التي وقعت منذ عقد المعاهدة(من حوادث حلب واللاذقية إلى حوادث اسكندرونة، إلى حوادث جبل الدروز.. ثم إلى حوادث الجزيرة) صحة ما طالب به حزبنا الشيوعي منذ البداية وهو وجوب تغيير الموظفين الفرنسيين الفاشيست وتطهير بلادنا منهم.

وكأن كل هذه التجارب والحوادث لم تكن كافية لتقنع الحكومة الوطنية وإخواننا الوطنيين بصحة هذا الطلب. ويؤسفنا أن نرى أن حوادث الجزيرة نفسها لم تكف أيضاً لإيضاح هذه الحقيقة أمامهم.

موقف الحكومة الفرنسية:

ولأجل الإحاطة بالبحث من كل جوانبه بتمامه، لابد لنا من الإشارة إلى مواقف الحكومة الفرنسية ووزارة الخارجية في باريس.

لقد قال حزبنا الشيوعي السوري للحكومة الفرنسية، خلال المفاوضات في باريس، وقال معنا أصدقاؤنا الفرنسيون أصدقاء سوريا في فرنسا.

إذا كانت فرنسا تريد أن يبدأ حقيقة عهد صداقة مع سوريا وأن تتخلص بلادنا نهائياً من القلاقل والاضطرابات، وأن ينجح هذا العهد الجديد الذي يعود فضل كبير في بلوغه إلى الجبهة الشعبية وأن تتمتع الديمقراطية دون قلق أو خطر بعطف الرأي العام السوري والرأي العام في كل الأقطار العربية، قلنا: إذا كانت الحكومة الفرنسية تريد كل هذا، وتريد أن تنجح المعاهدة فعليها أن تبادر حالاً إلى تطهير الجهاز الإداري الفرنسي في سوريا من العناصر الرجعية الفاشستية المعادية للجبهة

الشعبية والتي تشوه سمعة فرنسا في سوريا، وتخدم بذلك مآرب هتلر وموسوليني في البلاد العربية.

ولم ينقطع حزبنا الشيوعي عن إعادة هذا الطلب، ولم ينقطع أصدقاء سوريا عن إعادته في فرنسا في كل مناسبة. ولكن الحكومة الفرنسية لم تسمع، عسى أن تساعد حوادث الجزيرة المؤسفة أخيراً على إسماعها وإفهامها هذه الحقيقة التي أخذت تغرس نفسها بنفسها.

فقد تمكن الشعب السوري، بمساعدة أصدقائه في فرنسا من تنظيف بلاده من بعض كبار المستعمرين الفاشيست، الذين ظهرت مسؤولياتهم في شتى القلاقل والاضطرابات والفتن: مثل دوريو في اسكندرونة، والكولونيل تاريت في جبل الدروز، والمسيو برشيد مدير الأمن العام سابقاً، فلماذا لا تتابع الحكومة الفرنسية ووزارة الخارجية عمليه التطهير بحزم وعزم وتنقذنا من بقية عصابة بوشيد وزملائه تريه وأسياد دوريو ؟.

الخلاصة:

بعد سرد الحوادث، وتحليلها، نصل إلى هذه الخلاصة:

لقد تواطأ الموظفون الفرنسيون الفاشيست في سوريا، مع أسيادهم في شركة البترول P.C أو مع طغاة المال المشرفين على البنك السوري، بموافقة الأحزاب الفاشستية في فرنسا وتشجيعها على إثارة حركة العصيان في الجزيرة وذلك للغايات التالية:

أولاً ـ تأمين الحصول على امتياز لاستثمار البترول لتشبع مطامع طغاة في شركة P.C أو إبقاء منطقة الجزيرة تحت الانتداب ، أي تحت إدارة الموظفين الفرنسيين الفاشيست الحاليين، لأن ذلك يكون أضمن لما ترمي إليه الشركة من اغتصاب حقوق الشعب السوري وإدارة استثمار البترول بصور موافقة تماماً لجشعها وذلك بحماية خدمها من الموظفين الفرنسيين الفاشيست ومساعدتهم.

ثانياً ـ الضغط على الحكومة السورية لأجل الحصول على شروط موافقة في تجديد امتياز البنك السوري الفرنسي. إذ لا يخفى أن بقاء الجزيرة تحت الانتداب(أي تحت سيطرة الموظفين الفاشيست الفرنسيين الحاليين) معناه أن يتمتع البنك السوري بامتيازات هائلة في تلك المنطقة الغنية وتتم له السيطرة على خيراتها، ويتيسر له اغتصاب هذه الخيرات بأثمان بخسة. وكل هذه الأمور لاتتيسر له بسهولة إذا تم تطبيق المعاهدة، كما يجب في الجزيرة، وإذا تضاءلت سلطة الموظفين الفاشيست الفرنسيين.

ثالثاً ـ أن يحافظ الموظفون الفرنسيون الفاشيست على سيطرتهم في كل سوريا وفي الجزيرة على الخصوص.

رابعاً ـ عرقلة تصديق المعاهدة في البرلمان الفرنسي، أو النجاح في تعديلها على الأقل، بإعطاء أحزاب اليمين حجة لمهاجمة المعاهدة، على أساس أن سوريا غير أهل لإدارة نفسها بنفسها وأن المعاهدة تعرض مصالح فرنسا للخطر. ولمهاجمة الحكم الوطني بحجة (الأقليات) معرضة للخطر في ظله.

خامساً ـ النيل من الديمقراطية الفرنسية والانتقاص من سمعة الجبهة الشعبية الفرنسية في الانتقاص في سوريا وفي كل الأقطار العربية. إذ من المفهوم أن جماهير الشعب الواسعة لاتستطيع بعد التفريق بين الوطنيين الفرنسيين والفاشيست الفرنسيين أي بين الجبهة الشعبية وبين أحزاب اليمين ولذلك فهي تتمي الحال(وبفضل دعايات أعوان الفاشيست وجرائدهم التي تتمتع بحرية كبرى في سوريا) مسؤولية حوادث الجزيرة وتدمير عامودا وسفك دماء أبنائها، على فرنسا دون أن تدرك أن المسؤولين عن هذه الحوادث لايمثلون فرنسا، بل يخونون فرنسا نفسها، ويخدمون مصالح هتلر وموسوليني.

ولاريب أن للفاشيست الفرنسيين غاية أخرى من وراء عصيان الجزيرة. فإن تصوير الحركة في الجزيرة كنزاع طائفي يكون من ورائه تقوية الخلافات الدينية والنزاعات الطائفية في كل أنحاء البلاد. وقد ذكرنا شيئاً عن المحاولات القائمة في

دير الزور، وقد بلغنا أن محاولات شبيهة بها أخذت تذر قرنها في حلب أيضاً.

وإذا ألقى نظرة عامة على كل مارافق عصيان الجزيرة من دعايات في الصحافة وغيرها يلاحظ أن المؤامرة محبوكة جيداً بين الفاشيست وعملائهم في كل أنحاء البلاد، وفي فرنسا نفسها.

فبينما يجري العصيان في الجزيرة نرى جيروم تارو مراسل جريدة الايبوك الفاشيستية وغيرها في باريس ينتقل في سوريا ويقوم في صحافة اليمين بحملة كبرى عن حقوق الأقليات المهضومة وما إلى ذلك.

ونرى جريدة البشير تستعمل حوادث الجزيرة لإلقاء الحذر والهلع بين كل المسيحين في لبنان ونرى الأوريان ولاسيرى تلقيان المسؤولية على الجبهة الشعبية الفرنسية. بينما ليزيكو ترمي المسؤولية على الحكومة الوطنية.

ومن هنا نرى أن الفاشيست الفرنسيين وعملاءهم، أجادوا تقسيم العمل بينهم في حوادث الجزيرة، ففريق يقوم بالعصيان ويقوده، وفريق يستخلص منه ما يريد لتهيئة الجو اللازم لحمل إجراء اليمين على المعاهدة في فرنسا، وفريق يستخدمه لإضعاف ثقة الشعب بالجبهة الشعبية الفرنسية وبحكومتها وتمثيلها كحكومة ضعيفة لايجب أن يعتمد الشعب السوري عليها.

هذا بينما كبار الأسياد الفاشيست يبذلون جهدهم للتهويل والضغط على الحكومة الوطنية، وإزالة كل تردد لديها في وجوب التواطؤ مع السياسة الفاشستية الفرنسية، والسير في سياستها العامة حسب مشيئة أحزاب اليمين وبصورة تناقض مصلحة البلاد، وتناقض الديمقراطيين وتخالف روح الجبهة الشعبية نفسها.

هذه هي المؤامرة التي حبك خيوطها الموظفون الفرنسيون الفاشيست وأسيادهم وهم جميعاً يسترون هذه المقاصد بإظهار الغرام بفرنسا، ويطلب بقاء الجزيرة تحت الانتداب.

إنهم يحاربون فرنسا، تحت ستار حب فرنسا والغيرة عليها.

ماذا يطلب الشعب السوري ؟

إن الشعب السوري يطلب:

١ ـ قمع العصيان في الجزيرة ومعاقبة العصاة.

٢ ـ محاكمة الموظفين الفرنسيين الفاشيست واستدعاؤهم من مراكزهم وتعيين غيرهم من الديموقراطيين الفرنسيين المخلصين للجبهة الشعبية وللمعاهدة مكانهم.

٣ ـ إرسال لجنة تحقيق من أحزاب الجبهة الشعبية ونوابها لأجل الاطلاع على حقيقة الحال في سوريا.

٤ ـ إن سوريا تريد أن ينجح عهدها الوطني وأن تطبق المعاهدة بالروح التي عقدت بسببها وأن تعيش في سلام وهدوء، وأن تحافظ على أواصر الصداقة مع فرنسا الديمقراطية وأن تتمتع بالحرية والديمقراطية اللتين انتظرتهما من وراء المعاهدة السورية الفرنسية.

إلى إخواننا الوطنيين:

والحزب الشيوعي يقترح على الإخوان الوطنيين جميعاً، تأليف وفد شعبي يذهب إلى فرنسا ليعرض الحالة في سوريا أمام الراي العام الفرنسي، وأمام أحزاب الجبهة الشعبية ، وأمام كل النواب الديمقراطيين، وفي ذلك خير عميم للحكم الوطني، ولمصلحة البلاد، ولإنقاذ سمعة سوريتنا العزيزة التي يريد غلاة الاستعماريين وأعوانهم الرجعيون تشويهها، بأمل العودة إلى اضطهادنا وتجويعنا ونهبنا وإذاقتنا ويلات تفوق ويلات العهد البائد.

صورة البرقية التي أرسلها الحزب الشيوعي إلى الوزارة الفرنسية بواسطة المفوضية العليا بشأن حوادث الجزيرة:

بيروت ـ المفوضية العليا

الرجاء إبلاغ مايلي لحضرة وزير الشؤون الفاشستية عملاء أحزاب اليمين الأقصى وأعداء الجبهة الشعبية أثاروا في الجزيرة عصياناً مسلحاً ذا نزعة فاشستية

معادية لفرنسا، وهذا العصيان موجه ضد المعاهدة والحكومتين الفرنسية والسورية تحت ستار طلب الاستقلال الداخلي والانتداب الفرنسي.

إن العصاة بحماية وقيادة هؤلاء الموظفين أعداء فرنسا، طردوا موظفي الحكومة السورية، ونزعوا سلاح الدرك، وشكلوا في القامشلي والحسجة ورأس العين وغيرها لجاناً مسلحة تحت اسم (لجنة إدارة شؤون الحسجة مثلاً) وهم لايزالون سادة الموقف ويتابعون دون قصاص أعمالهم، بينما الجيش الفرنسي قد اتخذ منذ شهر على عاتقه صيانة الأمن.

ولو اتخذت المفوضية الفرنسية تدابير فعالة لأمكن قمع العصيان منذ الابتداء، لأن أكثرية سكان الجزيرة موالون للمعاهدة وللحكومة السورية ولفرنسا الديمقراطية.

نحتج بشدة على موقف الموظفين الفاشيست ونطالب قمع العصيان ومعاقبة العصاة، ومحاكمة الموظفين الفرنسيين المسؤولين في الجزيرة، وإرسال لجنة تحقيق برلمانية لسوريا، وتطهير بلادنا من أعداء فرنسا الديمقراطية والمعاهدة. سوريا تريد أن تحيا بإخاء وسلام مع فرنسا الديمقراطية.

عن الحزب الشيوعي السكرتير العام خالد بكداش

ملاحظة:

أرسلت نسخة من هذه البرقية في البريد الجوي إلى المسيو دالاديه زعيم الحزب الاشتراكي الراديكالي وليون بلوم الحزب الاشتراكي وموريس توريز السكرتير العام للحزب الشيوعي وغابريل بيري نائب لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي ولجراند:(لارفر ـ البوبيلير ـ الايمانتييه ـ سوسوار).

المراجع

البلاذرى	فتوح البلدان ص/١٧٩/
المسعودي	مروج الذهب ج ٢ ص/١٠٨/
ياقوت الحموي	معجم البلدان ـ المجلد الثاني ص/٣٩/
رسالة العالم الأثري الانكليزي	سيتون لويد في نيسان عام/١٩٣٨/م
ابن الأثير الكامل	ج١ ص/٢٥٠/
ابن مسكويه	تجارب الأمم ج٢ ص/٣٢٠/
الأب أفرام برصوم	نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران
البشارة المقدسي	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص/١٣٦/
سيتون لويد	الرافدين ص/٢٣٨/
ولسون	تصادم الولاء
قحطان أحمد عبوش التلعفري	ثورة تل عفر/١٩٢٠/م ـ صحف عديدة
جريدة صدى الأحرار	/١٦٣/في:١٣١/حزيران/١٩٥٢م
عبد المنعم الغلامي	الأنساب والأسر ج١ص/١٢١/
تحسين العسكري	مذكراتي عن الثورة العربية ج٢ص/١٦١/
نص التقرير البريطاني	مقتطفات
جريدة الزمان	/١٩٥٤/ بقلم عبد الحمي الدبوني
تاريخ ملا عبد القادر رشيد التلعفري	أحداث عام/١٩٢٠/
بطولات عربية على ضفاف الفرات	إبراهيم علوان
كفاح الشعب العربي السوري	إحسان هندي
مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية	الجزء الأول والثاني

يقظة العرب — جورج انطوانيوس ترجمة الدكتو: ناصر أسد وحسين عباس

شهداء الثورة السورية — أدهم الجندي

تاريخ العصر الحديث — الدكتور جورج حداد

رحلة في مضارب القبائل العربية — أمير سلامة الجويشي

مجلة العمران — عدد خاص عن محافظة الحسكة

صحيفة صدى المعاهد — مقال للاستاذ:حسين حمدان العساف

رحلة في تاريخ حوض الخابور — ((شمال مابين النهرين))خليل أقطيني

استعراض أقوال شهود عيان ساهموا في النضال الوطني ضد الاحتلال

مذكرة الحزب الشيوعي إلى فرنسا خالد بكداش

•••

المطران المناضل: قرياقس مطران الجزيرة والفرات:

ولد المطران المجاهد: قرياقس تنورجي في ماردين بتركية عام ١٩٠٢ من أسرة تميزت بطاعة الله وحب الناس أجمعين والتقوى والصلاح والروح الوطنية العالية.

من بينها كان شقيقه الأب الربان يعقوب تنورجي رئيس الزعفران في هذا الجو العابق بعطر الأقداس نشأ الصبي في بيت تسوده خشية الله والتقوى ضمن أسرة لها غرام عجيب في طاعة الله وخدمة الناس ومجتمعهم. كما هو الوطن البيت الأساس ـــ الوطن الأم(الجزيرة والفرات) داعياً منذ شبابه إلى وحدة وطنية متماسكة مبنية على روح التسامح والمودة والإخاء في جو تسوده المفارقات الاجتماعية ما بين المدينة والعشائرية من شتى الطوائف والأجناس وهذا قدر هذه الجزيرة عبر الزمان لكنها جزيرتنا نحيا ونموت فيها.

كان المطران قرياقس مشاركاً فعالاً في حل الخلافات والإشكاليات بفائق حكمته وبعلو همته والحلول الناجعة يسكب من خلالها على جراحات النفوس بلسماً شافياً من عقاقير لطفه ورقة عطفه ـــ كان المطران المجاهد مرجعاً لجميع أبناء المحافظة في البادية والريف والمدينة مسلمين ومسيحيين من شتى المشارف كانوا حين يحتكمون إليه في الكثير من القضايا فيحكم بينهم بالحق والعدل والمحبة والمساواة مما يطلق ألسنتهم بالشكر. والعرفان وتلهج بالثناء من صميم الوجدان. كما أن الكتلة الوطنية كانت تثني على تعاونه معها في تنفيذ المقترحات الهادفة في وضع نهايات الخصومات التي من شأنها أن تعكر صفو أمن المحافظة وكثيراً ما رغبت في مساعدته بإيجاد الحلول الكفيلة بوأد الأزمات الحادثة قبل تفاقمها فعاد عليها بأحسن النتائج وأطيبها. ومن الصفات التي امتاز بها نيافة المطران الكبير أنه كان لايهدأ له بال مالم يتم التصالح ويسود التسامح والإخاء بين أطراف الجزيرة المترامية المساحات والشائعة الأمكنة.

الفهرس

الفصل الرابع

الفصل الخامس

* **الأسطورة في بلاد الرافدين**

.................................عبد الحميد محمد

* **إله الشمس الحمصي**

.................................ت ايرينا داوود

* **البلدان النامية-مشكلات العلاقات الاقتصادية**

.................................ت د ماجد علاء الدين

* **تاريخ القانون في العراق**

.................................عبد الحكيم الذنون

* **الديانة الفرعونية**

.................................ت نهاد خياطة

* **دراسات حول الأكراد**

.................................ت عبدي حاجي

* **الشركس في فجر التاريخ**

.................................برزج سمكوغ

* **حدث ذات مرة في سورية**

.................................سمير عبده

* **المسيحيون السوريون خلال ألفي عام**

.................................سمير عبده

* **السريانية العربية**

.................................سمير عبده

* **الإيديولوجية اليهودية**

.................................مفيد عرنوق

* **تيارات الفلسفة الشرقية**

.................................محمد حسن

* **دراسات في الفلسفة الأوروبية**

.................................سليمان حسن

* **التشريعات البابلية**

.................................عبد الحكيم الذنون

* **العولمة والتبادل الإعلامي**

.................................د صابر فلحوط

* **من أنساب العرب العاربة**

.................................صالح هواش المسلط

* **أساطير في أصل النار**

.................................ت يوسف شلب الشام

* **هل هبط آدم في القفقاس**

.................................محمد عمر بغداي

* **الحضارات القديمة**

.................................ت نسيم واكيم اليازجي

* **الجنس في العالم القديم**

.................................ت فائق دحدوح

* **الديانة الزرادشتية**

_________________________نوري إسماعيل

* **شريعة حمورابي**

.................................ت أسامة سراس

* **طقوس الجنس المقدس**

.................................ت نهاد خياطة

* **موسوعة تاريخ القفقاس والجركس**

.................................محمد جمال صادق ابه زاو

* **معجم الأساطير**

.................................ت حنا عبود

* **صراع بين الحرية والاستبداد**

.................................فارس الحناوي

* **تجارة الأسلحة في الخليج العربي**

.................................رحيم كاظم محمد الهاشمي

* **الإتنولوجيا**

.................................محمد الخطيب

* **الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية**

.................................ت سالم العيسى

* **دراسات في المكتبة العربية التراثية**

.................................عادل فريجات

* **الخيول الأصيلة في الصحراء العربية**

.................................أحمد غسان سبانو

* **المعراج والرمز الصوفي**

.................................د. نذير العظمة

هذا الكتاب

شعبنا العربي شعب عريق في النضال ضد كل قوى الاستعمار والسيطرة عبر التاريخ. شعب بذل دمه رخيصاً فداءً للأرض والوطن، وقدّم التضحيات الجسام على امتداد رقعة الوطن العربي الواسع، فبات نضاله ضد الاستعمار صفحات مشرقة في التاريخ العربي، ومنها نضال شعبنا العربي السوري ضد الاحتلال العثماني قديماً، والاستعمار الفرنسي حديثاً، والذي يطالعنا فيه تلك الصور النضالية السامية في الجزيرة السورية، والتي يتحدث عنها هذا الكتاب، مشيراً إلى أنصع صور التضحية والجهاد، وأبرز المجاهدين فيها ليذكر بأيام مشرقة من نضال التاريخ العربي.

الناشر



يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨
هاتف : ٥٦١٧٠٧١
فاكس : ٥٦١٣٢٤١